

فنـــون

فنانون عالميون

كلود مونيه ـ بول جوجان ـ فينسنت فان جوخ

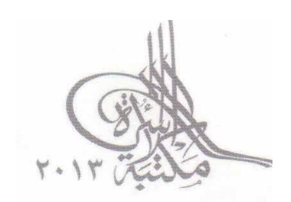
الجزء الأول

ترجمة: د. حازم طه حسين



فنـــون

سلسلة تهتم بدائرة واسعة من الفنون المختلفة التي أبدعها الإنسان عبر العصور المختلفة وتعتبر لونا رفيعا من ألوان الثقافة الإنسانية مثل الرسم والنحت والغناء والزخرفة والعمارة وصنع الفخار والتمثيل والنسيج والموسيقي والباليه وغيرها من الينابيع الفنية التى تعبر عن عالم وواقع ووجود، وتدل على حضارة وحياة وأمم، وتسعى لنشر الوعى بالخبرة الجمالية لدى المتلقى الذي يتابعها بشغف كبير، فالفنون - على اتساع رقعتها - لم تعد غذاء روحيا فقط، وإنما تعد حاجتنا إليها كحاجتنا للطعام والماء، بل وللهواء أيضا.



١٣٫٥ جنيهًا


ISBN# 9789774483462
6 221149 028319

فنانون عالميون

الجزء الأول

ترجمة

د. حازم طه حسين





Original titles published as:
Artists in their World: Claude Monet Author: Susie Hodge
Artists in their World: Paul Gauguin Author: Robert Anderson
Artists in their World: Vincent Van Gogh Author: Jen Green
Series Editor: Adrian Cole
First published in 2002 by Franklin Watts, 338 Euston Road
London NW1 3BH © Franklin Watts 2002, 2005
Arabic Translation copyright © 2007, 2008, 2013 by Elias Modern Publishing House
ISBN: 978 - 977- 448 - 346 - 2
Legal Deposit Number:
10209 / 2013

فنانون عالميون / ترجمة حازم طه حسين. ـ
القاهرة: دار الياس العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠١٣ .
مج ١؛ أبيض ملونة، ٢١سم × ٢٨,٥سم.
المحتويات: (القسم الأول) كلود مونيه/ تأليف: سوزى هودج . ـ
(القسم الثانى) بول جوجان/ تأليف: روبرت أندرسون. ـ
(القسم الثالث) فينسنت فان جوخ/ تأليف: ين جرين

تدمك ٩٧٨٩٧٧٤٤٨٣٤٦٢
١ ــ الفنانون.
أ) حسين ، حازم طه (مترجم).
ديوى ٩٢٧
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٠٢٠٩ / ٢٠١٣
I.S.B.N. 978 - 977 - 448 - 346 - 2

طبعة خاصة لمكتبة الأسرة ٢٠١٣ تصدرها دار الياس العصرية للطباعة والنشر

ELIAS الياس
© دار الياس العصرية للطباعة والنشر ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠١٣
١ شارع كنيسة الروم الكاثوليك. الظاهر. القاهرة. ج.م.ع.
ت: ٢٥٩٣٩٥٤٤ - ٢٥٩٠٣٧٥٦ (٢٠٢) فاكس: ٢٥٨٨٠٠٩١ (٢٠٢)
www.eliaspublishing.com

هودج، سوزى – أندرسون، روبرت –جرين، ين.
فنانون عالميون – الجزء الأول/ تأليف سوزى هودج، روبرت أندرسون، ين جرين؛
ترجمة د. حازم طه حسين.– القاهرة: دار الياس العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠١٣.
١٢٠ص، ٢١ سم × ٢٨,٥ سم
تدمك: ٠ – ٢٧٩ – ٣٠٤ – ٩٧٧ – ٩٧٨
الرسامون الفنانون، ديوي ٩٢٧,٥
رقم الإيداع: ١٧٧٣٧/ ٢٠٠٧

توطئة

مشروع له تاريخ

مشروع «القراءة للجميع» أى حلم توفير مكتبة لكل أسرة، سمعنا به أول مرة من رائدنا الكبير الراحل توفيق الحكيم.

وكان قد عبر عن ذلك فى حوار أجراه معه الكاتب الصحفى منير عامر فى مجلة «صباح الخير» مطلع ستينيات القرن الماضى، أى قبل خمسين عامًا من الآن.

كان الحكيم إذًا هو صاحب الحلم، وليس بوسع أحد آخر، أن يدعى غير ذلك.

وهو، جريًا على عادته الخلاقة فى مباشرة الأحلام، تمنى أن يأتى اليوم الذى يرى فيه جموعًا من الحمير النظيفة المطهمة، وهى تجر عربات الكارو الخشبية الصغيرة، تجوب الشوارع، وتتخذ مواقعها عند نواصى ميادين المحروسة، وباحات المدارس والجامعات، وهى محملة بالكتب الرائعة والميسورة، شأنها فى ذلك شأن مثيلاتها من حاملات الخضر وحبات الفاكهة.

ثم رحل الحكيم مكتفيا بحلمه.

وفى ثمانينيات القرن الماضى عاود شاعرنا الكبير الراحل صلاح عبد الصبور التذكير بهذا الحلم القديم، وفى التسعينيات من نفس القرن، تولى الدكتور سمير سرحان تنفيذه تحت رعاية السيدة زوجة الرئيس السابق. هكذا حظى المشروع بدعم مالى كبير، ساهمت فيه، ضمن من ساهم، جهات حكومية عدة، وخلال عقدين كاملين صدرت عنه مجموعة هائلة من الكتب، بينها مؤلفات ثمينة يجب أن نشكر كل من قاموا باختيارها، إلا أنه، للحقيقة ليس غير، حفل بكتب أخرى مراعاة لخاطر البعض، وترضية للآخر، ثم إن المشروع أنعش الكثير من متطلبات دور النشر، بل اصطنع بعضها أحيانًا.

وبعد ثورة ٢٥ يناير والتغيرات التى طرأت توقفت كل الجهات الداعمة لهذا المشروع الثقافى عن الوفاء بأى دعم كانت تحمست له عبر عقدين ماضيين، سواء كان هذه الجهات من هنا، أم كانت من هناك.

ولم يكن أمام اللجنة إلا مضاعفة التدقيق فى كل عنوان تختار، وسيطر هاجس الإمكانات المحدودة التى أخبرتنا بها الهيئة فى كل آن.

والآن لم يبق إلا أن نقول بأن هذه اللجنة كانت وضعت لنفسها معيارًا موجزًا:

جودة الكتاب أولاً، ومدى تلبيته، أولاً أيضًا، لاحتياج قارئ شغوف بأن يعرف، ويستمتع، وأن ينمى إحساسه بالبشر، وبالعالم الذى يعيش فيه.

واللجنة لم تحد عن هذا المعيار أبدًا، لم تشغل نفسها لا بكاتب، ولا بدار نشر، ولا بأى نوع من أنواع الترضية أو الإنعاش، إن لم يكن بسبب التربية الحسنة، فهو بسبب من ضيق ذات اليد.

لقد انشغلنا طيلة الوقت بهذا القارئ الذى انشغل به قديمًا، مولانا الحكيم.

لا نزعم، طبعًا، أن اختياراتنا هى الأمثل، فاختيار كتاب تظنه جيدًا يعنى أنك تركت آخر هو الأفضل دائمًا، وهى مشكلة لن يكون لها من حل أبدًا. لماذا؟

لأنه ليس هناك أكثر من الكتب الرائعة، ميراث البشرية العظيم، والباقى.

إبراهيم أصلان

المحتويات

كلود مونيه

تأليف: سوزي هودج



من هو كلود مونيه؟

كان كلود من أعظم الفنانين فى عصره. فقد غيَّرت لوحاته من طريقة رؤيتنا للواقع، وأصبح أسلوبه الفنى معروفًا فى جميع أنحاء العالم. واليوم نرى الآلاف من المنتجات، مثل ورق تغليف البسكويت، وبَادَة الفأرة (الماوس الإلكترونى)، ومفارش منضدة السفرة، نرى كل هذه المنتجات مطبوعة بصور من أعماله المميَّزة. فنحن - فيما يبدو - سنظل نستمتع بإبداعاته ولوحاته لزمن طويل!



▲ ميناء «لوهافر»، فرنسا، حيث أمضى مونيه أغلب أيام طفولته. وقد أُخذت هذه اللقطة قبل الحرب العالمية الثانية التى دُمِّرَت أثناءها معظم تلك المبانى.

بداية حياته

ولد أوسكار كلود فى 14 نوفمبر عام 1840 بمدينة باريس، وعاش مع والديه وأخيه الأكبر «ليون» فى شقة صغيرة تقع بالقرب من نهر السين. وكان أفراد عائلته ينادونه بأوسكار، لكنه عُرف لاحقًا باسم كلود مونيه. كانت عائلته متوسطة الحال، لا تملك الكثير من المال. فعندما بلغ مونيه عامه الخامس، اضطرت العائلة للانتقال إلى العيش بمنزل يقع بالقرب من لوهافر فى نورماندى، حيث حصل والده على عمل بمحل بقالة زوج أخته. وبعد ذلك، بدأت الحالة المالية للعائلة فى التحسن، فنشأ كلود فى أسرة ميسورة الحال.

عند البحر

نشأ مونيه فى مناخ أسرىٍّ سعيد؛ فقد كانت حياته فى الميناء النشط مفعمة بالأشياء والأحداث. فقد أحب الهواء النقىّ والبحر، وكان يقضى وقتا طويلاً على الشاطئ، وفى الحقول الزراعية القريبة منه. وفى المدرسة، شجَّعه معلمه على الرسم، فملأ مونيه اسكتشاته بالكثير من رسوم المراكب، والمناظر الطبيعية، والناس. حتى إنه رسم أيضًا اسكتشات كاريكاتيرية لأساتذته، واعتبر أصدقاؤه هذه الاسكتشات من قبيل الدعابة.

المرجع الزمنى ◄

نوفمبر عام 1840	1845	1856	يناير 1857	يناير 1858	مايو 1858	فبراير 1859
أنجب الزوجان «لويز جوستين» و«أدولف مونيه» الفنان كلود مونيه، فى 45 شارع لافاييت، باريس.	انتقلت عائلة مونيه إلى لوهافر.	بدأ مونيه رسم الكاريكاتير والمناظر الطبيعية للوهافر.	توفيت والدة مونيه لويز جوستين.	عُرضت رسوم مونيه الكاريكاتيرية للبيع فى محل لبيع البراويز.	قابل مونيه الفنان أوجين بودين.	انتقل مونيه إلى باريس، وبدأ عمله بالأكاديمية السويسرية.

مغادرة المدرسة

عندما بلغ مونيه 17 عامًا، توفيت والدته. وفى السنة نفسها ترك المدرسة، وتكفلت عمته مارى جان برعايته. وقد لاحظت العمَّة نبوغه الفنى. ولذا، اقترحت عليه أن يأخذ دروسًا فى رسم الطبيعة، ولكنه فضّل الرسوم الكاريكاتيرية.

وسرعان ما عُرضت لوحاته الكاريكاتيرية فى فاترينة محل لبراويز الصور، ولفتت أنظار المارة الذين توقفوا لرؤيتها، والتحدث عنها، وشرائها بفرنكات قليلة.

كان يمكن أن يظل مونيه على هذه الحال، ولكن الفنان أوجين بودين (1824-1898) شجعه على التصوير فى الهواء الطلق، وعلى استخدام الألوان الزيتية. وقد كان معظم فنانى المناظر الطبيعية يصوِّرون لوحاتهم فى هذا الوقت داخل الاستوديو.



▲ إن معظم كاريكاتيرات مونيه رسوم طريفة لشخصيات معروفة؛ مثل تلك التى تبدو فى الصورة أعلاه.

الدراسة فى باريس

عمل مونيه بنصيحة الفنان بودين، وذهب إلى باريس عام 1859 لدراسة الفن بشكل جاد، ولم يكن والده متحمِّسًا لتلك الفكرة؛ ولذا فقد ساعدته العمة مارى جان ماليًّا للدراسة هناك. وفى باريس، قام مونيه بزيارة قاعات العرض الفنية واستوديوهات الفنانين. وقال كونستونت ترواين (1810-1865)، وهو أحد الفنانين الناجحين، عنه حينذاك: «إن مونيه لديه الموهبة»، مما دفع والد مونيه لتعضيد ولده ماليًّا لاستكمال تعليمه. ولكنه أراد أن تكون دراسة مونيه جادة، مليئة بالدروس والامتحانات، فى حين كان مونيه يفضِّل الالتحاق بالأكاديمية السويسرية، التى لم تكن تتبع الأسلوب التقليدى المعتاد فى تدريس الفن.

شمال فرنسا

نشأ مونيه بمنطقة تدعى «سانت أدريس»، تقع بجوار لوهافر، عند بداية نهر السين، وهى نقطة التقاء النهر بالقناة الإنجليزية. وتلك المنطقة تحديدًا تدعى «ماريتيم»، وهى جزء من نورماندى. وميناء لوهافر يأخذ شكلاً مربعًا يميل إلى الاستطالة بعض الشىء. وهو ملىء بالمبانى ذات الألوان الزاهية، والتى تتهادى على سطح البحر. وقد أحب مونيه المياه منذ البداية، كما أحب خلفية الميناء بمرتفعاتها الخضراء التى تلوح من وراء المنازل.

أما البيئة المحيطة، فهى مليئة بالمزارع والمبانى النورماندية الأثرية، ذات الأحجار الرمادية والصفراء. وقد كان مونيه شديد الإعجاب بالطريقة التى تنعكس بها أشعة الشمس على تلك الصخور الباردة، فتعكس معها كل ألوان الطيف. وقد زار مونيه طوال حياته أماكن كثيرة بشمال فرنسا، لكل منها طابع جذاب ألهمه شيئًا خاصًّا للتصوير.

نورماندى
باريس
القنال الإنجليزية
ديبى
لو هافر
رون
فيتوى
أرجينتوى
جيفيرنى
باريس
نهر السين
شالى
فونتانبلو

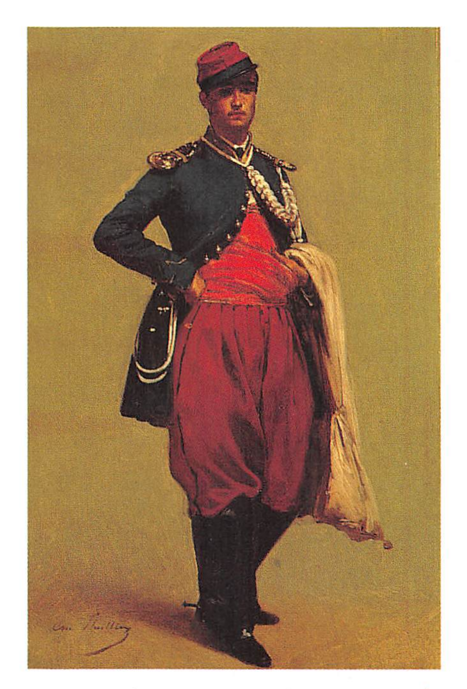
البدايات

كان مونيه إنسانًا مفعمًا بالحيوية، وذكيًا، وقادرًا على تكوين صداقات بسهولة. فبعد العمل بالتصوير طوال اليوم، كان يستمتع بالجلوس على أحد المقاهى العديدة بباريس، حيث يتبادل الحديث مع عدد من الفنانين والكتاب. ولكن بحلول عام 1861، التحق كجندى بالقوات المسلحة الفرنسية، وترك فرنسا إلى الجزائر وشمال أفريقيا.

وفى غضون العام الأول، مرض مونيه، وأُرسل إلى منزله فى لوهافر. ومرة أخرى، قامت العمة مارى جان برعايته. وبعد شفائه، بدأ التصوير من جديد فى الهواء الطلق مع الفنان بودين، وصديق آخر جديد، هو المصور الهولندى «يوهان بارتهولد يونجكيند» (1819-1891)؛ وقد تعلّم مونيه من يونجكيند الكثير من الأفكار، مثل تصوير العنصر الواحد بأضواء مختلفة.

«منذ ذلك الوقت أصبح يونجكيند أستاذى الحقيقى. فأنا أدين له بتطوير وجهة نظرى كمصور».

كلود مونيه



▲ **مونيه يظهر فى زيه العسكرى فى الجزائر، للفنان شارل مارى لويلييه، 1861. أحب مونيه الزى العسكرى الفضفاض، كما أحب الضوء والألوان التى رآها بالجزائر. وكان يعتبر التحاقه بالجندية بمثابة نوع من المغامرة!**



▶ **لوحة "المساء، لوهافر"، أوجين بودين، 1866. كان لبودين تأثير كبير على أعمال مونيه، فهو الذى وجّه اهتمامه للطبيعة. ومن خلال بودين، اكتشف مونيه التصوير فى "الهواء الطلق" الذى يعنى التصوير والوقوف المباشر أمام عناصر الطبيعة، وليس داخل الاستوديو.**

المرجع الزمنى ◀

يوليو 1861	1862	30 أكتوبر 1862	نهاية نوفمبر 1862
استدعى مونيه لأداء الخدمة العسكرية.	مرض مونيه ورجع إلى منزله فى لوهافر.	تقابل مونيه مع الفنان يوهان يونجكيند، والفنان أوجين بودين، وقاموا -معًا- برحلات للتصوير فى الهواء الطلق.	رجع مونيه إلى باريس والتحق بأكاديمية شارل جلير، والتقى الفنانين: أوجيست رينوار، وألفريد سيسلى، وفريديريك بازيل.

بداية الاحتراف

آنذاك، كانت العائلة قلقة بشأن أسلوب حياة مونيه ومستقبله؛ فالعمة مارى جان كانت على يقين بأن لوحاته لن يُكتب لها النجاح. وكرد فعل على ذلك، أصرّ مونيه على الدخول فى محاولة ليصبح «مصورًا وفنانًا محترفًا». ففى نوفمبر عام 1862، عندما كان عمره 22 عامًا تقريبًا، رجع مرة أخرى إلى باريس والتحق كدارس باستوديو فنان الإعلانات شارل جليير.

ابتكار أسلوب جديد

كان مونيه لا يزال يجد صعوبة فى الالتزام بقوانين الفن التقليدية؛ فعندما كان يُطلب منه أن يصور العناصر، والتفاصيل بدقة متناهية، كان يرفض؛ فقد كان يميل أكثر إلى تصوير العناصر بالأسلوب الذى يراها به. وعندما مرض شارل جليير، بدأ مونيه فى التصوير بحرية كاملة. وفى هذا الاستوديو، كان لمونيه ثلاثة زملاء آخرين؛ هم: أوجيست رينوار (1841-1919)، وألفريد سيسلى (1839-1899)، وفريديريك بازيل (1841-1870)، وقد شاركوه جميعًا وجهة نظره فى الفن. فنفذوا لوحاتهم باستخدام ضربات الفرشاة السريعة، مسجلين الألوان والأضواء المتدفقة من الطبيعة مباشرة. وقد كان هذا جديدًا، فلم يحدث أن استخدِم هذا الأسلوب فى فن التصوير بمثل هذه الجرأة.



▲ «جول ليكير بغابة فونتانبلو»، أوجيست رينوار، 1866. فى تلك الغابة الواقعة بالقرب من باريس، استمتع رينوار برحلات التصوير التى قام بها مع مونيه، وسيسلى، وبازيل. وهناك استطاعوا جميعًا التصوير باستخدام أساليب محببة إليهم.

التصوير فى الخارج

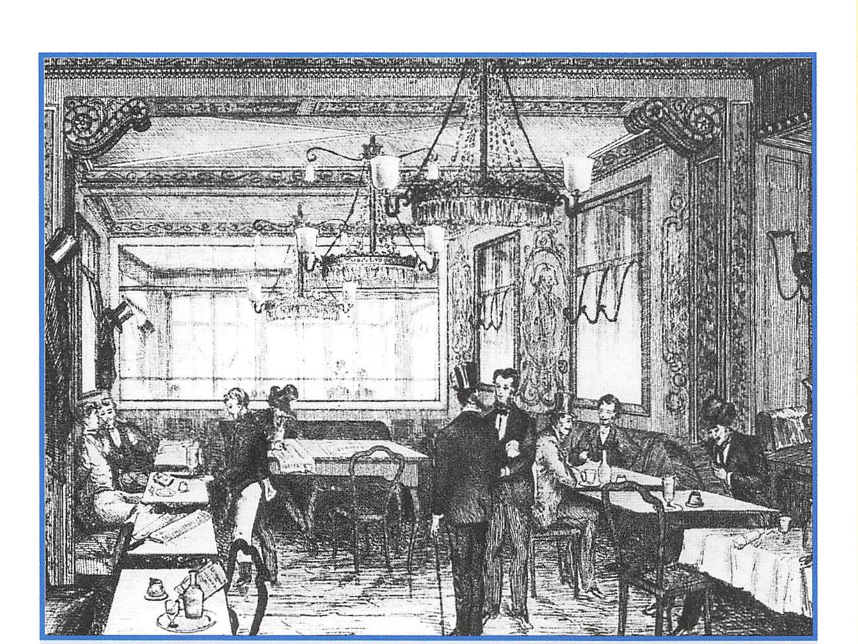
بدأ الأصدقاء الأربعة الخروج معًا فى رحلات للرسم فى الطبيعة. وكتب بازيل إلى والدته، يقول: «لقد أمضيت ثمانية أيام فى قرية شيلى الصغيرة بالقرب من غابة فونتانبلو. وكنت بصحبة صديقى مونيه، وهو متميز فى تصوير المناظر الطبيعية. وقد أعطانى بعض النصائح المفيدة التى ساعدتنى كثيرًا».

المشاكل المادية

فى حين كان مونيه وأصدقاؤه سعداء بتجربتهم الفنية الجديدة فى التصوير، كان هناك آخرون - منهم والد مونيه- غير راضين عنها. فكان أدولف مونيه لا يزال يشعر بخيبة الأمل لعدم تعلُّم ابنه الفن فى إيكول دى بوزار بباريس. وبناء عليه، قطع عن ابنه المعونة الشهرية مما تسبب فى خلق مشكلة مادية لمونيه طوال السيتينات من القرن الـ 19.

النجاحات الأولى

كانت باريس، عام 1860، مكانًا مثيرًا للشباب دارسى الفن. فبعد أوقات العمل، كان الفنانون والكتاب يتبادلون الأفكار على المقاهى، حيث انحصرت هناك دائرة أصدقاء مونيه، لتقتصر على من كان يراهم فى مقهى «براسيرى دى مارتير»، و«جيربوا».



▲ لوحة "كافيه بروكوب"، للفنان فون أوجين أندريه شامبليون، 1870. كانت مناضد المقهى تزدحم بمونيه وأصدقائه وهم يتجاذبون أطراف الحديث عن فنهم.

الصالون

كان يُقام فى باريس سنويًا معرض مهم لأعمال الفنانين المعاصرين، يسمى «الصالون». وكان أعضاء الأكاديمية الفرنسية للفنون الجميلة هم المسئولين عن اختيار الأعمال الصالحة للعرض. وكانت سمعة الفنانين - أو مدى شهرتهم - تلعب دورًا فى اختيار الأعمال المشاركة؛ ففى حين كانت تُقدم للمعرض آلاف اللوحات، كان معظمها يُرفض أحيانًا لأنها لوحات «حديثة أكثر من اللازم».

وفى عام 1863، رُفضت أعمال عديدة، حتى إن بعض الفنانين قاموا بالتظاهر. مما دفع نابليون الثالث، إمبراطور فرنسا لاحقًا، إلى تخصيص معرض للأعمال المرفوضة بقاعات قريبة.



▲ لوحة "أربع ساعات بالصالون"، الفنان فرانسوا بيار، 1847. كان الزائرون يتدفقون إلى داخل الصالون لرؤية الأعمال، مثلما نفعل اليوم عند الدخول إلى السينما لمشاهدة الأفلام.

معارضة العائلة

فى عام 1865، وقع مونيه فى حب موديل التصوير «كاميى دونسيو»، الأمر الذى زاد من حدة توتر العلاقة بينه وبين عائلته. فقد كانوا على يقين من أنها لا تناسبه. وبصرف النظر عن تلك المشاكل العائلية، استمر مونيه فى العمل بأسلوبه الفنى المتطور، مصورًا الأشياء كما يراها، ورافضًا للتقاليد القديمة فى التصوير. فنرى أسلوب رسمه واضحًا فى لوحة «مصب نهر السين عند هونفلور» (انظر إلى اليسار). وحتى عام 1866، تقدم مونيه بثلاثة أعمال إلى الصالون، وهى: لوحة «مصب نهر السين عند هونفلور»، ولوحتان أخريان إحداهما بورتريه لكاميى دونسيو. وقد فوجئ مونيه بقبول الصالون لعرض أعماله الثلاثة.

المرجع الزمنى ◄

مايو 1863	يوليو 1864	1865	15 يناير 1866	أبريل 1866
يعرض «صالون المرفوضين» أعمال الفنانين الذين رُفضوا من قِبل الصالون الرسمى.	إغلاق أكاديمية شارل جليير.	يستأجر مونيه استوديو بالاشتراك مع الفنان بازيل؛ وفيه يقابل كاميى دونسيو.	يترك مونيه الاستوديو المشترك بينه وبين الفنان بازيل، ويستأجر استوديو خاصًا به فى «منطقة بيجال» بباريس، حيث يصور لوحة «كاميى دونسيو» ويتقدم بها إلى الصالون.	يُبَلَّغ مونيه بقبول هيئة الصالون للوحاته الثلاثة التى تقدم بها، ومنها لوحة كاميى.



لوحة «مصب نهر السين عند هونفلور»، 1865.

ألوان زيتية على قماش، 88 × 148 سم، متحف نورتون سايمون، كاليفورنيا.

قام مونيه بتصوير لوحته فى الهواء الطلق أثناء إحدى رحلاته التى قام بها مع صديقه الفنان فريديريك بازيل. وفيها يظهر حبه الكبير للبحر والهواء النقى، لدرجة أننا نكاد نشعر برذاذ الموج على وجوهنا.

«شيئًا فشيئًا استطعت أن أفتح عينىّ،
وأن أتفهّم الطبيعة».

كلود مونيه

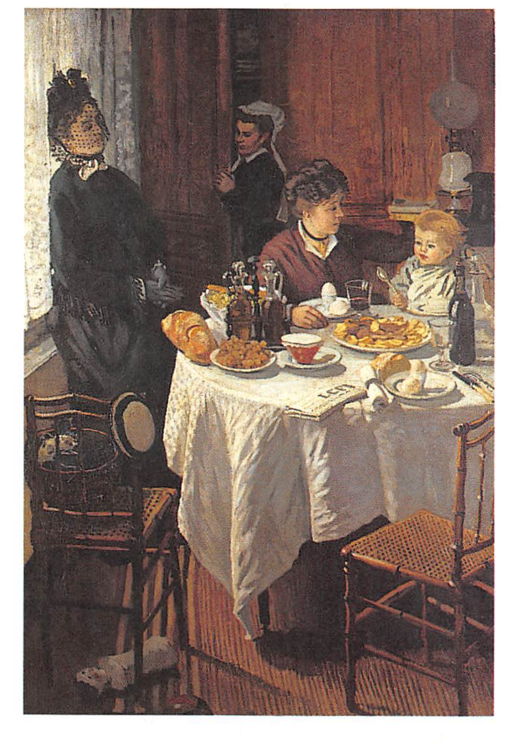
الفنان المكافح

إن رغبة مونيه العارمة فى العمل فى الهواء الطلق، كانت فكرة مثيرة سيطرت تمامًا على تفكيره مع الوقت. فقد كان يريد العمل فقط على تصوير المناظر الخارجية، التى لم تكن معروفة فى ذلك الوقت، وخاصة بنوعية اسكتشاته وألوانه. ولكنه كان يحتاج إلى المال؛ ولذا كان يرسم أى شىء يعتقد أنه سيباع. وتوقفت نجاحاته مع الصالون، ففى كل من 1867، و1868، و1869، رُفض عرض جميع أعماله.

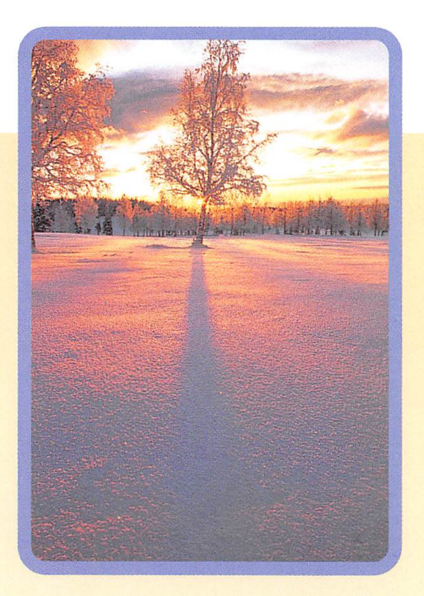
أصبح أبًا

رزق مونيه من زوجته كاميى بصبى أسماه جان، الأمر الذى ضاعف من أعبائه المالية. ولكن مونيه لم يستطع إبلاغ عائلته بخبر ارتباطه بكاميى، فكان والده لا يزال يرفض مساعدته، أو حتى الوقوف بجانبه بأية حال. فقد كان مونيه وكاميى فقراء، لدرجة أنهما أحيانًا كانا ينامان بدون تناول وجبة العشاء.

وبالرغم من هذه المشاكل، فقد استمر مونيه فى زيارة غابة فونتانبلو مع أصدقائه كلما استطاع ذلك. فقد أظهرت اللوحات -مثل «طائر العقعق» (انظر إلى اليسار) - أنه كان لا يزال يحاول ويُجرب أساليب جديدة فى التصوير، وتكوينات غير معتادة للمناظر الطبيعية. ولهذا السبب، رُفضت هذه اللوحة من قبل الصالون، عام 1869.



◀ لوحة «وجبة الغداء»، كلود مونيه، 1868. يظهر كاميل وجان فى اللوحة وهما مستمتعان بوجبة الغداء الدسمة، فى وقت كان يعتبر مونيه وعائلته فقراء. فمن المحتمل أن تكون هذه اللقطة مجرد تعبير عن حلم مونيه بفكرة العائلة.



▲ تُظهر هذه اللقطة، التأثير الدرامى للضوء الساقط على لون الثلوج، وهى مثل التأثيرات التى استخدمها مونيه فى لوحته "طائر العقعق" على الصفحة المقابلة.

ألوان الثلوج

من بين كل فصول السنة، أحب مونيه فصل الشتاء لتصوير مناظره وظلاله. وعلى عكس كثير من الفنانين التقليديين، الذين كانوا يصورون مناظر الثلوج مستخدمين اللون الأبيض الخالص، يتخلله الرمادى تعبيرًا عن الظلال، كان مونيه يصور الثلوج مستخدمًا ألوان المجوهرات الناصعة التى كانت تتراءى له فى أيام الشتاء الماطرة. ففى اللوحة المقابلة على سبيل المثال، نرى مونيه يضيف اللون الذهبى، الكريمى، والليمونى، والقرنفلى، للتعبير عن أشعة الشمس وهى تتخلل الأشجار، وأضاف اللون الأزرق، والرمادى، والبنفسجى الفاتح لرسم ظلال السور.

المرجع الزمنى ◀

يونيو 1867	8 أغسطس 1867	مايو 1868	25 أبريل 1869
سافر مونيه إلى لوهافر لقضاء الصيف مع عمته مارى جان.	أنجبت كاميى ولدًا من مونيه فى أثناء رحلته إلى لوهافر، ولم يستطع الذهاب إلى باريس.	انتقل مونيه وكاميى وولدهما جان للإقامة خارج المدينة. وبسبب الضائقة المالية، ساءت حالته النفسية، فألقى بنفسه فى نهر السين، ولكن -لحسن الحظ- قد نجا من الغرق.	انتقل مونيه مع كاميى وجان للعيش فى قرية سان ميشيل.



لوحة «طائر العقعق»، 1869.

ألوان زيتية على قماش، 89 × 130 سم ،متحف دورساى، باريس.

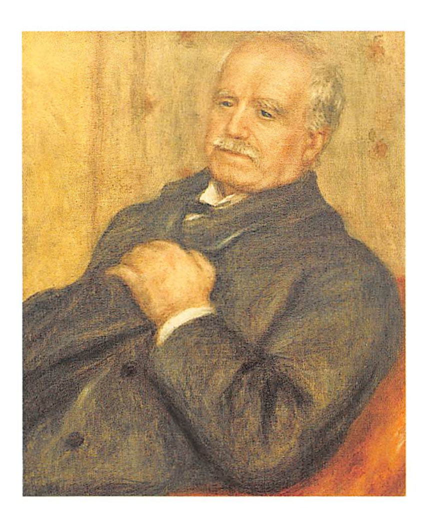
هنا استخدم مونيه ألوانًا مفعمة بالدراما لإظهار الدرجات اللونية للثلوج. ونرى اللونين الأبيض والأسود لطائر العقعق الواقف على البوابة يتباينان مع الألوان المشرقة المنتشرة فى أرجاء اللوحة، والتى تجذب انتباهنا إلى تفاصيل العناصر.

«سأذهب إلى الريف، فهو الآن مكان جميل؛
إذ إن حبى له فى الشتاء أكثر منه فى فصل الصيف».

كلود مونيه

الانتقال إلى لندن

فى صيف عام 1870، أعلن مونيه زواجه من كاميى رسميًّا، وأثناء قيام الحرب بين فرنسا وبروسيا فى يوليو من العام نفسه، انتقل مونيه إلى لندن تاركًا زوجته وولده هربًا من الالتحاق بالجيش والذهاب إلى الميدان. وفى حين توسَّل مونيه إلى صديقه فريديريك بازيل ألا يذهب إلى الحرب، فقد تطوع -رغم ذلك- بالجيش، وقُتل فى بداية الحرب.



▲ لوحة "بورتريه لباول دوراند رويل"، للفنان أوجيست رينوار، 1910. بول رويل هو تاجر لوحات فنية فرنسى، قابل مونيه عام 1870، وأصبح أحد المعضدين لأعماله.



▲ لوحة "يوم شتوى فى بيكاديلى"، لندن، للفنان فون جيوسيبه دى نيفيس، 1875. خلال عام 1870، كان الكثير من الفنانين يعملون فى لندن.

الإقامة فى لندن

وفى لندن (حيث انضم للإقامة معه زوجته كاميى وولده جان لاحقًا)، قابل مونيه اثنين من الفنانين الذين هربوا أيضًا من الحرب، وهما: كاميل بيسارو (1830-1903)، وألفريد سيسلى (1839-1899)، فقام الفنانون الثلاثة بزيارة المتاحف والمعارض، ودراسة أعمال الفنانَين كونستابل، وتورنر.

وهناك صور مونيه الكثير من المناظر داخل لندن، ومن بينها المتنزهات ونهر التيمس (انظر إلى اليسار) فى عام 1871. وقام الأصدقاء أيضًا بمقابلة تاجر الفن الفرنسى باول دوراند رويل الذى أُعجب بأعمالهم، وقام بشراء عدد من لوحاتهم.

لندن فى السبعينيات

كانت لندن فى سبعينيات القرن التاسع عشر، إحدى كبريات مدن العالم التى تموج بالحركة. فقد كانت الشوارع غاصّة بالمشترين، والباعة الجائلين، والمركبات التى تجرها الجياد، وراكبى الدراجات المنتشرين فى كل مكان. وفى باطن الأرض، كان المسافرون يتوافدون على قطارات الأنفاق، حيث يستمتعون بمشاهدة الأضواء التى تنبعث فى الليل من المصابيح الكهربائية، بدلاً من تلك التى تصدرها مصابيح الكيروسين المعتادة. وضاعفت حركة القطارات والبواخر من معدلات النمو السكانى، مما ساعد على نمو المدينة. ولقد شعر اللندنيون بالفخر تجاه مدينتهم العصرية العالمية، التى جذبت إليها الزائرين من شتى بقاع العالم، بمسارحها ومتنزهاتها، ومتاحفها، بالإضافة إلى قاعات الموسيقى، وصالات العرض.

المرجع الزمنى ◄

25 يونيو 1870	19 يوليو 1870	سبتمبر 1870	18 نوفمبر 1870	أواخر نوفمبر 1870	يناير 1871
أعلن مونيه زواجه من كاميى رسميًّا، وأعطتها عائلتها هديَّة الزواج.	أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا.	سافر مونيه إلى لندن هربًا من الحرب الفرنسية - البروسية، وبعد أسبوعين لحق به كل من كاميى وجان.	قتل فريديريك بازيل فى الحرب.	قابل مونيه تاجر اللوحات الفنية باول دوراند رويل، الذى اختار بعض أعمال مونيه لعرضها لاحقًا.	صوّر مونيه مناظر من لندن.



لوحة "نهر التيمز تحت مبنى البرلمان الغربى"، 1871.

ألوان زيتية على قماش، 47 × 5, 72 سم، المتحف القومى، لندن.

فى هذه اللوحة صوّر مونيه أحد المبانى الحديثة بلندن؛ فمبانى البرلمان (الجناح الغربى) قد أعيد بناؤها عام 1847 بعد أن أتت عليها النيران عام 1834، وكذلك ساعة «بج بن» كان قد اكتمل بناؤها عام 1858، وأيضًا كوبرى «ويست منستر»، الذى افتتح عام 1862. الرجال فى اللوحة يزيلون حواجز المياه التى كانت تُستخدم عند سد فيكتوريا؛ وقد صوَّر مونيه تلك اللوحة من الضفة الأخرى للنهر.

«أنا ومونيه كُنَّا متحمِّسين للغاية للطبيعة فى لندن؛ فكنا نعمل بوحى منها».

كاميل بيسارو

الحرب الفرنسية - البروسية



لوحة "هزيمة باريس"، إرنست ميسونييه، 1871. لقد عانى أهالى باريس كثيرًا عندما انتصر البروسيون واحتلوا المدينة.

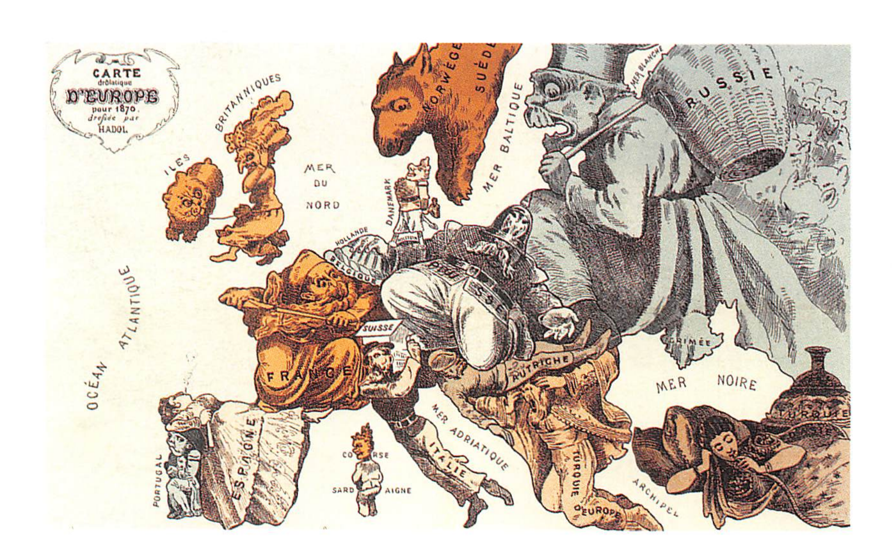
أصبح نابليون الثالث (ابن أخى نابليون بونابرت) عام 1852، إمبراطورًا على فرنسا، وكان دوره معروفًا لإمبراطوريته الثانية.

ولكن توازن القوى فى أوروبا قد تغير؛ فقد أصبحت بروسيا - تدريجيًّا - صاحبة الكلمة العليا فى ألمانيا. وتمكنت بروسيا، بقيادة المستشار أوتو فون بسمارك، من توحيد ألمانيا - تدريجيًّا - لتصبح دولة كبيرة، فى حين شعرت فرنسا بتزعزع مركزها بعد أن كانت القوة الأوروبية العظمى.

نقطة التحول

فى غضون عام 1870، انقلبت الأوضاع رأسًا على عقب، عندما حاول بسمارك وضع أمير ألمانى على عرش إسبانيا. فقد أثار هذا الموقف غضب وزير خارجية فرنسا، الذى اتهم البروسيين بمحاولة الإخلال بميزان القوى فى أوروبا.

وفى يوليو عام 1870، أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا، التى كانت على أهبة الاستعداد لهذه الحرب، فاستطاعت أن تخطط لها بحنكة. وهو ما أدى إلى حدوث كارثة لفرنسا، فى حين أصبحت ألمانيا رسميًّا بلدًا موحدًا.



هذه اللوحة «حفر على خشب» طبعت قبل اندلاع الحرب الفرنسية - البروسية، وهى توضح البلدان الأوروبية بأشكال آدمية ذات هيئات مختلفة.

الهزائم الفرنسية

فى أثناء شهر أغسطس عام 1870، مُنى الجيش الفرنسى بهزائم كثيرة، وفى سبتمبر، فى سيدان بشمالى شرق فرنسا، كانت الهزيمة الكبرى؛ حيث أسر نابليون الثالث، وسقطت بالتالى الإمبراطورية الفرنسية الثانية، وتحولت فرنسا إلى جمهورية مرة أخرى.

سقوط باريس

احتل البروسيون باريس، وواجه أكثر من مليونى إنسان الجوع والمرض. ففى عام 1871، أُعلِنت الهدنة. وفى مارس من العام نفسه، غادر البروسيون باريس مرة أخرى. وبسبب خسارة فرنسا لتلك الحرب، أُجبرت على دفع خمسة مليارات من الفرنكات لبروسيا، كما أُجبرت على التنازل لبروسيا عن أكثر المناطق ثراء بالفحم، والحديد، وبعض المعادن الأخرى، وهى منطقة الزاس لورين.

المُنشقُّون

بعد هذه الحرب الطويلة، اندلعت فى أرجاء باريس حرب أخرى، وكانت هذه المرة حربًا أهلية. فقد كان البعض غاضبًا من استسلام فرنسا لبروسيا، ومن انحياز الحكومة الجديدة فى قصر فرساى - آنذاك- للأغنياء؛ لذلك شرعوا فى إجراء انتخابات من أجل اختيار حكومة جديدة، أعلنت القيام بمسؤولياتها فى باريس، غير أن حكومة فرساى لم تعترف بها، وزُجَّ بالجيش ليتورط فى مجازر حربية أكثر شراسة من الحرب مع بروسيا، وهُزم المنشقُّون، ولكنَّ الجيش كان قد قتل أكثر من 20,000 نسمة؛ وهو ما يفوق عدد ضحايا الحرب مع بروسيا.

آثار الحرب على مونيه

عاد مونيه مرة أخرى إلى باريس فى أواخر عام 1871، فوجد أن الناس مولعون فقط بالأعمال الفنية التقليدية؛ ومن ثم، فقد نفروا من الاتجاهات الحديثة فى التصوير، وأصبحت اللوحات التى تتناول قصص البطولة هى السائدة، والمرغوبة، حيث إنها تولِّد مشاعر الفخر والانتماء لدى الفرنسيين. وبسبب نفور الناس من الاتجاهات الفنية الحديثة آنذاك، كان صعبًا على مونيه وأصدقائه أن يبيعوا لوحاتهم التى كانوا يصورونها.



▲ لقطة فوتوغرافية أُخذت عام 1871، أثناء انشقاق باريس، وهى تُظهر المتاريس فى الشوارع.

الرجوع إلى فرنسا

علم مونيه بوفاة أبيه فى يناير عام 1871، كما علم بأنه ورث عنه بعض المال، ولكنه لم يعد مباشرة إلى فرنسا، مفضلاً البقاء فى لندن ليتحاشى المشاكل القائمة فى باريس. ولكن عائلته تركت لندن أواخر مايو، وسافرت عبر هولندا، لتقيم فى مكان يسمى «زاندام»، حيث قام مونيه برسم العديد من اللوحات.



▲ منظر لباريس عام 1871.
تظهر تلك اللوحة آثار الدمار الذى خلفته الحرب الفرنسية-البروسية، والمنشقون.

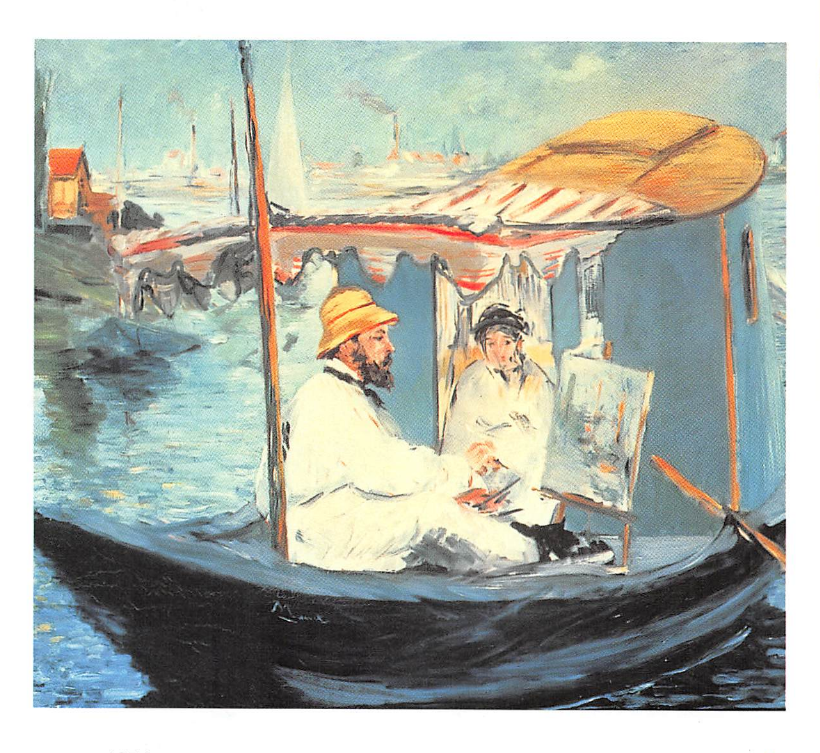
أرجينتوى

فى نوفمبر عام 1871، عادت العائلة إلى باريس التى دمرت الحرب مناطق عديدة منها، وما لبث أفراد العائلة أن انتقلوا ليقيموا فى منزل استأجروه فى أرجينتوى، وهى مدينة جميلة على ضفاف نهر السين. وبدأ مونيه يجرب تصوير اليخوت، والقطارات، والورود، والأشخاص، وبالإضافة إلى تأثير الضوء، والمياه، فقد كان يرسم يوميًّا من ضفة النهر، أو من فوق قاربه الذى حوله إلى استوديو طافٍ، كما أتم تصوير لوحة «ريجاتا فى أرجينتوى» فى تلك الفترة.

تدمير باريس

ليس غريبًا أن يتحاشى مونيه الرجوع إلى باريس بعد عودته إلى فرنسا. فلقد شهدت باريس أحداثًا قاسية دمرتها، وخلفت الآلاف من القتلى.

ولكن، بحلول عام 1872، اجتمع عدد من المعماريين والمقاولين، والمسئولين، والشخصيات العامة، لإعادة بناء عاصمتهم. وفى غضون عشرين عامًا، تحولت باريس من مدينة موحشة للأشباح، إلى مدينة متألقة، عالمية وحديثة، تغصّ بالمقاهى، والمطاعم، والمتنزهات، والميادين، والكنائس، والمسارح.



▲ مونيه وهو يصور فوق القارب- الاستوديو الخاص به، إدوارد مانيه، 1874.

المرجع الزمنى ◄

17 يناير 1871	أواخر مايو 1871	نوفمبر 1871	نهاية 1871	يناير 1872	يونيو 1872	1872-1874
توفى الوالد أدولف مونيه، وورث مونيه عنه بعضًا من المال.	ترك مونيه وعائلته إنجلترا وذهبوا إلى هولندا.	عادت العائلة إلى باريس.	انتقلت العائلة للعيش فى أرجينتوى.	بدء العمل فى إعادة تعمير باريس.	اشترى دوراند رويل 25 لوحة من أعمال مونيه.	صوَّر مونيه فى أرجينتوى، وغالبًا من على سطح القارب- الاستوديو العائم.



لوحة "ريجاتا فى أرجينتوى"، 1872.

ألوان زيتيَّة على قماش، 48 × 75 سم، متحف دورساى، باريس.

بقى حب مونيه مصاحبًا له، وهنا لم يصوِّر كل تفصيلة، ولكنه عبر عنها بضربات فرشاة ومجموعة من الألوان، لإعطاء حس الانعكاس الضوئى الذى كان يراه، وهنا لن نرى تفاصيل طبيعية وواقعية، ولكن المساحات ووضوح الدرجات اللونية تظهر إشراقة يوم مُشمِس.

«هذا الرجل سوف يصبح أكبر مكانة منا جميعًا، فاشتروا لوحاته».

شارل- فرانسوا دوبينيى (1817–1878)، مُصوِّر مناظر طبيعية فرنسى

لقد وُلِدَت المدرسة الانطباعية



▲ أول معرض انطباعى أقيم فى استوديو للفوتوغرافيا فى بولفار دوكابوسين (أعلاه). وكان أجر الدخول فرنكًا واحدًا للزائر. وكان الزائرون يندفعون للدخول، قادمين، فى الأساس، للضحك على الألوان الناصعة، واللوحات التى تعكس حالة أشبه ما تكون بالإسكتشات.

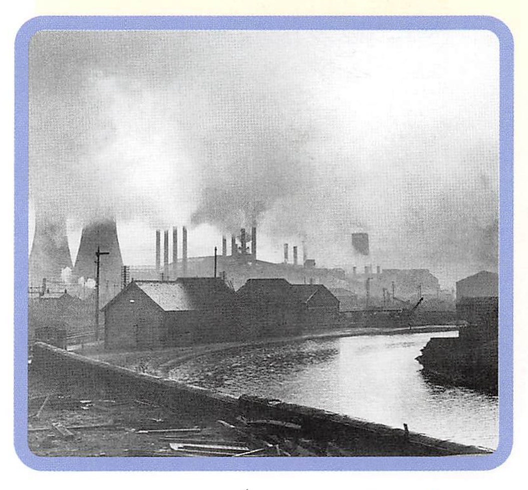
حياة التصوير الحديثة

لقد عاصر مونيه زمن الثورة الصناعية؛ حيث سهَّلت الآلات الحديثة سُبل الحياة، ولكنها كانت قبيحة المنظر، كما كانت تنتج كثيرًا من الأبخرة، فامتنع الفنانون التقليديون عن تصويرها؛ ولذلك أعتُبر مونيه مُعاديًا للفن التقليدى مرة أخرى، حينما صوَّر كبارى السكك الحديد، والتأثيرات الناجمة عن الأبخرة، وأشكال الناس فى أزيائهم الحديثة. لقد صُدم الناس، لكن مونيه كان أمينًا فى تصويره لكل ما يراه.

فى عام 1874، كان مونيه وأصدقاؤه غير سعداء بقرار الصالون برفض أعمالهم، لذا فقد قرروا عمل معرض مستقل لهم؛ فأقام 29 فنانًا - من بينهم مونيه، كاميل بيسارو، ألفريد سيسلى، أوجيست رينوار، بول سيزان، إدجار ديجا، إدوارد مانيه، يوهان يونجكيند - معرضًا خاصًا بهم قبيل افتتاح الصالون فى استوديو للفوتوغرافيا.

لم يكن المعرض ناجحًا، ولكنه وجَّه الاهتمام إلى الفنانين؛ فقد كان الناس يذهبون إليه - فى الأساس - للضحك، حتى إن لويس ليروى أحد نقاد الفن التشكيلى، كتب مقالاً مهينا بعنوان «معرض الانطباعيين»، وكان هذا بعد رؤيته لوحة مونيه «انطباع - غروب الشمس» (انظر إلى اليسار). فقد اتهمهم الناقد بأنهم لا يستطيعون التصوير، ولكنهم يُنتجون أعمالاً مشوَّهة، ورغم ذلك سرعان ما ذاع اسم «الانطباعية» كاتجاه فنى تبناه الفنانون أنفسهم، ورأوا فيه مصطلحًا يتوافق مع ما يصورونه وما يؤمنون به كفنانين.

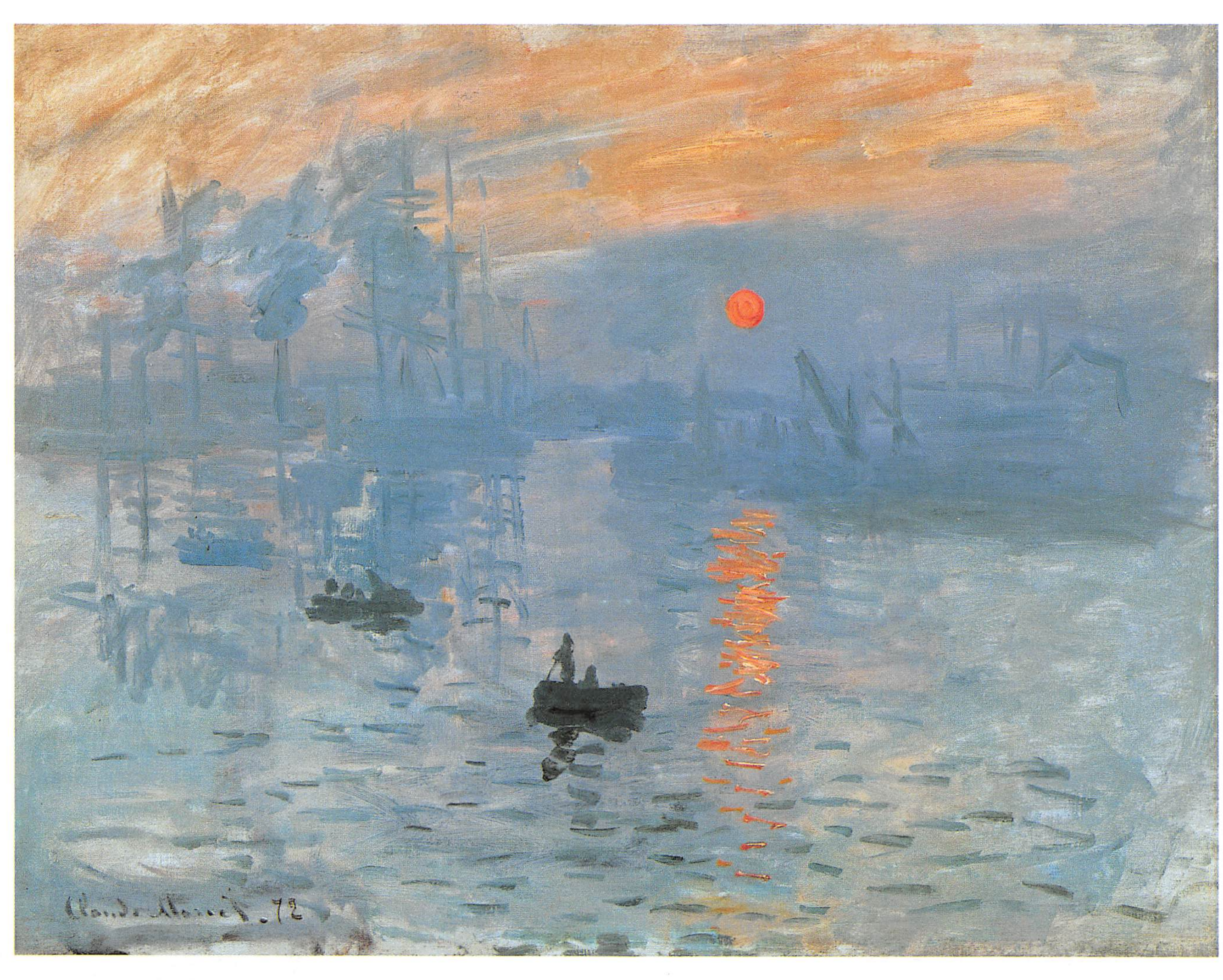
وبعد مرور عامين - عندما عرض الانطباعيون أعمالهم بمنزل تاجر الفن بول دوراند رويل - كان الزائرون مازالوا يضحكون على الأسلوب الاسكتشى، وعلى المناظر الصناعية، وصور الحياة الباريسية الموجودة بلوحاتهم، ولكن بالنسبه للصحافة، فقد رأفت بهم تلك المرة.



▲ لم يكن مونيه خائفًا من تصوير الواقع الصناعى فى فرنسا، مثل تلك التأثيرات لأبخرة العوادم التى ظهرت فى سماء باريس.

المرجع الزمنى ◄

يناير 1873	15 أبريل 1874	24 أبريل 1874	بدايات 1875	مارس 1875	أبريل 1876
مونيه يستقر فى لوهافر يصور مناظر البحر.	أقام مونيه وأصدقاؤه أول معرض لهم.	نشر الناقد الفنى لويس ليروى مقالة تحت عنوان «معرض الانطباعيين».	انتقل مونيه وعائلته إلى منزل آخر صغير لمواجهة المشاكل المالية.	باع مونيه وأصدقاؤه بعضًا من لوحاتهم ولكن بأسعار زهيدة.	أقيم معرض الانطباعيين الثانى بمنزل تاجر اللوحات الفنية دوراند رويل.



لوحة "انطباع - غروب الشمس"، 1872-1873.

ألوان زيتيَّة على قماش، 48 × 63 سم، متحف مارموتان، باريس.

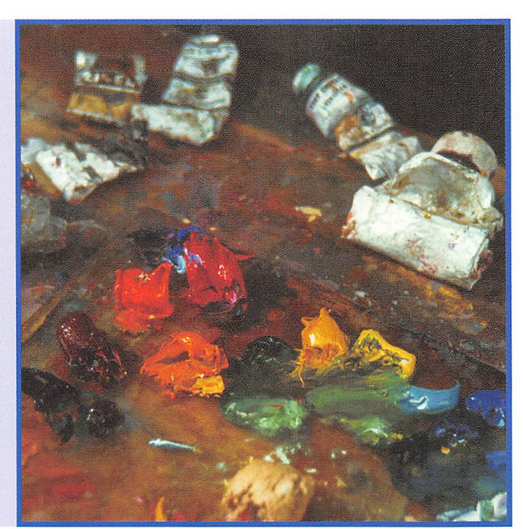
كان مونيه يصف لوحته تلك بأنها ليست بالمنظر الطبيعى للبحر عند لوهافر، ولكنها منظر يعبر عن تغير الضوء، فهى لوحة تسجل الحالة، ولكنها لا تصور المنظر، وقد رسمها مونيه من خلال نافذة غرفته بالفندق الذى كان يقيم به بلوهافر عام 1873، وقد عرضت بمعرض الانطباعيين الأول عام 1874.

«...هناك شىء قمت به بلوهافر: الشمس أظهرتها منعكسة على سطح المياه الملىء بالضباب، واخترت عددًا محدودًا من المراكب الشراعية الصغيرة... وقلت حين ذاك: هذا ما يسمى انطباعًا».

كلود مونيه

تفهُّم الدرجات اللونية

مَثَّلت الألوان بالنسبة إلى مونيه وأصدقائه من «الانطباعيين» محورًا أساسيًّا. فعلى النقيض من الأسلوب التقليدى فى التصوير حين ذاك، وهو الأسلوب الذى تتوازى به حرفية الرسم مع درجات الألوان المضافة المشابهة للواقع بقليل من التفصيل، كان الانطباعيون يعملون بسرعة، ولا يبدأون برسم التفاصيل. وفوق ذلك، فقد كانوا يستعملون الألوان المتاحة لهم بكل حرية. فحتى القرن التاسع عشر، لم تكن الأصباغ (ألوان التصوير) التى يستخدمها الفنانون موجودة بوفرة. ولكن مع التقنيَّات الكيميائية والصباغية الحديثة حينئذ، استطاع الفنانون -فجأة- اكتشاف التصوير بألوان جديدة. وفى النهاية؛ أصبحت للفنانين قدرة على إنتاج درجات ألوان الضوء الطبيعية التى تُظهر مثلاً نصاعة ضوء الشمس وانعكاساته على سطح البحر.



◄ بعد الأربعينيات من القرن الـ 19، أصبحت الألوان الزيتية تخزن وتُعَبَّأ فى أنابيب معدنية ذات غطاء. وبهذا لم يعد الفنانون يخافون عليها من الجفاف. كما كانوا يستطيعون الذهاب بكل حرية، ليصوروا كيفما يشاءون، وفى أى وقت يريدون.

الألوان المُعَبَّأة

كانت الألوان فى الماضى تُخلَط من مساحيق الأكاسيد، الأمر الذى كان يستغرق مجهودًا ووقتا كبيرين، ولكن مع منتصف القرن الثامن عشر، كانت الألوان الزيتية تباع فى شكل أنابيب معدنية مخلوطة وجاهزة للاستخدام مباشرة، وهو ما أتاح الفرصة لاستخدامها فى الرحلات التصويرية. ولذا استطاع الفنانون لأول مرة ترك استوديوهاتهم فى أى وقت يريدون ليذهبوا إلى أى مكان يريدونه. وقد اغتنم الانطباعيون تلك الفرصة، وصوروا بالألوان الخالصة مباشرة على القماش، وابتكروا بذلك تأثيرات تفيض بالحيوية.

«إن ألوان الأنابيب أتاحت الفرصة لنا للتصوير من الطبيعة بكل حرية، ومن دون ألوان الأنابيب، ما كان هناك سيزان، أو مونيه، أو بيسارو، أو أى وجود للانطباعية».

أوجيست رينوار (1841–1919)



▲ لوحة بورتريه لكلود مونيه، أوجيست رينوار، 1875. تظهر تلك اللوحة مونيه وهو يصور من خلال النافذة. ونرى هنا لوحة مزج الألوان ممتلئة بألوان كثيرة، فقد كان يستخدم أكثر من فرشاةٍ للوحة الواحدة.

إن لوحة مونيه «انطباع - غروب الشمس» بالصفحة السابقة، تظهر كأنها صورة مهزوزة. وقد نتج هذا من طريقة استخدام مونيه للألوان الزيتية. فلم يكن يفكر فيما يصوِّرُه من منظر، ولكن اهتمامه كان منصبًّا على ما يراه، وبالتحديد مساحات الألوان التى تظهر له فى الطبيعة.

لوحة ألوان الانطباعيين

لم يكن الانطباعيون يستخدمون اللونين الأسود والأبيض فقط لإظهار درجات الظلال؛ ولكنهم كانوا يستعملون الألوان المتباينة الأخرى، وهو ما جعل لوحاتهم تبدو أكثر إشراقًا عن لوحات من سبقهم من الفنانين. وعلى أية حال، لم تكن هذه الفكرة فكرتهم فى الأساس، فقد كان للاكتشافات العلمية تأثير واضح فى انتهاج هذا الأسلوب فى التلوين.

النظريات العلمية

فى منتصف القرن التاسع عشر، بدأ العلماء فى اكتشاف وتطوير نظريات جديدة عن الألوان، وليس من المؤكد أن الفنانين المعاصرين حينذاك قد استوعبوا تلك النظريات، ولكنهم بوعى، أو بلا وعى، قد استخدموها بطريقة عملية. ويثير اهتمام الفنانين، من أمثال مونيه، نوعية الضوء، والطريقة التى ترى بها العين الأشياء، فقد أدركوا أن الظل لا يمكن أن يتكون من درجات الأسود والرمادى فقط، وأدركوا أن درجات ألوان الضوء تغير من ألوان العناصر ذاتها. فعلى سبيل المثال، فإن لون أكوام القش أصفر، ولكنه قد يظهر فى أضواء مختلفة ذهبيًّا، أو أزرق أو حتى بلون أحمر. وقد أظهر مونيه جماليات تغيُّر الضوء فى لوحته «أكوام القش، صباحًا فى نهاية الصيف».

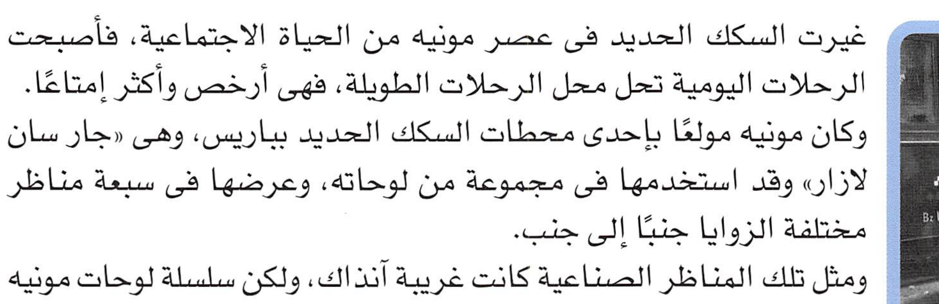
عام 1666، اكتشف العالم «سير إسحق نيوتن» (1642-1727) أن ما نراه فى اللون الأبيض يعكس سبعة ألوان: الأحمر، البرتقالى، الأصفر، الأخضر، الأزرق، النيلى، والبنفسجى، وبمنتصف القرن التاسع عشر، كتب الكيميائى أوجين شيفروى، كتابًا عن الألوان. وقد صمَّم تلك الدائرة اللونية لإظهار العلاقات بين الألوان التى كان قد اكتشفها نيوتن من قبل. فالألوان الباردة، مثل الأزرق، تظهر كأنها ترجع إلى الخلف، فى حين تظهر الألوان الدافئة، مثل الأحمر، وكأنها تتقدم إلى الأمام.

وتظهر الألوان المتواجدة داخل الدائرة اللونية بشكل ناصع عندما توضع متجاورة. فعلى سبيل المثال، اللون الأحمر واللون الأخضر أو الأزرق واللون الأصفر، تسمى بالألوان التكميلية. ونرى فى لوحات مونيه الكثير من الألوان التكميلية بجانب بعضها البعض.

كيف نرى الألوان

اكتشف العلماء أننا جميعًا نرى الألوان بصورة مختلفة، حتى الألوان المتناقضة أو التكميلية، تظهر بدرجات أكثر نصاعة عندما تُوضع بجانب بعضها البعض. ومن المُحتمل أن مونيه قد عمل بتلك النظرية. فقد استخدم لوحة خلط ألوان مليئة بألوان متعددة. ومنذ عام 1870، نراه يتحاشى التصوير باللون الأسود بقدر الإمكان.

العالم الصناعى



غيرت السكك الحديد فى عصر مونيه من الحياة الاجتماعية، فأصبحت الرحلات اليومية تحل محل الرحلات الطويلة، فهى أرخص وأكثر إمتاعًا. وكان مونيه مولعًا بإحدى محطات السكك الحديد بباريس، وهى «جار سان لازار» وقد استخدمها فى مجموعة من لوحاته، وعرضها فى سبعة مناظر مختلفة الزوايا جنبًا إلى جنب.

ومثل تلك المناظر الصناعية كانت غريبة آنذاك، ولكن سلسلة لوحات مونيه لمحطة القطارات صورت الحالة، وعكست مدى الطاقة والحركة البادية فى تلك المحطة بكل تأثيراتها.

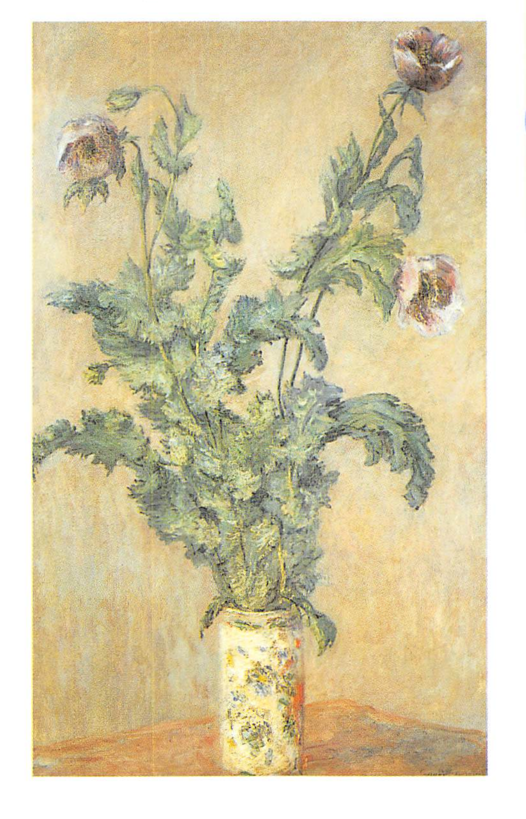


▲ افتتحت عام 1828، أول محطة سكة حديدية فى فرنسا. وفى غضون أعوام قليلة، حلت عربات السكة الحديد التجارية محل العربات التى تجرها الخيول كعربات للسفر الطويل. وأصبح لباريس أول خط سكة حديد عام 1837. وبغضون عام 1841، كان هناك أكثر من 560 كيلومترًا من خطوط السكك الحديد فى فرنسا.

نهضة الانطباعية

فى عام 1878، رزق مونيه بابنه الثانى ميشيل. ولاحقًا بالعام نفسه، انتقل مونيه وعائلته إلى «فيتوى»، وهى قرية تقع على السين بالقرب من باريس. وهناك عاشوا مع أليس هوشيديه وأطفالها. وصوَّر مونيه المناظر حول القرية وعلى ضفاف النهر. ولكسب المال، صوَّر أيضًا مناظر للطبيعة الصامتة، حيث كانت تباع حينذاك أكثر من المناظر الطبيعية (الخارجية).

وبنهاية عام 1870، بدت لوحات الانطباعيين أكثر شعبية. وأصبح تاجر الفن بول دوراند رويل أكثر نشاطًا فى الترويج لهم. فبين عامى 1878 و1879، عرض مونيه لوحاته فى معرضين آخرين للانطباعيين. وفى عام 1879، توفيَّت كاميى بعد مرض طويل.



◀ لوحة "الزهور الأرجوانية"، كلود مونيه، 1879. إحدى لوحات الطبيعة الصامتة التى صوَّرها مونيه للحصول على المال أثناء مرض كاميى.

الحداثة

بنهاية عام 1870، أصبح مردود الحداثة منتشرًا بجميع أنحاء العالم. فانتشرت السكك الحديد بين البلدان كشبكات مواصلات، ولتربط بين الأماكن المختلفة، وأتاحت بالتالى إمكانية العمل فى مكان، والعيش فى مكان آخر.

وفى فرنسا، أصبح لشبكة السكك الحديد الجديدة اسم مستعار هو «أماكن الصناعة الحديثة». وقد كان الانطباعيون أنفسهم يرتحلون بصفة مستمرة، بواسطة القطار، لزيارة الريف خارج باريس.

المرجع الزمنى ◀

يناير 1877	5 أبريل 1877	17 مارس 1878	أغسطس 1878	10 أبريل 1879	5 سبتمبر 1879
بدأ مونيه الرسم فى جار سان لازار.	معرض الانطباعيين الثالث.	رُزق مونيه بابنه الثانى ميشيل، ومرضت زوجته كاميى.	انتقل مونيه للعيش فى فيتوى مع إرنست وأليس هوشيديه وأولادهم الستة.	معرض الانطباعيين الرابع، حيث عرض مونيه 29 لوحة من أعماله.	تُوفيَّت زوجته كاميى.



لوحة "منظر داخلى لمحطة قطار جار سان لازار"، 1877.

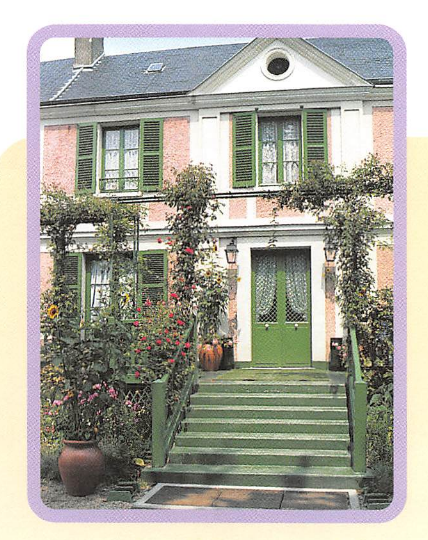
ألوان زيتيَّة على قماش 3 ,54 × 6 ,73 سم، المتحف القومى بلندن.

كان مونيه مولعًا بالضوء الساقط من خلال سقف المحطة الزجاجى ذى الإطارات الحديدية، وأيضًا بألوان السحب والأبخرة المنبعثة من القطارات. فقد رسم 12 لوحة للموضوع نفسه، ولكل منها طابعها الخاص.

«إن تلك البنايات الزجاجية الضخمة، مثل محطة سان لازار، تعلو فوق تلك المدينة كسموات شاسعة».

مارسيل بروست (1871–1922)، روائى فرنسى

البحث عن الإلهام



▲ منزل مونيه بجيفيرنى.

رفض الصالون

على الرغم من قيام معارض خاصة للانطباعيين، كان قبول الفنانين داخل صالون باريس ذا أهمية كبرى بالنسبة لنجاحهم المادى. ففى عام 1880، أصبح مونيه معروفًا بأسلوبه الخاص فى التصوير، ولكنه كان لايزال فى احتياج لمزيد من الدعاية حتى يتمكن من بيع لوحاته. ولذا، فقد كان سعيدًا بتجديد قبوله فى الصالون، ولكن بعضًا من أصدقائه ظنوا أنه قد أصبح بذلك ضد وجهة نظرهم كفنانين مستقلين.

وفى عام 1881، وافق بول دوراند رويل على شراء معظم أعمال مونيه. وبذلك، لم يعد مونيه مضطرًا لمواجهة خطورة رفض الصالون لأعماله. ولذا، فقد أدار ظهره للصالون إلى الأبد.

بعد وفاة كاميى، بقى مونيه وولداه للإقامة بمنزل أليس هوشيديه وأولادها الستة. فقد قامت أليس بتمريض كاميى أثناء فترة مرضها وقامت برعاية ولديها جان وميشيل مثلهما مثل باقى أولادها الستة، كما ساعدت مونيه على سداد ديونه، وهناك صوَّر مونيه لوحته «حديقة الفنان» (انظر إلى اليسار).



▶ لوحة "المصور كلود مونيه" لجوستاف كايبوت، 1884، وهنا يظهر مونيه وهو يتجول بالقرية الهادئة جيفيرنى، الواقعة على بعد حوالى 85 كيلومترا من باريس.

وفى ديسمبر عام 1881، انتقل مونيه وأليس مع الأولاد إلى بواسى بالقرب من باريس. وسرعان ما انتقلوا جميعًا مرة أخرى إلى جيفيرنى، الممتدَّة على نهر السين، حيث قاموا بتأجير منزل بحديقة قرب نهر صغير.

السفر بغية الحصول على الإلهام

أبدى مونيه شكواه لدى تاجر الفن بول دوراند رويل بأنه يحتاج إلى الإلهام. وفى عام 1883، قام مع أوجيست رينوار برحلة فنية إلى جنوب فرنسا والريفيرا الإيطالية. وما بين عامى 1883 وعام 1885، قام بأكثر من رحلة للبحث عن المناظر الطبيعية المثيرة.

المرجع الزمنى ◀

أبريل 1880	1 مايو 1880	يونيو 1880	فبراير 1881	مارس 1881	ديسمبر 1881	ربيع 1882	2 أبريل 1883
لم يقم مونيه بالاشتراك بالمعرض الخامس للانطباعيين.	قدم مونيه لوحتين فى صالون باريس، ولكن واحدة منهما فقط قد قبلت.	قام مونيه بأول معرض فردى له.	قرر مونيه عدم الاشتراك بصالون باريس مرة أخرى.	لم يقم مونيه بالاشتراك فى معرض الانطباعيين السادس.	انتقل مونيه وأليس مع الأولاد إلى مدينة بواسى.	قام مونيه بالاشتراك فى معرض الانطباعيين السابع.	قام مونيه وأليس مع الأولاد بالانتقال إلى جيفيرنى.



لوحة "حديقة الفنان" بفيتوى، 1880.

ألوان زيتية على قماش، 121 × 4, 151 سم، المتحف القومى للفنون ، واشنطن.

لقد أحب مونيه الزهور مثلما أحب أولاده. وهنا قام مونيه بتصويرهم مع أليس وهم يرتدون جميعًا لباسًا أبيض فى تباين واضح مع الزهور الطويلة الناصعة الألوان.

النجاح فى النهاية

عن طريق عرض اللوحات فى معارض خاصة، والابتعاد عن الاشتراك فى الصالون، قام مونيه وأصدقاؤه بتغيير وجهة نظر متلقى الفن. وأُقيم آخر معرض للانطباعيين فى يونيو عام 1886، وكان المعرض الثامن لهم، ولكن مونيه لم يقم بالاشتراك به. ولكن فى خلال الثمانينيات من القرن التاسع عشر، كانت هناك معارض كثيرة للوحاته، ليس بباريس فحسب؛ ولكن فى جميع أنحاء العالم. ففى عام 1889، قام مونيه وبعض من الانطباعيين بعرض لوحاتهم بمعرض الاكتشافات العالمية بباريس. ولاحقًا -بنهاية العام نفسه- اشترك مونيه فى معرض مع النحَّات أوجيست رودان (1840-1917)، ونجح المعرض نجاحًا هائلاً. وفى عام 1890، أصبحت له القدرة على شراء منزل بجيفيرنى.



▲ لوحة ''كلود مونيه يُصوِّر بحافة الغابة''، للفنان جون سينجر سارجنت، 1885. وهنا يُظهر مونيه ابنة أليس هوشيديه، فى ثوب أبيض، وفى الخلفية يظهر منزل جيفيرنى.



▲ إن حديقة مونيه الجميلة بجيفيرنى، أعطته الفرصة لاكتشاف تغيرات الضوء واللون المتعددة فى الطبيعة.

اللوحات المتسلسلة

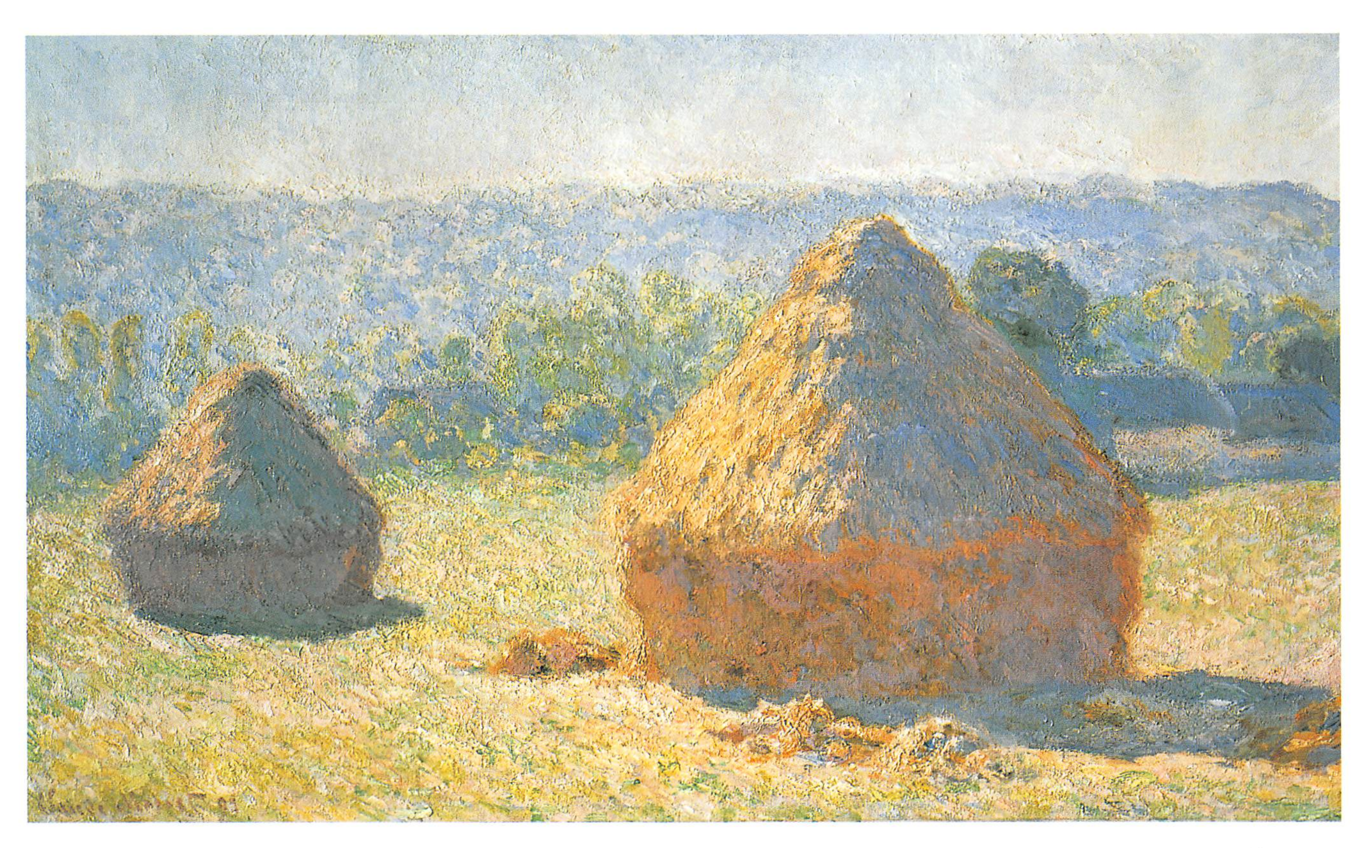
طيلة نجاح مونيه فى مهنته كفنان، قام بإعادة تصوير بعض لوحاته بالموضوعات نفسها. ففى خلال التسعينيات من القرن التاسع عشر، قام بإبداع مجموعة أو سلسلة من اللوحات، فكان يقوم بالعمل لبضع دقائق فى لوحات متعددة تحتوى على المنظر نفسه لدقائق عدة، وفى أوقات مختلفة فى اليوم، ومع أحوال جوية متغيرة. فكان يعمل بسرعة على كل لوحة منها- يلتقط اللحظة ويسجلها -ليظهر كيف يغير الضوء الألوان، ويخلق حالة جديدة. وكانت أول مجموعة لوحات قام بها «أكوام القش»، وإحدى لوحات تلك المجموعة تظهر إلى اليسار.

تصوير الضوء

كان مونيه دائمًا يهتم بتغيُّر الحالة والضوء. ولقد أبدع أسلوبه هذا فى جيفيرنى، فكان يبدأ بالتصوير فى الخارج فى الهواء الطلق، ثم يكمل لوحته المليئة بالألوان داخل الاستوديو. فيصوِّر المنظر نفسه فى أوقات مختلفة فى اليوم أو السنة، ليسجِّل على القماش التأثيرات المختلفة للضوء.

المرجع الزمنى ◀

4 مارس 1886	يونيو 1886	15 يونيو 1886	أبريل 1889	يونيو 1889	خريف 1890	نوفمبر 1890	4 مايو 1892
40 عملاً من أعمال مونيه عرضت فى الولايات المتحدة الأمريكية.	افتتاح المعرض الثامن للانطباعيين وكان هو الأخير.	عرض مونيه ثلاث عشرة لوحة من أعماله فى المعرض الدولى.	المعرض العالمى بباريس.	شارك مونيه بمعرض كبير مع أوجيست رودان.	بدأ مونيه العمل فى سلسلة لوحاته الخاصة «كومة القش».	اشترى مونيه منزلاً فى جيفيرنى.	أقام دوراند رويل معرضًا فرديًا لمونيه.



لوحة "أكوام القش، صباحًا، فى نهاية الصيف، الصباح"، 1891.

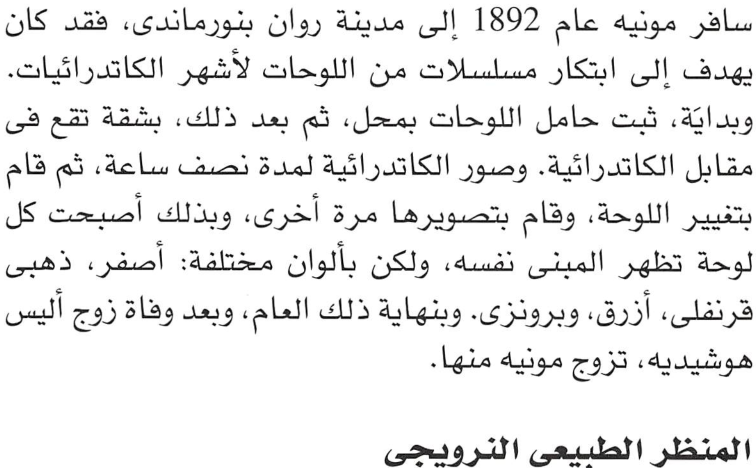
ألوان زيتية على قماش، 60,5 × 100,5 سم، متحف دورساى، باريس.

أكوام القش تلك كانت موجودة بالقرب من منزل مونيه بجيفيرنى. ولقد رسمها 25 مرة بين نهاية الصيف، وبداية الشتاء، باستعراض أوقات النهار المختلفة من زوايا مختلفة، بألوان ناصعة وكأنها شبح بضوءٍ متوهِّج.

«فقط حاول تتناسى ما تراه أمامك: الشجرة، أو المنزل، أو الحقل. وفكِّر ببساطة، وكأنه يوجد أمامك مربَّع أزرق صغير، ومستطيل قرنفلى، وشريط أصفر، ثم قُم بعد ذلك بالتصوير كما تراها».

كلود مونيه

مدينة رون والنرويج



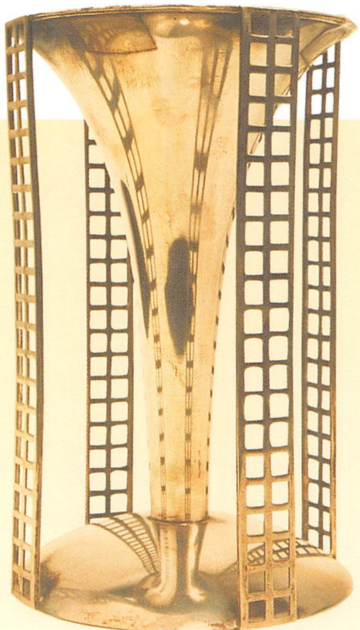
سافر مونيه عام 1892 إلى مدينة روان بنورماندى، فقد كان يهدف إلى ابتكار مسلسلات من اللوحات لأشهر الكاتدرائيات. وبدايةً، ثبت حامل اللوحات بمحل، ثم بعد ذلك، بشقة تقع فى مقابل الكاتدرائية. وصور الكاتدرائية لمدة نصف ساعة، ثم قام بتغيير اللوحة، وقام بتصويرها مرة أخرى، وبذلك أصبحت كل لوحة تظهر المبنى نفسه، ولكن بألوان مختلفة: أصفر، ذهبى قرنفلى، أزرق، وبرونزى. وبنهاية ذلك العام، وبعد وفاة زوج أليس هوشيديه، تزوج مونيه منها.

المنظر الطبيعى النرويجى

بشتاء عام 1894-1895، قام مونيه بزيارة زوج ابنته فى النرويج. وأحب هناك المناظر الدراماتيكية وأشكال الثلوج، فقام بتصويرها. وعند عودته إلى فرنسا، عرض بول دوراند رويل 20 لوحة من لوحات مونيه للكاتدرائية وثمانى لوحات من مجموعة المناظر الطبيعية النرويجيَّة. وكان لهذا المعرض نجاح كبير. ومن تلك اللحظة، تعاظمت سمعة مونيه الفنيَّة، وبالتالى وضع كل همومه المادية وراء ظهره.



▲ منظر طبيعى وألوان دراماتيكية من النرويج ألهمت مونيه عندما قام بزيارة لهذا البلد عام 1895.



▲ تلك الآنية صممها جوزيف هوفمان المعمارى النمساوى مصمم الأثاث والعمارة الداخلية، والذى كان أحد العباقرة الجدد فى مجال العمارة والتصميم الحديث الذين ظهرت أعمالهم فى تسعينيات القرن التاسع عشر.

الأسلوب الجديد

إن بناء برج جوستاف إيفل من الحديد، كان رمزًا لمرحلة الحداثة، والتى أبدع فيها العلماء والفنانون والمعماريون والمصممون تصميمات جديدة مستخدمين الخامات الحديثة.

وخلال التسعينيات من القرن التاسع عشر، أصبح هناك متجران مهمان لبيع الفن الشرقى والحديث، هما «آر نوفو» بباريس و«ستيل ليبرتيه» بلندن. وقد أطلق كل منهما اسمًا على الأسلوب الجديد فى الفن، حيث أطلق عليه بإنجلترا: الفن الجديد، وفى فرنسا: «أسلوب الحرية». وبالنهاية؛ أصبحت المتغيرات والأفكار الجديدة مقبولة لدى العامة، وبالتالى لم تعد أعمال مونيه بعد ذلك غريبة.

المرجع الزمنى ◄

فبراير 1892	16 يوليو 1892	فبراير 1893	يناير-أبريل 1896	مايو 1896
بدأ مونيه فى تصوير سلسلة لوحات كاتدرائية روان.	تزوج مونيه من أليس.	رجع مونيه إلى روان للتصوير مرة أخرى، واستمر فى ذلك حتى 1895.	صور مونيه مناظر طبيعية بالنرويج.	لقى معرض سلسلة لوحات كاتدرائية روان نجاحات مبهرة.



"منظر لكاتدرائية روان فى ضوء الشمس"، 1894.

ألوان زيتية على قماش، 73 × 107 سم، متحف دورساى، باريس.

صوّر مونيه 30 نسخة من هذا المبنى (كاتدرائية روان)، وأظهر بها اختلاف المناخ والجو فى أوقات مختلفة من اليوم، فظهرت الطبقات السميكة من اللون وكأنها أحجار تعكس ضوء الشمس.

الحياة بأسلوب خاص

قضى مونيه وقتا طويلاً فى تطوير حديقته بجيفيرنى، فزرع الخضراوات وأشجار الفاكهة والزهور فى كل مكان. وبتغيير جزء من مجرى نهر قريب، وسع مونيه من بركة المياه، وزرع بها لاحقًا زنابق الماء، ونباتات متسلقة وأشجارًا بكل مساحة تجاورها. وعلى ممر بركة المياه، أضاف مونيه كوبرى يتمثل فى قوس بسيط مطلى باللون الأخضر المفضَّل لديه.



▲ لوحة "فندق سافوى"، للفنان هارولد أوكلى، حوالى 1889. وكان مونيه وأليس قد أقاما بهذا الفندق.

زيارة لندن

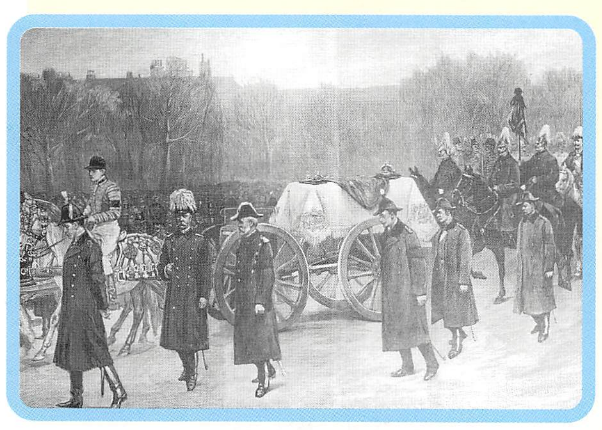
فى عام 1899، قام مونيه وأليس بزيارة لندن. فقد أصبحا الآن قادرين على تكاليف الإقامة بفندق سافوى الجديد باهظ التكلفة حينذاك، لمدة ستة أسابيع كاملة. عاد مونيه بمفرده فى عامىّ 1900 و1901، وأقام بلندن لمدة ثلاثة أشهر فى كل مرة. وقد صور هناك ثلاث مجموعات مختلفة من نهر التيمز. ومناظر من كوبرى شارينج كروس، كوبرى واترلو ومبانى البرلمان. وقد صُوِّرت الكبارى من نافذة الشرفة بفندق سافوى، أما مبانى البرلمان، فصُوِّرت من مستشفى قريب منها.

قوة النظر عند مونيه

فى 1900، أصيب مونيه بحادثة فى عينه أجبرته على التوقف عن العمل لفترة. وكانت هذه الحادثة بداية لمشاكل فى العين استمرت لسنوات طويلة.

وبغضون عام 1908، بدأ نظره فى الضعف. وفى عام 1915، بدأ مونيه فى فقدان قدرته على رؤية الألوان. فأصبحت جميع الألوان لديه تبدو وكأنها بنىّ مائل إلى الحمرة. وفى عام 1923، وبعد اجتيازه لأكثر من عملية جراحية، وارتدائه عدسات خاصة، بدأت رؤيته فى التحسُّن.

وكانت لأعوام فقدان النظر رواسب حزينة عند مونيه، وزاد على ذلك أن اثنين من أصدقائه قد أصابهما العمى وهما إدجار ديجا (1834-1917)، ومارى كاسات (1844-1926)، فانتابه إحساس بأنه سوف يصبح أعمى مثلهما.



▲ توفيت الملكة فيكتوريا عام 1901، عن عمر يناهز 82 عامًا. وكان مونيه يتحدث القليل من الإنجليزية، واستمتع بكونه سائحًا، وبرؤيته لمراسم توديع الملكة من خلال نافذة منزل صديقه. وقد وصف ما رآه بأنه مشهد فريد من نوعه.

المرجع الزمنى ◄

1899	سبتمبر 1899	ديسمبر 1900	24 يناير 1901	2 فبراير 1901	1902
بدأ مونيه فى لوحات زنابق الماء.	بدأ مونيه فى تصوير سلسلة جديدة لنهر التيمز بلندن.	عاد إلى فرنسا بعد حادثة أصابت عينه وأجبرته على التوقف عن العمل.	عاد مونيه مرة أخرى إلى لندن لاستكمال سلسلة لوحات التيمز.	شاهد مونيه مراسم توديع الملكة فيكتوريا.	أقام دوراند رويل معرضًا خاصًّا لمونيه فى الولايات المتحدة الأمريكية.



لوحة "لندن، مبانى البرلمان، بزوغ الشمس من خلال الغيوم"، 1900-1904.

ألوان زيتية على قماش، 81 × 92 سم، متحف دورساى، باريس.

انبهر مونيه بمدينة لندن، بالأخص نهر التيمز. فهذه اللوحة تظهر كيف تطور أسلوب تصويره منذ بدايات رسمه بلندن، حيث كانت الأشكال أكثر تحديدًا. فهنا، صوَّر مونيه التأثيرات مهزوزة لإعطاء حس الغيوم، وابتدع بذلك حالة جديدة، باستخدامه للألوان المضيئة وإعطائه تأثيرات متموِّجة للمياه.

«كل يوم أجد لندن أكثر جمالاً لتصويرها».

كلود مونيه

حديقة مونيه

احتاج مونيه إلى ستة مزارعين يعملون بصفة مستمرة بها يوميًّا لتطوير حديقته. وكان يشارك بنفسه فى العمل، فكان يُبدع تصميماته، ويضفى عليها مساحات الظل والنور والألوان المتجانسة.

وفى بداية القرن العشرين، أصبحت بركة المياه المكان المفضل لمونيه للتصوير، وظلت تشغل تفكيره تمامًا لمدة خمسة وعشرين عامًا قادمة. وأصبحت أحجام لوحاته كبيرة، أو أكثر «انطباعية» إذا جاز التعبير. وفى عام 1914، قام مونيه بإنشاء استوديو ثالث له بالحديقة ليستطيع العمل فى لوحات ضخمة الحجم.

▲ كوبرى مشاة فوق نهر مع خلوة نباتات بالمقدمة، للفنان أندو (أوتاجاوا هيروشيج)، حوالى 1840. تلك اللوحة هى مثال واضح للطباعة الملوَّنة اليابانية على الخشب.

مدريد وفينيسيا

فى عام 1904، انطلقت نجاحات مونيه من خلال مجموعة لوحات لندن، فاشترى سيارة، وقادها إلى مدريد مصطحبًا أليس وميشيل. وفى عام 1908، زار مدينة فينيسيا برفقة أليس، حيث انبهرا بالضوء، فصوَّر مونيه مناظر عدة لها. وسرعان ما عاد بعد ذلك، حيث شعرت أليس بالمرض وتوفيت. وبعد مرور ثلاثة أعوام، توفى ابنه جان أيضًا، ثم ضعف بصر مونيه. وكذلك قامت الحرب العالمية الأولى (1914–1918)، فأصبح مونيه شديد التعاسة، ولم يغادر جيفيرنى إلا نادرًا، وانشغل هناك بتجميل حديقته وتصويرها.



▶ ألهمت فينيسيا فنانين كثيرين لعدة قرون. وأثناء زيارته لها، كان مونيه دائم التطلع لأخذ منظر مناسب ليضع أمامه حامل اللوحة ويصور.

التأثير اليابانى

مع مطلع الخمسينيات من القرن التاسع عشر، صارت المطبوعات اليابانية ذائعة فى فرنسا للمرة الأولى. وأصبح لها شهرة كبيرة، وأقبل على اقتنائها الكثيرون من بينهم مونيه.

فالفنانون اليابانيون كانوا يميلون إلى إيجاد التوازن فى صورهم، عن طريق المساحات الهادئة والمشغولة بتفاصيل وزخارف ذات بعدين، وعن طريق المنظور غير المعتاد. تأثر مونيه كثيرًا بتلك المناظر الفنية اليابانية، وألهمته - بشكل واضح - فى تصميم حديقته.

المرجع الزمنى ◄

ربيع 1904	أكتوبر 1904	ربيع 1908	سبتمبر 1909	مايو- يونيه 1909	مايو 1911	10 فبراير 1914
من خلال اتجاهات مونيه لسلسلة لندن قام بشراء سيارة.	قاد مونيه سيارته إلى مدريد لقضاء إجازة بصحبة أليس وميشيل.	ضعف نظر مونيه.	قام مونيه وأليس بزيارة فينيسيا حيث أقاما هناك لأكثر من شهرين.	عرض دوراند رويل 48 لوحة من أعمال مونيه لمجموعة لوحات الليلا المائية.	توفيت أليس، وساءت حالة الإبصار عند مونيه.	توفى ولده البكر جان بعد فترة مرض طويلة.



لوحة "زنابق الماء"، 1903.

ألوان زيتية على قماش، مقتنيات خاصة، طوكيو.

منذ بداية القرن العشرين، أمضى مونيه وقتا طويلاً فى تصوير حديقته المائية بجيفيرنى. وتظهر أوراق الصفصاف لمونيه وكأنها انعكاس ظلى فى أعماق المياه الزرقاء.

«وفجأة اتضح لى أن بركتى المائية رائعة؛
فمددت يدى إلى باليتة الألوان».

كلود مونيه

إهداء إلى فرنسا

افتتاح متحف دولورونجيرى

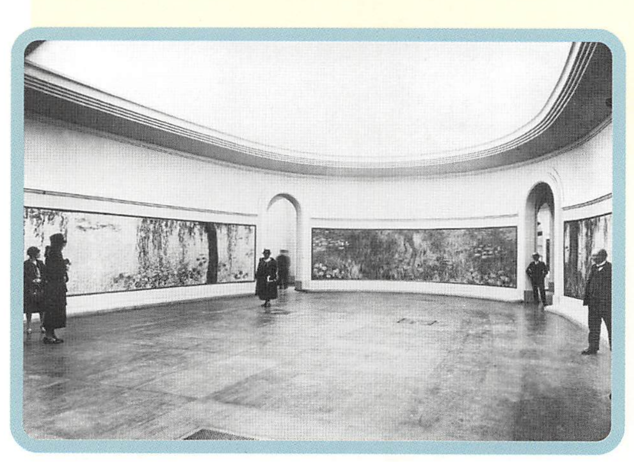
يمكننا الوصول إلى متحف دولورونجيرى عبر حديقة جاردان دى تولوز، وهى منتزه يقع بوسط باريس. ونجد اثنى عشر عملاً من إبداع مونيه رسمت على قماش، وتعرض بقاعتين كبيرتين ذات شكل بيضاوى لتغطية الحوائط. وقد افتتح رئيس الوزراء كليمونصو المعرض. وتلك اللوحات لا تتشابه مع أعمال مونيه الأولى، فهى ذات أحجام كبيرة، وأقل وضوحًا فى تصوير كل تفاصيل المناظر الطبيعية، وكان مونيه حينذاك لايزال شغوفًا بالمياه، والزهور، والانعكاسات الضوئية، والهواء الطلق. ومع الأسف، لم يعش مونيه ليستطيع رؤية يوم الافتتاح والاحتفاء بلوحاته هناك عام 1927.



▲ صورة فوتوغرافية لمونيه فى جيفيرنى بجانب الكوبرى اليابانى الخاص به.

فى عام 1914، قام رئيس وزراء فرنسا وصديق مونيه «جورج كليمونصو» بمطالبته بتصوير بعض لوحات زنابق الماء كهدية لفرنسا. وفى حين قرر مونيه التبرع بلوحتين من الليلا المائية، طلب جورج كليمونصو من مونيه إبداع أعمال ضخمة لتزيين قاعة كبيرة تليق بسمعة فرنسا العظمى.

وبعد أعوام من النقاش حول كيفية دفع أتعاب مونيه، وأيضًا بعد فقدان مونيه ثقته بنفسه لعدم تمكنه من الرؤية بوضوح، انتهت اللوحات أخيرًا، وعرضت بمتحف دولورونجيرى فى باريس.



▲ عرضت لوحات مونيه "زنابق الماء" فى قاعتين كبيرتين بمتحف دولورونجيرى، باريس، تلك الصورة الفوتوغرافية التقطت عام 1930، ولا يزال بإمكاننا مشاهدة المعرض حتى اليوم.

أيام مونيه الأخيرة

بالرغم من أن مونيه لم يكن يستطيع الرؤية بوضوح، فإنه صور أعمالاً عظيمة مثل لوحة «الصفصاف الباكى» (انظر إلى اليسار). وقد تحسَّنت الرؤية لدى مونيه ببطء، بعد عمليتين جراحيتين فى العين عام 1923، وارتدائه لنظَّارة خاصة.

لقد أمضى مونيه السنوات الأخيرة من حياته فى تصوير البركة الخاصة به وزنابق الماء وأشجار الصفصاف الباكى فى الاستوديو الذى أقامه فى حديقته فى جيفيرنى. وأصبح واحدًا من أشهر وأهم الفنانين الفرنسيين. وفى 5 ديسمبر عام 1926، توفى مونيه فى جيفيرنى عن عمر يناهز ستة وثمانين عامًا.

المرجع الزمنى ◄

ربيع 1914	3 أغسطس 1914	1918	يناير - يوليو 1923	سبتمبر 1923	5 ديسمبر 1926
بدأ مونيه بتصوير لوحاته كبيرة الحجم لصالح الأمة.	اندلعت الحرب العالمية الأولى، فاستُدعى ميشيل مونيه لأداء الخدمة العسكرية.	أنهى مونيه ثمانى لوحات من زنابق الماء بغرض التزيين. بدأ نظره يضعف. انتهت الحرب العالمية الأولى.	قام مونيه بعمل ثلاث عمليات جراحية بعينه.	ارتدى مونيه نظارة خاصة، وتحسنت رؤيته.	توفى مونيه بجيفيرنى عن عمر يناهز 86 عامًا.



لوحة "الصفصاف الباكى"، 1921-1922.

ألوان زيتية على قماش 89 × 116 سم، متحف مارموتان، باريس.

عندما كان مونيه يصور تلك اللوحة، لم يكن يستطيع الرؤية بوضوح، فبدلاً من ألوانه الناعمة والناصعة التى تعودنا عليها، نراه هنا يستخدم ألوانًا غامقة، ودرجات لونية أكثر كثافة ودكانة.

ميراث مونيه

فى البداية كان الناس يسخرون من لوحات مونيه. ولكن أثناء حياته، أصبحت أعمال مونيه واحدة من أهم الأعمال على مستوى العالم. ففى عام 1891، وصلت شهرته إلى القمة، حيث باع جميع لوحاته فى خلال ثلاثة أيام بمعرض أقيم بجاليرى دوراند رويل بباريس.

اللون والموضوع

عندما كان مونيه يصور التأثيرات الضوئية، اكتشف اللون بطريقة لم يكن يستخدمها إلا قليل من الفنانين السابقين، فكان يصور أيضًا مناظر كما كان يراها أو يتخيلها، دون تغيير أو إضافة لتبدو أكثر قبولاً لدى المشاهدين. فقد كان مؤمنا بأن عليه أن يكون أمينا وحقيقيًّا فى علاقته مع الطبيعة.

فتح الطريق

لقد أصرَّ الفنانون الانطباعيون على الاستمرار فى هذا الأسلوب أو الاتجاه الجديد، وبالرغم من النقد اللاذع الذى قوبلوا به، فإن مونيه والانطباعيين أمثاله أضافوا تقليدًا فنيًّا جديدًا، ففتحوا الطريق الصحيح لكل فنان لكى يصور كما يحلو له، وكان لهذا تأثير بالغ على تطور الفن منذ ذاك الحين.



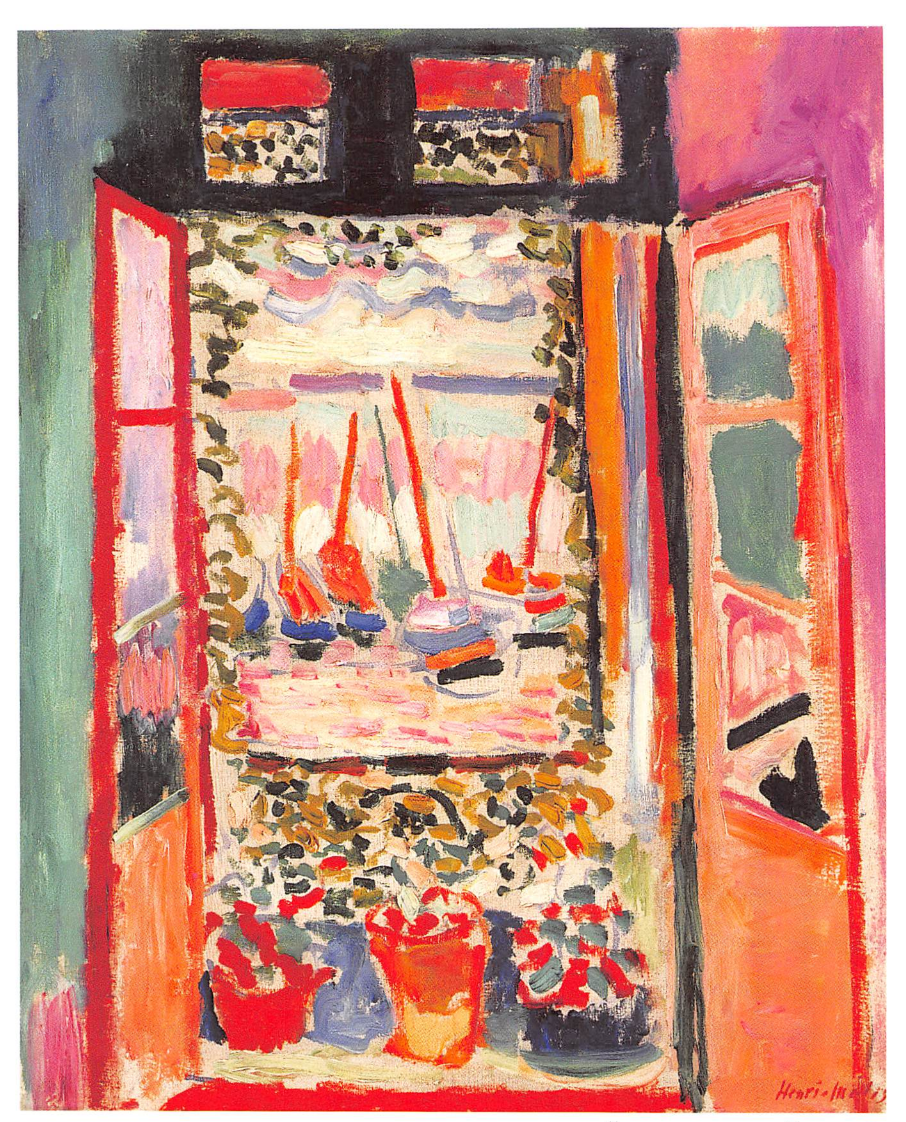
▲ لوحة "زهور السوسن"، فان جوخ، 1889.

استلهام مونيه

ألهمت أعمال مونيه المفعمة بالطاقة والألوان كثيرًا من الفنانين، فقد غير فان جوخ من ألوانه الداكنة التى كان يستخدمها إلى ألوان فاتحة، بعد التقائه بمونيه ومناقشة نظرية الانطباعيين فى الفن. فقد أعجب باستخدام مونيه للألوان غير المخلوطة والناصعة وضربات الفرشاة العريضة، وكيفية التصوير فى الهواء الطلق وتفاعله مع الطبيعة.

وصور أيضًا هنرى ماتيس (1869-1954) أثناء شبابه بأسلوب الانطباعية فقد طور من ولعه باللون جزئيًا، بالنظر إلى ألوان مونيه الناصعة وأسلوبه الحر. فقد تعلم الكثير من لوحات مونيه فى كيفية استخدامه للخطوط المتقطعة من الألوان، لإعطاء انطباع بالضوء المتوهج.

ورغم اختلاف أسلوبيهما، فإن حرية مونيه فى استخدام اللون هى التى ألهمت ماتيس النصاعة فى اللون، وكثافة الصورة.



▲ لوحة "النافذة المفتوحة"، هنرى ماتيس، 1905.



لقطة فوتوغرافية لمتحف مارموتان بباريس.

متحف مارموتان

إن أكبر مجموعة من أعمال كلود مونيه نجدها بمتحف مارموتان بباريس، والفضل فى هذا يرجع إلى مدام «دونوب دومونشى» ابنة صديق مونيه جورج دوبيليو، وميشيل مونيه، وهو الابن الأصغر للفنان مونيه.

وبداخل قاعة بُنيت خصيصًا لأعمال مونيه، تقدم لنا المجموعة فرصة عظيمة لرؤية معظم المراحل التى مرت بها فنيًا منذ الخطوات الأولى لمونيه فى بداية رحلته الفنية، إلى المراحل الأخيرة التى طور بها أسلوبه الخاص.

فهى تبدأ بالكاريكاتيريات التى رسمها بلوهافر حوالى 1858، وتستمر حتى مرحلة أعماله التى صورها بجيفيرنى مستلهمًا حدائقها.

وتتضمن المجموعة أيضًا، مناظر من شواطئ نورماندى، ومبانى البرلمان فى لندن، واللوحة الشهيرة التى أعطت للانطباعيين اسمهم هذا، وهى «انطباع - غروب الشمس».

الأصدقاء المقربون

إن جميع الفنانين الكبار قاموا بتطوير وإبداع أسلوبهم من خلال أفكارهم الخاصة وتعلمهم من بعضهم البعض. وقد كان مونيه صديقًا حميمًا للعديد من الفنانين، وتعلم الكثير منهم. فأحد الفنانين المقربين له كان كاميل بيسارو (1830-1903) الذى كان أول من قابله بالأكاديمية السويسرية عام 1859. بيسارو ومعه ألفريد سيسلى، وأوجيست رينوار، كانوا يؤمنون بنفس الأفكار مثلهم فى ذلك مثل مونيه، وشكلوا بالتالى الأساس الانطباعى.

الهروب

ما بين 1870 و1871 اتفق بيسارو، ومونيه على التقابل بلندن، حيث يبقيان بعيدًا عن ميدان الحرب الفرنسية-البروسية؛ وبقيا هناك كثيرًا من الوقت مع بعضهما البعض.

«لقد كنت أنا ومونيه متحمسين جدًا للطبيعة بلندن... فعملنا فى الطبيعة، وأيضًا قمنا بزيارة المتاحف».

▲ **بيسارو إلى ابنه لوسيان 1900، فى ذكريات إقامته بلندن ما بين 1870 و1871.**

«إنه لعظيم أن ترسم كل شىء وأى شىء؛ فعندما تدرب نفسك على رؤية الشجرة بحقيقتها، ستعرف كيف تنظر إلى الجسم الإنسانى. وهنا التخصص لن يكون مهمًا».

▲ **جزء من خطاب آخر إلى لوسيان، مؤرخ فى 25 يوليو عام 1883. وبعد عشرة أعوام من كتابته كتب بيسارو عن مونيه: "إن إدراكه أو وعيه العالى بالفن يقوم على الملاحظة الدقيقة... فأعماله مثل الشعر الملىء بنغم الألوان الحقيقية. إن مونيه يعشق الطبيعة الواقعية".**

جنبًا إلى جنب

بالعودة إلى باريس، كان بيسارو ومونيه يصوران مع بعضهما البعض فى كثير من الأحيان، كما كانا يجلسان ويشربان فى مقهى جيربوا، يتناقشان عن كيفية الوقوف على «انطباع من الطبيعة». وفى عام 1874، قام الاثنان بالعرض باستوديو الفوتوغرافيين حيث حصلا على اسمهما المستعار «الانطباعيين». وقام بيسارو بالاشتراك فى جميع معارض الانطباعيين الثمانية، أما مونيه فقد اشترك فى خمسة منها فقط.

وكان الاثنان متفقين على أشياء كثيرة، مثل تصوير ما يرونه أمامهم كما هو فقط، والتصوير فى الهواء الطلق، واستخدام ضربات فرشاه قصيرة ومتقطعة من الألوان الخالصة الفاتحة، واستخدام اللونين الأسود أو البنى فى أضيق الحدود، وكانت لهما أيضًا الأفكار نفسها فى كيفية تطوير مهاراتهما الفنية.

1840	1859	1865	1871	1877	1880
1840 ولد أوسكار كلود مونيه فى 14 نوفمبر بباريس. 1845 انتقل للعيش فى لوهافر. 1857 توفيت والدته. 1858 بدأ فى بيع رسومه الكاريكاتيرية. ونصحه أوجين بودين بالتصوير.	1859 التحق بالأكاديمية السويسرية والتقى بكاميل بيسارو. 1861 جند بالجيش الفرنسى وذهب إلى الجزائر. 1862 مرض مونيه بمرض التايفود ورجع إلى لوهافر. رجع إلى باريس للالتحاق باستوديو شارل جليير.	1865 قابل كاميى دونسيو. 1866 قبول ثلاثة أعمال من مونيه للعرض بالصالون. 1867 ولد جان أول ابن لمونيه. 1870 تزوج من كاميى، ذهب إلى لندن للهروب من الحرب البروسية-الفرنسية وقابل هناك دوراند رويل.	1871 توفى والده وانتهت الحرب البروسية. زار هولندا ورجع بعد ذلك إلى باريس. وانتقل للعيش فى أرجينتوى. 1874 قام مونيه وأصدقاؤه بإقامة معرض خاص بهم. 1876 قام بالعرض بمعرض الانطباعيين الثانى.	1877 صور لوحة جار سان لازار وعرض فى المعرض الثالث للانطباعيين. 1878 ولد ميشيل، وانتقل إلى فيتوى مع عائلة هوشيديه. 1879 عرض بالمعرض الرابع للانطباعيين. توفيت كاميى.	1880 لم يقم بالاشتراك بالمعرض الخامس للانطباعيين، ولكن واحدة فقط من أعماله قد قُبلت فى الصالون، كما أقام أول معرض فردى له. 1881 لم يقم بالاشتراك فى المعرض السادس للانطباعيين. وانتقل إلى بواسى.

الصحبة

كان بيسارو أكبر بعشر سنوات من مونيه، وأصبحا صديقين حميمين على مستوى الأسرة، وأيضًا لكونهما رفيقين وزميلين فى فن التصوير.

«أشكرك مرة أخرى أيها الصديق العزيز وأشكر زوجتك، لكل ما قدمتماه من عطف وثقة فى علاقة الصداقة القوية التى ربطتنا».

◀ عندما توفيت زوجة مونيه عام 1879، كتب بيسارو بكل حزن. وكان هذا جزءًا من رد مونيه عليه.

سلسلة اللوحات

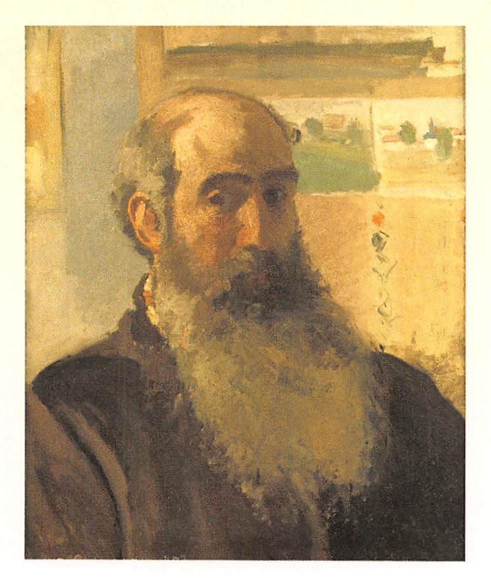
بعد مرور الوقت، ابتكر كل من الرجلين أفكارًا جديدة متشابهة؛ ففى غضون الثمانينيات من القرن الـ19، كان الصديقان مغرمين بالتصوير بنفس المفهوم، وهو تصوير سلسلة من اللوحات تظهر نفس المنظر، ولكن بأضواء مختلفة وفى أجواء مناخية مختلفة.

«الآن فقط بدأت فى سلسلة التصوير الخاص بى، الفن على العموم يُبهجنى؛ فهو حياتى مهما كان، فعندما تضع روحك داخل العمل، لن تستطيع العثور على روح أرحم تفهمك مثلها».

▲ كتب بيسارو عام 1883 عن عمله الذى كان يتطور آخذًا نفس أسلوب مونيه فى ذلك الوقت.

كاميل بيسارو

ولد كاميل بيسارو بالهند الغربية الفرنسية عام 1830 ذهب بفرنسا إلى المدرسة حيث عاش بصفة دائمة هناك، لقد كانت أولى مراحله الفنية ملهمة من الواقعية، وعرض بالصالون الرسمى بالستينيات من القرن الـ19، ولكن فى نفس الوقت وبجانب مونيه، ورينوار وسيسلى كان يطور من الأسلوب الانطباعى فى الفن. اشتهر بيسارو فى الستينيات من القرن الـ19، حيث كان يقتسم وقته بين الريف وباريس، وقد توفى عام 1903 عن عمر ينهاز 73 عامًا.



▲ بورتريه شخصى، كاميل بيسارو، 1873.

1882	1890	1893	1900	1908	1918
1882 قام بالاشترك فى المعرض السابع للانطباعيين. 1883 انتقل للعيش فى جيفيرنى. 1886 لم يشترك بالمعرض الثامن للانطباعيين وآخر معرض لهم. 1889 اشترك فى معرض جماعى مع النحات أوجيست رودان.	1890 بداية العمل فى سلسلة «أكوام القش» واشترى منزلا فى جيفيرنى. 1891 عرض 15 لوحة من سلسلة أكوام القش بمعرض دوراند رويل. 1892 بدأ فى سلسلة كاتدرائية روان وتزوج بأليس.	1893 عاد إلى روان. 1895 صور فى النرويج. 1896 كان معرضه لسلسلة الكاتدرائية ناجحًا. 1899 بدأ فى سلسلة زنابق الماء والكوبرى اليابانى. وبدأ فى تصوير سلسلة لندن.	1900 عاد إلى فرنسا وتعرض لحادثة فى العين أوقفته عن العمل لفترة. 1901 توفيت الملكة فيكتوريا وقد شاهد مونيه جنازتها المهيبة. 1902 قام دوراند رويل بعمل معرض لمونيه فى الولايات المتحدة. 1904 لاقت سلسلة لوحات لندن نجاحًا.	1908 زار فينيسيا. 1909 عرض 48 لوحة من سلسلة زنابق الماء. 1911 توفيت أليس. وأصيب مونيه بضعف فى البصر. 1914 بعد فترة مرض طويلة توفى ولده الأكبر جان، وبدأ التصوير لأجل فرنسا. اندلاع الحرب العالمية الأولى.	1918 استكمال تصوير الثمانى لوحات الكبيرة الحجم لزنابق الماء، انتهاء الحرب العالمية الأولى. 1923 بعد إجراء ثلاث عمليات جراحية بالعين، تحسنت الرؤية. 1926 وفاة مونيه بجيفيرنى فى 5 ديسمبر، عن عمر يناهز الـ 68.



بول جوجان

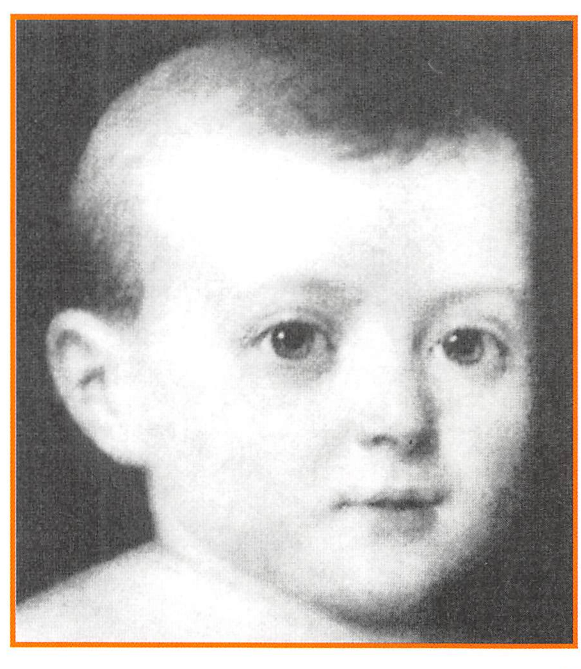
تأليف: روبرت أندرسون



من هو بول جوجان؟

كان بول جوجان واحدًا من أعظم رواد الفن الحديث، وبحثًا عن الإلهام، فقد عمل فى أماكن موحشة وبعيدة، من شبه جزيرة بريتانى العاصفة فى فرنسا إلى جزيرة تاهيتى الاستوائية.

تشع أهم لوحات جوجان ألوانًا وطاقة، وقد ألهمت تلك الأعمال أجيالاً من الفنانين للعمل بحرية، وخيال وانطلاقة.



▲ بول جوجان وعمره فى هذه الصورة عامان، 1850، للفنان جول لور.

▼ فلورا تريستان (1803-1844) جدة جوجان؛ وقد كانت كاتبة ناجحة، كتبت "عجائب المنبوذين" عام 1838، وهو كتاب عن رحلتها حول بيرو عام (1833-1834). وقد كتبت أيضًا كتبًا عن فرنسا وإنجلترا. وقد احتفظ جوجان بنسخ من أعمالها طيلة حياته.



الإمبراطورية الثانية

ولد بول جوجان فى 7 يونيو 1848 فى باريس، فرنسا. وكان والده كلوفى جوجان (1814-1851) صحفيًّا. وكانت أمه ألين (1826-1876) تنتمى إلى أسرة ثرية من الأرستقراطية الإسبانية التى انتقلت إلى بيرو، بأمريكا الجنوبية، خلال القرن السابع عشر. وفى عام ولادة جوجان، أطاح الثوار الفرنسيون بالملك، وأصبحت فرنسا جمهورية. لم تستمر تلك الجمهورية لأكثر من عام، إلا أن الأمير لوى نابليون (1808-1873) ابن عم نابليون بونابرت، قد أنتخب ليكون رئيسًا فى عام 1850، لكنه لم يلبث أن أعلن نفسه إمبراطورًا على فرنسا فى ديسمبر 1851، تحت اسم نابليون الثالث. وعُرفت فترة حكم نابليون الثالث (1851-1870) بالإمبراطورية الثانية.

المرجع الزمنى ◄

يونيو 1848	فبراير 1850	أكتوبر 1851	2 ديسمبر 1851
ولد جوجان فى باريس.	انتخاب الأمير لوى بونابرت رئيسًا لفرنسا.	ترحل عائلة جوجان إلى بيرو، ويتوفى والده فى الطريق.	يصبح لوى بونابرت إمبراطورًا على فرنسا.

الهروب إلى بيرو

أيد والد جوجان الثورة وكره لوى نابليون. ورغبة منه فى تحرير بلاده، فقد قرر السفر إلى بيرو من أجل أن ينشىء جريدة.

فى أكتوبر 1851 استقل هو وزوجته الباخرة من فرنسا سويًّا مع طفليهما: «مارى» وكانت حينها فى الرابعة، و«بول» وكان فى الثالثة. كانت الرحلة إلى بيرو طويلة، وخطرة؛ حيث أبحرت السفينة جنوبًا إلى أمريكا الجنوبية. وقد توفى كلوفى جوجان فجأة؛ ربما نتيجة لسكتة دماغية. ولم يكن أمام والدة جوجان خيار سوى إكمال الرحلة إلى ليما، عاصمة بيرو، مع أطفالها. وهناك رحب عم ألين، الدون بيو دى تريستان موسكوسو (1769-1856)، بالأسرة فى بيته. وعاشت أسرة جوجان لمدة أربعة أعوام فى حياة مريحة ومترفة.

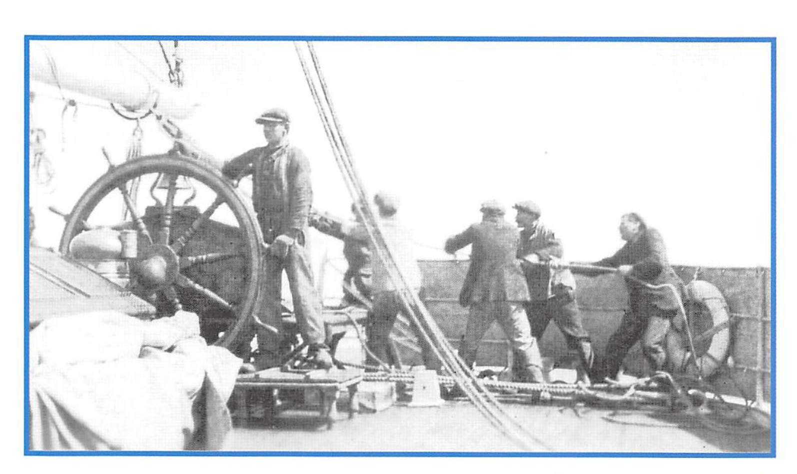
كانت ليما مدينة رائعة وجميلة، وكانت تبدو دائمًا مكسوة بأشعة الشمس الرائعة. كانت منازل المدينة مطلية بألوان فاتحة، واشتهر سكانها بملابسهم الأنيقة، وكرم ضيافتهم. وعلى يمين ليما، سلسلة جبال الأنديز بقممها الثلجية. وإلى اليسار تمتد مياه المحيط الأطلنطى الصافية الزرقاء. وكان المكان مكسوًّا بأنواع من النباتات والأشجار الاستوائية، عامرًا بالحيوانات والطيور العجيبة، فبدا كجنات عدن فى عينى جوجان الصغير.



▲ كانت ليما، عاصمة بيرو، تضم العديد من المبانى الجميلة، والشوارع المزدحمة الواسعة، وذلك هو قصر أرماس، مكان شعبى للمشى أو اللقاء أو الجلوس.

العودة إلى فرنسا

فى عام 1854، حدث ارتباك سياسى فى بيرو، اضطر أسرة جوجان للعودة إلى فرنسا، حيث استوطنوا سان مارصو؛ وهى منطقة بأورليانز عاش فيها أجداد جوجان لأبيه. وعندما كان جوجان فى الحادية عشرة من عمره، تم إرساله إلى مدرسة داخلية خارج أورليانز، وانتقلت والدته إلى باريس؛ حيث افتتحت هناك بيتا للأزياء. وجد معلمو جوجان -أو اعتقدوا- بأنه تلميذ غريب وحاد الطبع، مما أثار حزن جوجان، وجعله يحلم بالهروب من فرنسا، والعودة إلى أرض الشمس المشرقة، وحرارة المناخ الاستوائى.



▲ عمال على سفينة للأسطول فى السبعينيات من القرن الـ 19. وقد قام جوجان بأعمال عمّال السفن كما فى هذه الصورة.

بَحَّار

فى عام 1865، وجوجان فى السابعة عشرة من عمره، ذهب إلى البحر كمتدرب على سفينة. لمدة خمسة أعوام، عبر جوجان المحيط الأطلنطى والهادىء، وزار بلادًا من كل أنحاء العالم. وشارك أيضا فى الحرب الفرنسية - البروسية (يوليو 1870 إلى مايو 1871). وفى عام 1871، ترك جوجان الأسطول وعاد إلى باريس، وقد وضعت الحرب نهاية الإمبراطورية الثانية، وأصبحت فرنسا جمهورية مرة أخرى.

رجل متزوج

توفيت والدة جوجان فى عام 1867، وعن طريق أحد أصدقائها - جوستاف أروزا، وهو رجل أعمال ثرى ومصور هاوٍ - حصل جوجان على وظيفة مضارب فى بورصة باريس، حيث استطاع تحقيق نجاح سريع. فى عام 1873، قابل دانماركية شابة وأحبها، وكانت تدعى ميتا جاد (1850-1920). وقد تزوجا عام 1872، وسكنا منزلاً مريحًا فى باريس. وأنجبا خمسة أطفال: أربعة أبناء (إميل - كلوفى - جان رينيه - بول رولون)، وبنتا واحدة (ألين).



▲ أصبح جوجان بعد ذلك مضاربًا فى البورصة بباريس.

المرجع الزمنى ◄

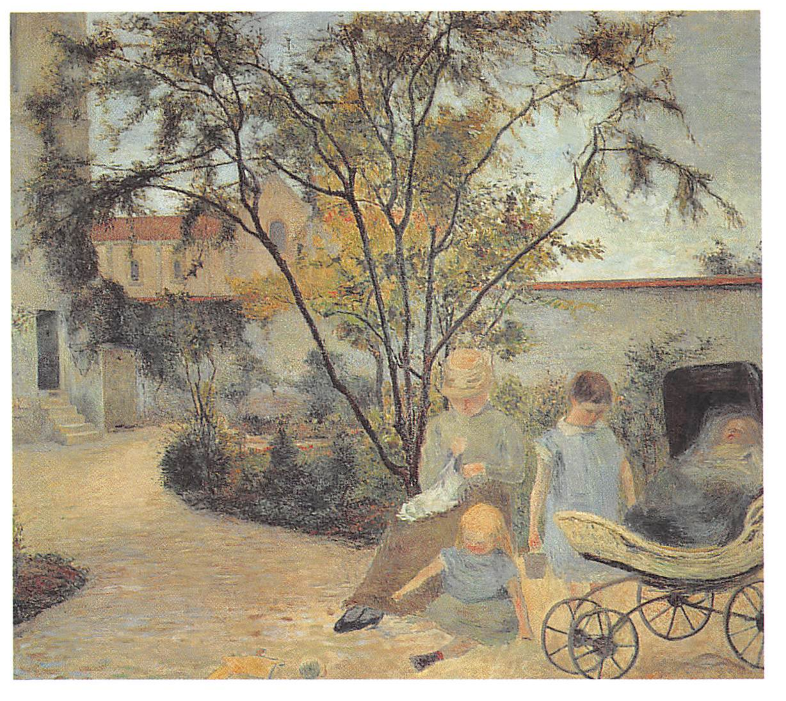
1854	1865	1867	1870-1871	أبريل 1871	22 نوفمبر 1873	1882	1883
عودة أسرة جوجان إلى فرنسا.	انضمام جوجان للأسطول التجارى.	وفاة والدة جوجان.	الحرب الفرنسية البروسية. وبداية الجمهورية الثالثة فى فرنسا.	يعود جوجان إلى باريس ويصبح مضاربًا فى البورصة.	زواج جوجان من ميتا جاد. صار يصور يوم الأحد.	انهيار سوق الأسهم الفرنسى.	يعمل جوجان فنانًا فقط بعد أن فقد وظيفته.

فنان يوم الأحد

كان جوجان مهتمًّا بالفن، وخاصة بالفن الانطباعى، وقد بدأ يجمع اللوحات، ولكنه لم يكن سعيدًا بمجرد شراء اللوحات فحسب؛ فقد أراد أن يبدع أيضًا. فذهب مع صديقه «إميل شفينيكر» (1851-1934) -وكان زميلاً له أيضًا فى البورصة - إلى فصول ليلية فى مدرسة لتعليم الفن فى باريس. وكان أغلب أيام الأسبوع، مضطرًّا للعمل بشكل جاد فى مكتبه، وكان يوم الأحد هو اليوم الوحيد الذى يجد فيه وقتا للتصوير.

فى البداية صوَّر بطريقة تقليدية للغاية، وبالتدريج بدأ تأثره بالانطباعيين يزيد. وفى عام 1879، دعاه المصور الانطباعى كاميل بيسارو (1830-1903) لعرض لوحاته فى معرض الانطباعيين الرابع، وكان ذلك شرفًا عظيمًا له.

ربما كان جوجان مجرد هاوٍ موهوب قبل انهيار سوق الأسهم الفرنسية، فى يناير عام 1882، ولكن بحلول ديسمبر 1883، وكان عمر جوجان وقتها أربعة وثلاثين عامًا، فقد جوجان وظيفته، وكان مهمومًا بإيجاد وظيفة جديدة، لذلك قرر أن يصور طوال الوقت، وأعلن بفخر: «من الآن فصاعدًا سوف أصوِّر كل يوم».



▲ حديقة فى شارع كارسيل، 1881. من بواكير أعمال جوجان ذات الأسلوب الانطباعى، وهذه الصورة تُظهر زوجة جوجان (ميتا)، وثلاثة من أطفالهم يستجمُّون فى حديقتهم الجميلة. وهى واحدة من أكثر لوحات الفنان سعادة، فهى تفيض بالمشاعر الطيبة لعائلته.

الانطباعيون

بدأت حركة الانطباعيين فى السبعينيات من القرن التاسع عشر، وأقيم أول معرض انطباعى فى عام 1874. وقد صور الانطباعيون لوحات رائعة لشوارع باريس ومقاهيها، وكذلك للريف الفرنسى. وقد حاول الانطباعيون فى أعمالهم، تصوير المؤثرات المتحركة للضوء والطقس؛ فقد صوروا الثلج مثلا ليس كمجرد لون أبيض ناصع، ولكن كأشعة زرقاء، وزرقاء متلألئة، ووردية قاتمة. وقد كان الانطباعيون أول من صور المناظر الخارجية فى الطبيعة بدلاً من تصويرها داخل المرسم. وكان كلود مونيه (1840-1926) أحد رواد الانطباعيين، وقد اشتهر بالتصوير الخارجى حتى فى أكثر الأيام برودة.



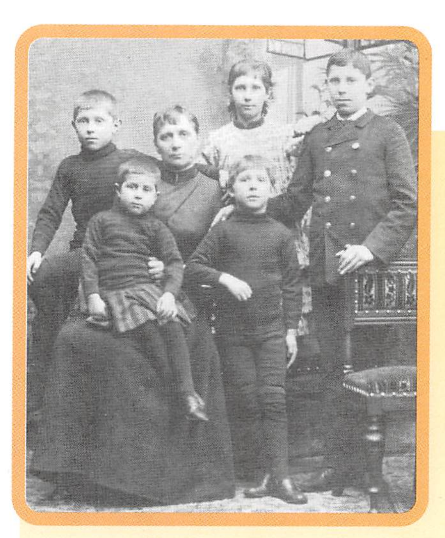
◀ «فلاَّحة تدفع عربة يد»، 1874، كاميل بيسارو. كان كاميل بيسارو صديقًا لجوجان ومعلمًا له، وقد صور تلك اللوحة قرب قريته «بونتواز». اللوحة فاتحة الألوان متلألئة صارخة، وانطلاقة الفرشاة حرة تمامًا مثل العديد من أعمال الانطباعيين.

الفقر والنفى

اضطر جوجان للتخلى عن منزله المريح بباريس؛ فلم تكن له وظيفة ثابتة. وقد انتقل بعائلته للعيش فى روين - وهى مدينة غرب العاصمة - فقد أراد العيش هناك بنفقات أقل. عمل جوجان بجد، لكنه لم يكن يستطيع أن يبيع أيًّا من لوحاته. ويأسًا، قررت زوجته أخذ الأطفال للعيش مع أبويها فى كوبنهاجن - الدنمارك.

كوبنهاجن

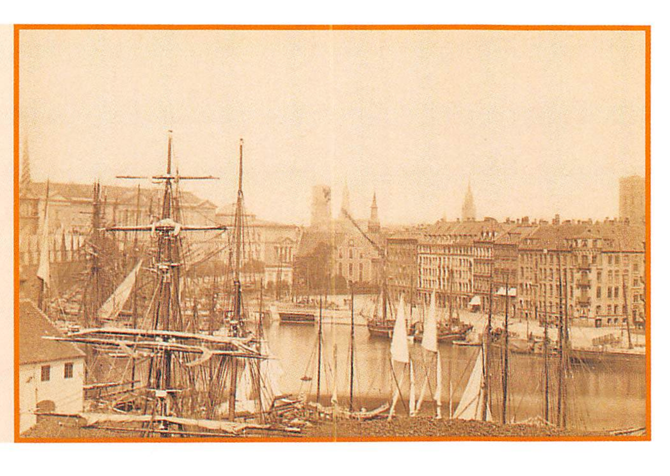
لوقت قليل، استمر جوجان فى صراع مع العمل، لكنه رحل وراء عائلته إلى الدنمارك بعد ذلك بوقت قليل. لم تتقبله أسرة ميتا، فقد اعتبرته أنانيًّا؛ حيث ضحى براحة زوجته وأطفاله من أجل حلمه بأن يصبح فنانًا. أحس جوجان بالوحدة والإقصاء. ولكنه فى الوقت نفسه، ازداد إحساسه بموهبته كفنان. وفى صورة شخصية صُوِّرت فى منزل والدى ميتا، أظهر جوجان نفسه يعمل بجد، وكان مصرًّا على أن يصبح مصوِّرًا مهما كانت العواقب.



▲ صورة فوتوغرافية لـ "ميتا" وأطفالها الخمسة عام 1888.

أسرة جوجان

لم يعش جوجان وزوجته معًا بعد عام 1885، لكنهما ظلاَّ يتبادلان الرسائل؛ كتب جوجان أخباره وتجاربه كمصور، وكتبت ميتا أخبارها وأخبار أطفالها. كان المال دائمًا مصدرًا للضغط العصبى على ميتا؛ حيث صارعت من أجل سد حاجة أطفالها الخمسة من خلال عملها كمدرِّسة. ونادرًا ما كان جوجان يرسل إليهم أية أموال، بل كانت ميتا هى من ترسل المال! وبالرغم من ذلك، غالبًا ما انتقد جوجان زوجته على الملأ، وربما كان ذلك نتيجة شعوره بالخزى لما لقى من سوء معاملة أسرتها، وتبريرًا لعدم اهتمامه وهجره لهم.



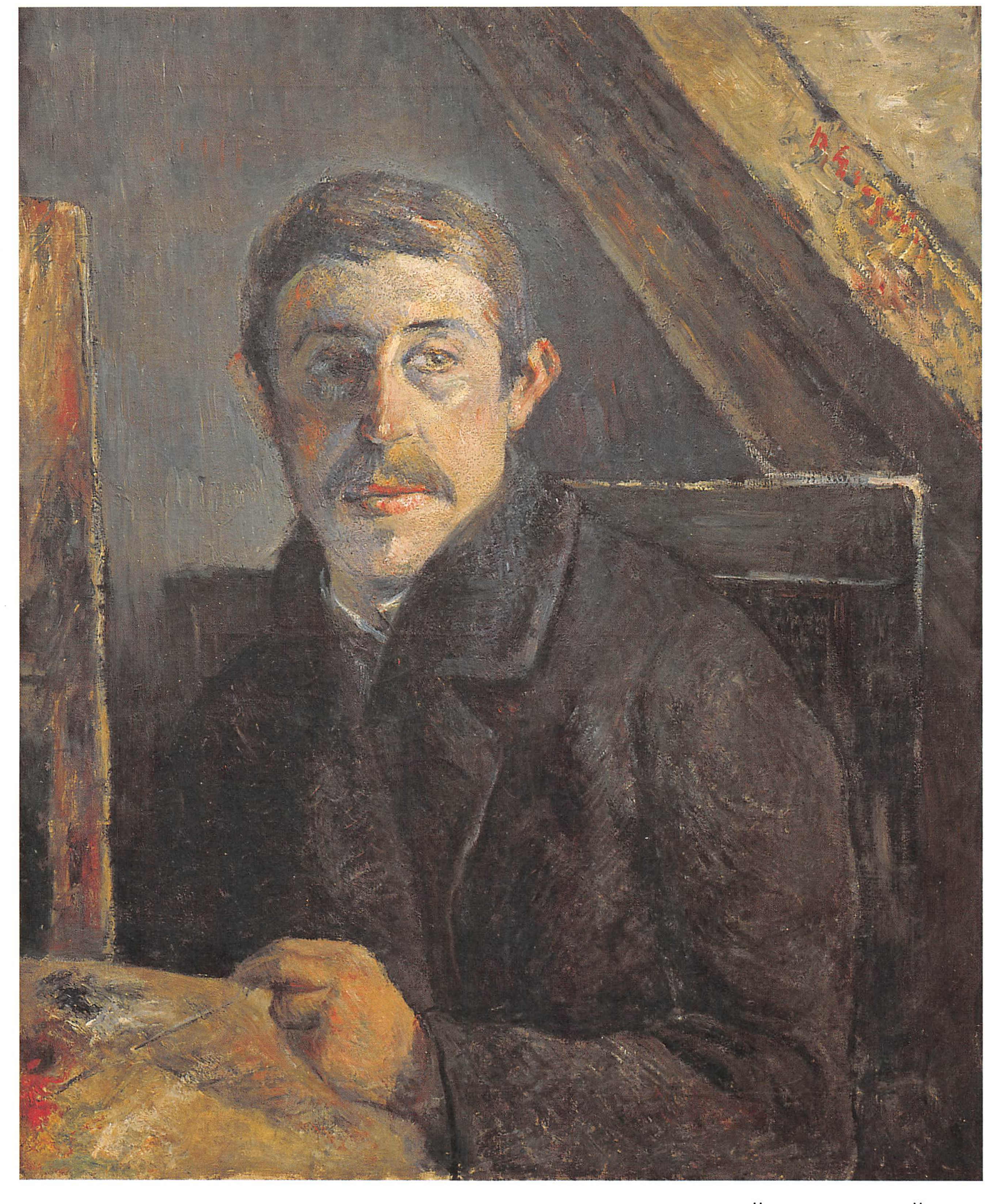
◀ صورة فوتوغرافية لمنظر بكوبنهاجن، الدنمارك، حوالى عام 1885، عندما انتقلت ميتا وأطفالها إلى هناك. فى القرن الثامن عشر كانت كوبنهاجن من أكثر موانئ أوروبا نشاطًا.

باريس

بحلول صيف عام 1885، لم يستطع جوجان أن يظل فى كوبنهاجن، فعاد إلى باريس مصطحبًا معه ابنه الثانى كلوفى، وكان فى السادسة من عمره، ولكنه ترك بقية العائلة فى كوبنهاجن.

المرجع الزمنى ◀

يناير 1884	يوليو 1884	نوفمبر 1884	يونيو 1885
يأخذ جوجان أسرته للعيش فى روين.	تأخذ زوجة جوجان أطفالها للعيش فى كوبنهاجن بالدنمارك، ويمكث جوجان فى روين.	ينضم جوجان لأسرته فى كوبنهاجن.	يعود جوجان إلى باريس ومعه ابنه كلوفى وهو فى السادسة من عمره.



لوحة ''بورتريه شخصى''، 1885.

ألوان زيتية على قماش، 3 ,54 × 65 سم، متحف كيمبال للفن، فورت وورث، تكساس، الولايات المتحدة الأمريكية.

فى هذه اللوحة نستطيع رؤية لوحة جوجان، وفرشاته وباليتته المليئة بالألوان. ولأنه كان يصور نفسه من المرآة؛ فإنه يظهر ممسكًا الفرشاة بيده اليسرى، وهى فى الحقيقة كانت اليد اليمنى! وتختلف ألوان هذا البورتريه الداكنة عن الألوان المشرقة التى استخدمها جوجان فى أعماله فيما بعد.

البحث عن أسلوب فنى

فى باريس، عاش جوجان وكلوفى فى شقة باردة وبائسة. وكان جوجان يتكسب من العمل فى بعض الأعمال التافهة كلاصق إعلانات فى الشوارع، وقد كان منشغلاً بما يؤديه، غير أنه كان بالكاد يجد وقتا للتصوير. مرض كلوفيس واضطرت مارى أخت جوجان أن تعتنى به، وبالرغم من افتقاد جوجان لعائلته كثيرًا، فإنه كان مصرًّا على أن يصبح فنانًا.

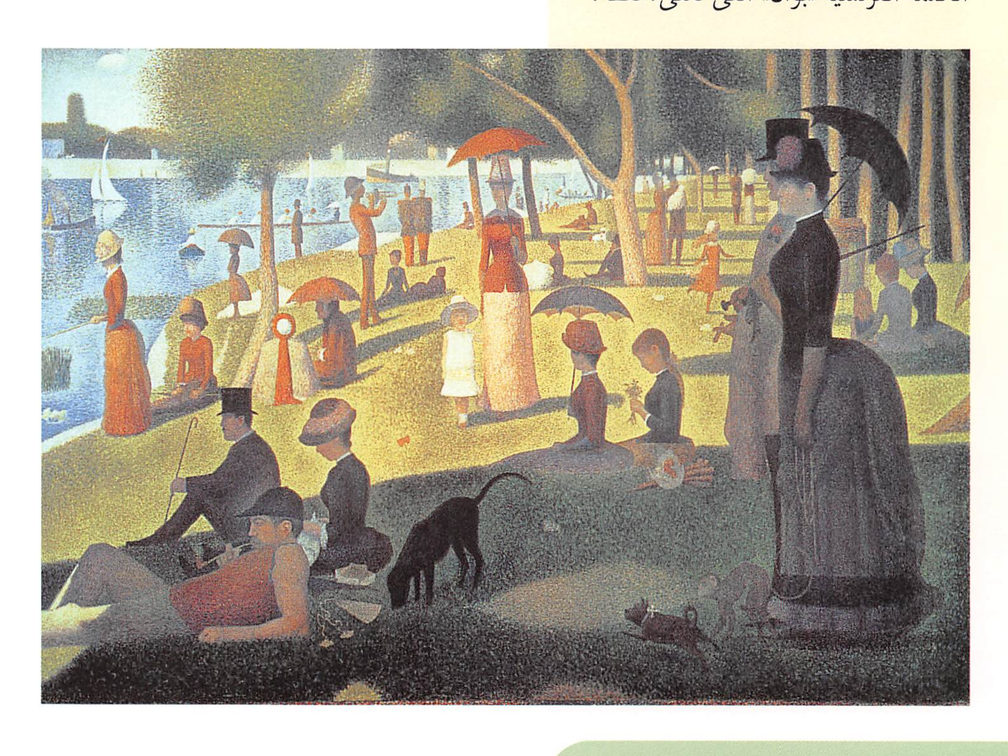
البحث عن إلهام

فى بداية عام 1886، عرض جوجان بعض لوحاته فى معرض الانطباعيين الثامن. وبالكاد كان النقاد يعيرون أعماله اهتمامًا. وكان نجم المعرض فنانًا شابًّا يدعى جورج سورا (1859–1891).

كان جوجان حزينا وغير مرتاح، فقد أحس بأنه لا يملك أسلوبًا خاصًا فى التصوير مثل سورا. وفى صيف 1886، ترك جوجان ابنه كلوفى فى باريس مع أخته، وذهب إلى بريتانى، وهى منطقة فرنسية منعزلة على المحيط الأطلنطى، وهناك تمنى أن يجد الإلهام الذى يحتاجه لكى يبدع أسلوبه الفنى الخاص. وقد صور هناك لوحة «نساء بريتانى الأربع».

الفنانون يستخدمون النقاط

فى بدايات الثمانينيات من القرن التاسع عشر، أراد بعض الفنانين الشبان ابتكار نوع جديد من الفن، يتخطى أسلوب الانطباعية فى أخذ لقطة من الطبيعة فقط. فابتكر كل من «جورج سورا» و«بول سينياك» (1863–1935)، أسلوبًا جديدًا فى التصوير، مستخدمين نقاط ألوان صغيرة مأخوذة من أنابيبها مباشرة (غير مخلوطة)، وموضوعة بجانب بعضها البعض. وعند النظر إليها من بعد، تظهر النقاط وكأنها متداخلة، منتجة لشىء جديد، بل وألوان جديدة. وتلك الحركة الفنية أطلق عليها المدرسة «التنقيطية»، التى استمدت اسمها من الكلمة الفرنسية «بوان» التى تعنى: نقطة.



لوحة "مساء الأحد فى جزيرة لاجراند جات"، (1884-1886)، للفنان جورج سورا. وقد صورت هذه اللوحة كلها باستخدام عدة آلاف من النقاط متناهية الصغر وغير ممزوجة الألوان.

المرجع الزمنى

ربيع 1886	مايو 1886
أكمل فنان التنقيطية جورج سورا لوحته مساء الأحد فى جزيرة لاجراند جات.	عرض جوجان لوحاته بمعرض الانطباعيين الثامن.



لوحة "نساء بريتانى الأربع"، 1886.

ألوان زيتية على قماش، 72 × 90 سم، نيو بيناكوثيك، ميونخ، ألمانيا.

تُظهر تلك اللوحة نساء بريتانى الأربع مرتديات أزياء بريتانى التقليدية، ذات الإيشاربات والشيلان البيضاء. وتلك اللوحة تظهر اختلافًا فى تقنية التصوير لدى جوجان. فبدلا من دمج الألوان سويًّا مثلما يفعل الانطباعيون، بدأ جوجان فى تحديد مناطق الألوان الكبيرة مثل إيشاربات النساء وياقاتهن، بخطوط مرسومة، مما جعلها تظهر كأشكال زخرفية ترقص عابرة النصف الأعلى للوحة.

«أخيرًا حصلت على المال الكافى للذهاب إلى بريتانى... إن لوحاتى أثارت الكثير من النقاش، ويجب أن أقول إن الأمريكيين قد أحبوها».

بول جوجان

بريتانى

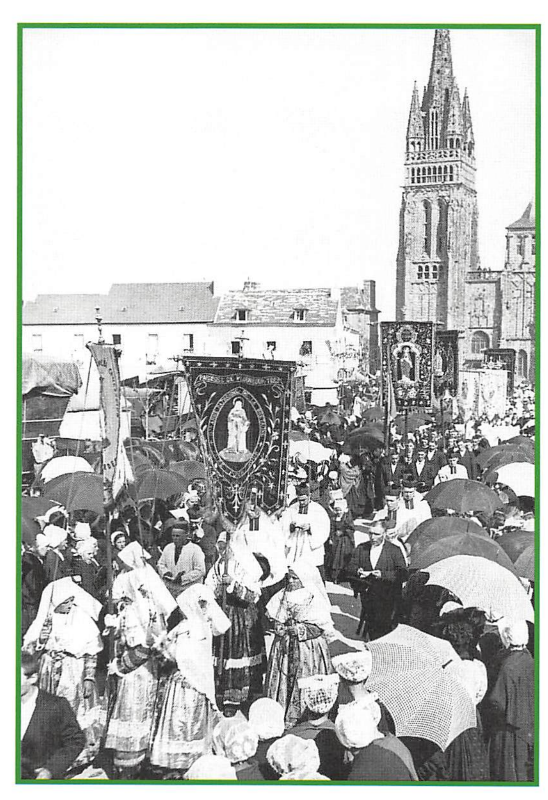
بريتانى هى شبه جزيرة كبيرة فى أقصى غرب فرنسا، تشتهر بساحلها الصخرى، ودوائر صخرية كبيرة، ويثير اسمها فى أذهان الكثيرين، جوًّا من الغموض والسحر.
وسكان بريتانى هم شعب ينحدر من الويلشيين والاسكتلنديين والأيرلنديين، وقد أقاموا فى تلك المنطقة فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين.



▲ تقع بريتانى فى أقصى جنوب فرنسا، وامتداد خطها الساحلى وَعِرٌ وجميل. وإلى الشمال عبر القناة الإنجليزية، توجد منطقة أخرى هى كورنوول.

ثقافة فريدة

حتى فترة متأخرة من القرن الخامس عشر، كانت بريتانى دولة كبيرة مستقلة، ومنفصلة عن فرنسا، وحتى بعد أن أصبحت جزءًا من فرنسا، ظل البريتانيون فخورين بثقافتهم وعاداتهم. واليوم، مازال العديد من البريتانيين يتحدثون اللغة البريتانية القديمة، ويطالب بعضهم بالانفصال عن فرنسا.
طوَّر البريتانيون ثقافة مختلفة تمامًا عن باقى فرنسا؛ فهم - مثلاً- لهم موسيقاهم الخاصة، ولديهم أيضًا نوع خاص من المزمار يعرف باسم «بينيو»، وعندهم أيضًا طعامهم وشرابهم المحلى، مثل الكعك اللذيذ المعروف بال «كريب»، وأيضًا نوع من العسل، واللحم المعروف بال «كلوشين»، وحتى أسِرَّتهم مختلفة. والمعتاد أن ينام البريتانيون داخل صندوق خشبى -يشبه التابوت - يعرف بـ «السرير المُغلق».



▲ صورة لاحتفال دينى فى عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر، فى بريتانى، ويقام هذا الاحتفال فى 8 سبتمبر من كل عام.

المرجع الزمنى ◄

يوليو 1886	أكتوبر 1886	شتاء 1886
يذهب جوجان إلى بونت أفين ببريتانى.	يعود جوجان إلى باريس.	عمل جوجان فى لوحة «نساء بريتانى الأربع» بباريس.



▶ لوحة « نساء بريتانى أثناء الاحتفال الدينى»، عام 1887، للفنان باسكال بوفريه (1852-1929)، ويظهر بهذه اللوحة رجال بريتانى ونساؤها وهم يلبسون ملابسهم الاحتفالية التقليدية.

السيَّاح

حتى القرن التاسع عشر، كان الناس يرون أن بريتانى هى منطقة بدائية. وبدأت وفود عديد من السائحين، فى تلك الآونة، زيارة بريتانى، مستخدمين السكك الحديدية الجديدة. ومنذ ذلك الوقت، بدأت العادات البريتانية فى الاختفاء. فمثلاً، نساء بريتانى لا يرتدين الأزياء البريتانية إلا فى أيام الآحاد، والأعياد.

«لقد وجدت هناك البدائية والفطرة. فعندما يدق حذائى الخشبى على الأرض الجرانيتية، أسمع زئير الحيوانات، وأسمع معزوفة قوية أتطلع لإخراجها فى لوحاتى».

بول جوجان

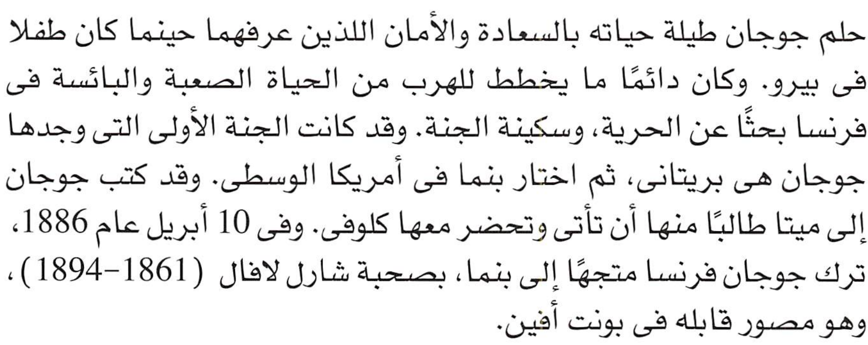


▲ بهذا المنزل، أقام جوجان للمعيشة فى بونت أفين. يجلس جوجان فى الصف الأول، وهو الثانى من اليسار.

بونت أفين

جذبت بريتانى الفنانين مثلما جذبت السائحين. وكانت أكثر الأماكن شعبية لسكن الفنانين هى «بونت أفين»، وقد مكث جوجان هناك لمدة طويلة. وكان كثير من الفنانين الأوروبيين يتركون المدن الصناعية الكبيرة من أجل العيش والتصوير فى الريف. وقد تمنوا أن تستطيع تلك الطبيعة أن تجعل لوحاتهم أقوى، وأكثر مباشرة. وكذلك جوجان أيضًا، رأى أن بريتانى مكان برى جميل، وغنى بتاريخه وأساطيره التى تلهم الفنان أن يبدع طريقة جديدة فى التصوير.

الجزيرة الكاريبية



حلم جوجان طيلة حياته بالسعادة والأمان اللذين عرفهما حينما كان طفلا فى بيرو. وكان دائمًا ما يخطط للهرب من الحياة الصعبة والبائسة فى فرنسا بحثًا عن الحرية، وسكينة الجنة. وقد كانت الجنة الأولى التى وجدها جوجان هى بريتانى، ثم اختار بنما فى أمريكا الوسطى. وقد كتب جوجان إلى ميتا طالبًا منها أن تأتى وتحضر معها كلوفى. وفى 10 أبريل عام 1886، ترك جوجان فرنسا متجهًا إلى بنما، بصحبة شارل لافال (1861–1894)، وهو مصور قابله فى بونت أفين.



▲ صورة فوتوغرافية لأعمال الإنشاء فى قناة بنما، 1890.

جزيرة «مارتينيك»

كانت إقامة جوجان فى بنما قصيرة، وقد تحولت جنته الجديدة إلى مارتينيك، وهى جزيرة كاريبية استرعت نظره هو ولافال فى طريقهما إلى بنما. وقد ألهمته شمسها الساطعة، بألوانها الذهبية، أن يصور أجمل لوحاته فى ذلك الوقت؛ مثل لوحة «نباتات استوائية». مكث جوجان فى مارتينيك لأربعة أشهر فقط، فقد مرض هو ولافال مرضًا شديدًا جرَّاء الملاريا، وقد تركها جوجان إلى باريس، بعد أن منحه صديقه «شفينيكر» ثمن تذكرة العودة.

قناة بنما

بالرغم من أن أخت جوجان (مارى) كانت تعيش فى مدينة بنما مع زوجها، فقد وجد جوجان ولافال بنما مكانًا غير مناسب، وخططا لتركه بأسرع ما يمكن؛ إلا أنهما وجدا هناك عملا مؤقتًا، فى شركة فرنسية كانت على وشك البدء فى حفر قناة بنما، لتربط بين المحيطين الهادىء والأطلنطى. وبعد أسبوعين، كانا قد وفَّرا مالاً كافيًا للسفر إلى مارتينيك. كان ذلك قبل انتهاء العمل فى القناة. بدأ الفرنسيون الحفر عام 1879، ولكنهم أوقفوا العمل عام 1898 نظرًا للتكلفة الزائدة، إلا أن الـ 64 كيلومترًا الباقية قد تم الانتهاء منها، وافتتحت القناة للسفن عام 1945.



▲ مثلما كان لمارتينيك غابات استوائية وقرى صغيرة، كان بها أيضًا منشآت كولونيالية أنيقة، قامت ببنائها السلطات الفرنسية.

المرجع الزمنى ◄

10 أبريل 1887	30 أبريل 1887	يونيو 1887	نوفمبر 1887
يبحر جوجان إلى بنما مع المصور شارل لافال.	يصل جوجان ولافال إلى بنما.	يسافر جوجان ولافال إلى مارتينيك.	يعود جوجان إلى باريس تاركًا لافال الذى كان لا يزال مريضًا فى مارتينيك.



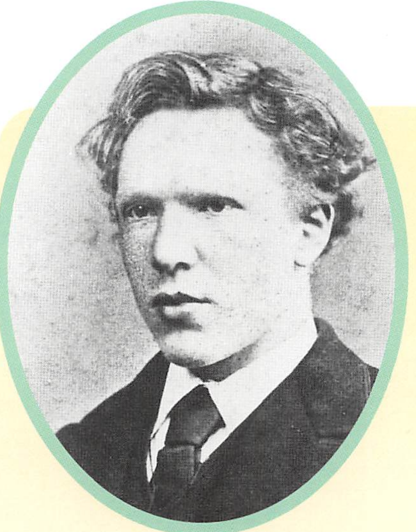
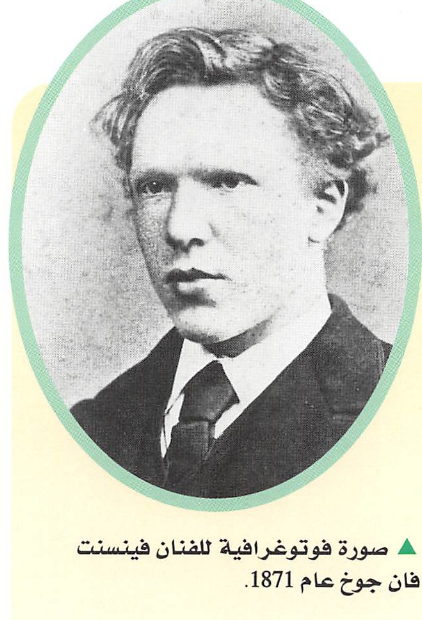
لوحة "نباتات استوائية"، 1887.

ألوان زيتية على قماش، 116 × 89 سم، جاليرى اسكتلندا القومى، إيدنبرج، اسكتلندا.

ذكَّرت تلك الجزيرة الاستوائية «مارتينيك» جوجان ببيرو. ففى هذه اللوحة يبدو المنظر الطبيعى المتوهج وكأنه تقريبًا صورة للجنة. البحر الأزرق العميق، والسماء الشاحبة وشمسها فقط، هى الأشياء التى تعطينا إحساسًا برؤية الأبعاد؛ فكل شىء عداها ليس سوى نبات.

تيو وفينسنت

بعد عودته إلى مارتينيك تعرف جوجان على أخوين هولنديين يعيشان فى باريس. وقد أعجب الأخوان «فينسنت فان جوخ» (1853-1890) و«تيو فان جوخ» (1857-1891) بشدة بأعمال جوجان. و كان فينسنت رائعًا ومصورًا مكافحًا. وكان تيو تاجر فن ناجحًا، وقد دفع لجوجان مبلغًا شهريًّا من المال مقابل لوحات يبيعها فى صالة العرض التى يديرها.

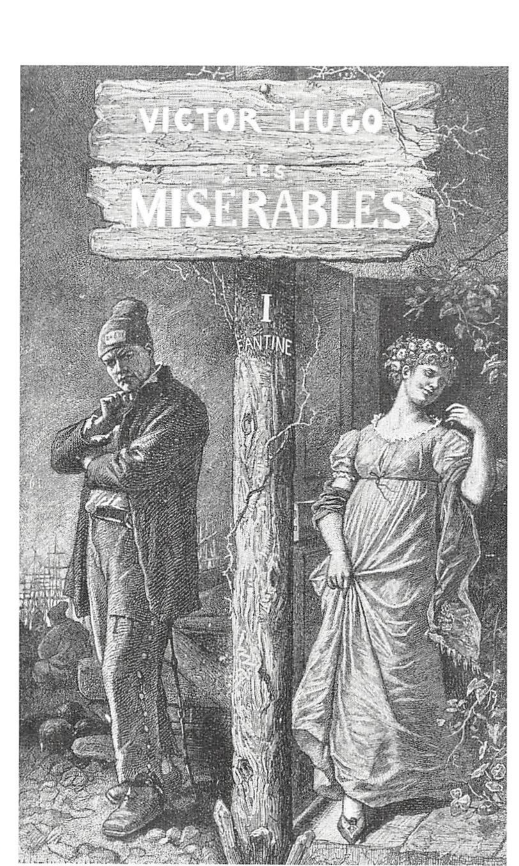
▲ صورة فوتوغرافية للفنان فينسنت فان جوخ عام 1871.

دعوة

كتب الأصدقاء الثلاثة خطابات عديدة لبعضهم البعض؛ متبادلين فيها أفكارهم الفنية. فى عام 1888، اقترح تيو أن ينضم جوجان إلى فينسنت فى جنوب فرنسا. فقد أيقن كلاهما أنهما سيعملان معًا بشكل جيد. وقد حلم فينسنت بتكوين «استوديو الجنوب»، ورأى أن جوجان هو أول فنان يجب أن ينضم إليه هناك. وتحت وطأة الفقر، كان جوجان قد استسلم لإغراء تيو الذى عرض عليه دفع مصروفاته طالما ظل يعمل مع فينسنت.

هدية

قبل انضمام جوجان لفينسنت، كان قد أرسل إليه لوحة شخصية له، وهى مختلفة عن البورتريهات الشخصية التى رسمها جوجان قبل ذلك فى كوبنهاجن. فهنا جاكيت جوجان الأخضر يتباين مع الخلفية الصفراء الوردية، كما أن الفنان يحملق إلى خارج ناظرًا إلينا كثعلب ماكر.



▶ غلاف طبعة 1879 لرواية "البؤساء".

فينسنت فان جوخ

كان فينسنت مثل جوجان فنانًا ما بعد انطباعى. ويعنى ذلك أنه كان متقدمًا عن الانطباعيين بخطوة واحدة فقط؛ حيث أبدع كل منهما أسلوبه الخاص. كان جوجان يلون بسرعة على القماش مستخدمًا فرشاة مليئة باللون. وبفعل ذلك، أعطى اللوحات التى صورها إحساسًا مكثفًا، نادرًا ما نراه فى أعمال الانطباعيين، وكان ذلك انعكاسًا جزئيًّا لعاطفته وطبيعته النموذجية.

المرجع الزمنى ◀

1888	3 أكتوبر 1888
يكتب تيو إلى جوجان مقترحًا عليه أن ينضم إلى أخيه فينسنت فى جنوب فرنسا.	يكتب فينسنت فان جوخ إلى جوجان عن خططه بشأن استوديو الجنوب.



لوحة "بورتريه شخصى: البؤساء"، 1888.

ألوان زيتية على قماش، 45 × 55 سم، متحف فان جوخ، مؤسسة فينسنت فان جوخ، أمستردام - هولندا.

فى الزاوية اليمنى للبورتريه الشخصى له، كتب جوجان هذه الكلمات «البؤساء: إلى صديقى فينسنت»، وسمَّى اللوحة باسم رواية فيكتور هوجو (1802-1885)، وهو أحد أعظم كتاب القرن الثامن عشر فى فرنسا. بطل رواية البؤساء «جان فالجان»، وهو مجرم قرر أن يبدأ من جديد حياة طاهرة، غير أن ضابطًا عدوانيًّا كان دائمًا يستهدفه، وقد أراد جوجان بتسمية تلك اللوحة «البؤساء» الإشارة إلى ما لاقاه (هو وإميلى برنار) صاحب الصورة المعلَّقة خلف البورتريه، من اضطهاد بسبب اختلاف لوحاتهم. بدأ جوجان فى البؤساء تطوير بعض الأشكال التى استخدمها فى أعماله التالية. لاحظ التشابه بين خلفية «البؤساء»، وخلفية لوحة «المرأة ذات الزهرة».

«لقد صورت بورتريه شخصياً لنفسى، كما طلب فينسنت منى. وأؤمن بأنه أحد أهم أعمالى. فاللون بعيد عن الطبيعة، والخيال ينطوى بداخله على نيران عظيمة».

بول جوجان

متاعب فى الجنوب

أساليب مختلفة فى التصوير

مثل الانطباعيين، صور فان جوخ كل ما رآه تمامًا من خلال أحاسيسه. فقد صور بضربات فرشاة قوية ومشحونة بالطاقة مثل الكهرباء. أما جوجان فقد كان يصور من وحى خياله، مستلهمًا الأشياء التى يراها - مثل منظر طبيعى أو عمل فنى - ثم يسجل انطباعاته عن تلك الأشياء فى اسكتشات. بعد ذلك يستخدم ذاكرته ورسوماته لإبداع لوحات متخيلة.



▲ لوحة "زَهْرية ذات 12 زهرة عبَّاد شمس"، 1888، للفنان فينسنت فان جوخ، صور فان جوخ مجموعة من زهور عباد الشمس احتفالا بقدوم جوجان.



▲ صورة فوتوغرافية للمنزل الأصفر فى آرل؛ حيث عاش فان جوخ وجوجان.

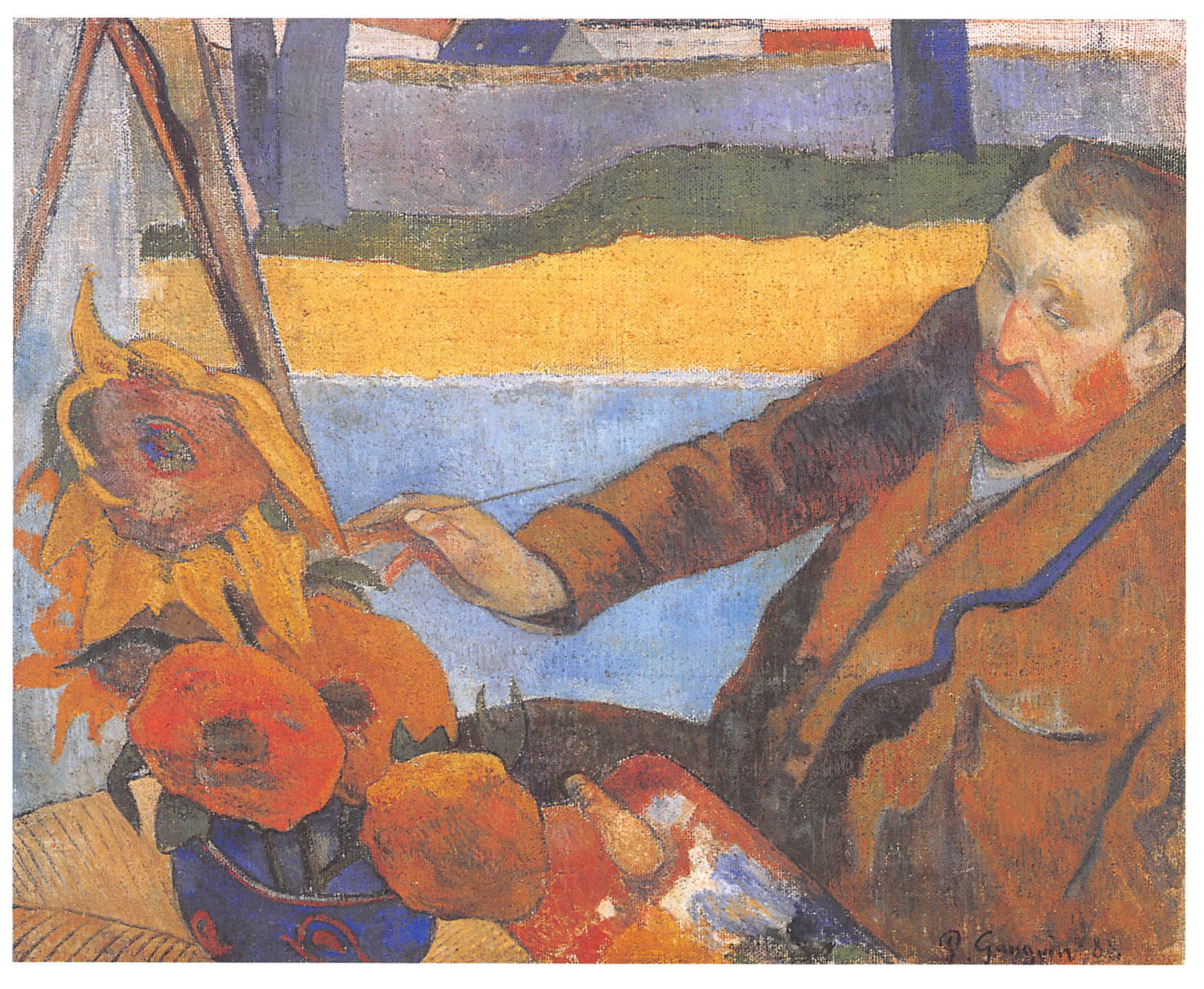
فى أكتوبر عام 1888، ذهب جوجان للعيش مع فينسنت فان جوخ فى آرل، وهى مدينة فى أقصى جنوب فرنسا. كان فان جوخ وحيدًا، ولهذا سُرَّ جدًّا لانضمام جوجان إليه. وكان جوجان يتملق فان جوخ، وأراد أيضًا أن يسعد تيو فان جوخ، حيث كان يشجع أعماله فى باريس. فى البداية، سار الفنانان فى طريق واحد، وكانا على وفاق، فقد عملا بجد، وشجع كل منهما الآخر. وقد ناقشا آراءهما، وأنتج كل منهما حوالى عشرين لوحة.

المتناقضان

بالرغم من علاقتهما، فقد عمل جوجان وفان جوخ بأسلوبين مختلفين تمامًا، وأصبح كل منهما أيضًا مقتنعًا بأن الآخر يصور بأسلوب خاطئ. فبدآ فى الشجار، وأثار كل منهما غضب الآخر. وقد جرح نقد جوجان فان جوخ، كما صدمته شخصيته المتعجرفة، ففى 23 ديسمبر، حدثت بين جوجان وفان جوخ مشادة كلامية حادة؛ فترك جوجان الاستوديو وذهب للعيش فى فندق صغير. وكان فان جوخ مكتئبًا جدًّا لدرجة أنه قطع جزءًا من أذنه. وعاد جوجان إلى باريس حيث أقام مع صديقه شفينيكر.

المرجع الزمنى ◄

23 أكتوبر 1888	23 ديسمبر 1888	25 ديسمبر 1888	7 يناير 1889
ينضم جوجان إلى فينسنت فان جوخ فى أوليس. حيث عاشا فى المنزل الأصفر.	حدثت مشادَّة كلاميَّة بين جوجان وفينسنت فرحل جوجان. واكتأب فينسنت وقطع جزءًا من أذنه، ثم ذهب إلى المستشفى فى اليوم التالى.	غاب فان جوخ عن الوعى لمدة يومين.	ترك فينسنت فان جوخ المستشفى وعاد وحده إلى المنزل الأصفر.



لوحة "بورتريه لفينسنت فان جوخ وهو يرسم زهور عبَّاد الشمس"، 1888.

ألوان زيتية على قماش، 73 × 91 سم، متحف فان جوخ، مؤسسة فينسنت فان جوخ، أمستردام، هولندا.

هل تستطيع ملاحظة شيء ما فى هذه اللوحه؟ رسم جوجان فان جوخ وكأنه ينظر إلى نفسه من أعلى، وهكذا يمكننا رؤية أعلى المنضدة وباليتة فان جوخ فى الوقت نفسه. استخدم جوجان أيضًا ألوانًا جريئة جدًّا، مثلاً: اللون البرتقالى الغنى لزهرة عباد الشمس يتباين مع اللون الأزرق. وبالكاد، يمكن رؤية ظلال. كما أن اللوحة بالكامل تبدو متوهجة بضوء الجنوب الفرنسى.

«لم أتفق كثيرًا مع فينسنت وخاصة فى التصوير».

بول جوجان

المعرض العالمى

فى فبراير عام 1889، عاد جوجان للعيش فى بونت أفين. وفى مايو، سافر إلى باريس لزيارة المعرض العالمى، وهو معرض كبير، أقيم بمناسبة الاحتفال بمرور قرن من الزمن على الثورة الفرنسية 1786. وتوافد ملايين الناس على العاصمة الفرنسية، من أجل مشاهدة المعروضات المجلوبة من دول الإمبراطورية الفرنسية المترامية الأطراف. وقد قام جوجان بزيارة ذلك المعرض لعدة مرات، وانبهر جدًّا بمعروضاته، ومن بينها جزء من المعبد البوذى فى جاوا بإندونيسيا، وكذلك أعجبه البازار المغربى.



▲ كان جوجان واحدًا من أوائل المثالين فى عصره الذين عادوا لأساليب العصور الوسطى فى الحفر على الخشب. ومن لوحاته الشهيرة لوحة «كن لغزًا»، 1889 . كما كان له أعمال كثيرة فى مجال النحت، ومنها آنية فخارية لها شكل رأسه، وقاعدتها تشبه قطرات الدماء، فتبدو وكأن الرأس قد قُطع لتوِّها.



▶ صورة فوتوغرافية للبازار المغربى كما ظهر فى المعرض العالمى 1889، وبازار: كلمة فارسية تعنى السوق.

جوجان النحات

تعلم جوجان -كفنان شاب- النحت، مثلما تعلم التصوير تمامًا، وقد نفَّذ بورتريه جميلاً وحالمًا لزوجته من الرخام. وقد استمر فى التجريب على التماثيل طيلة حياته. كما أصبحت لوحاته أكثر بساطة وجرأة، كذلك كان حال تماثيله أيضًا. وفى بريتانى استمد إلهامه من المنقوشات الخشبية التقليدية.

فى عام 1889، جرَّب على الفخَّار صانعًا كوبًا له شكل رأسه، وبعدها، كرَّس جوجان كثيرًا من وقته للتماثيل الخشبية وأعمدة المنازل التى عاش فيها.

مقهى فولبينى

تضمن المعرض العالمى أيضًا عرضًا للفن الفرنسى. وقد رأى المنظمون أن أعمال جوجان حداثية أكثر مما ينبغى لها لكى تُعرض فى المعرض الرئيسى. ولذلك عرض جوجان وأصدقاؤه من الفنانين، أمثال برنارد ولافال وشفينيكر، أعمالهم فى مقهى فولبينى فى أرض المعرض. ولم يهتم أغلب الناس بأعمال جوجان إلا قليلاً. ولكن مجموعة صغيرة من الفنانين والنقاد، أطلقت على جوجان اسم رائد المصورين الرمزيين.

المرجع الزمنى ◀

فبراير 1889	6 مايو 1889	صيف 1889
يعود جوجان إلى بريتانى من باريس.	تبدأ فعاليات المعرض العالمى فى باريس، وتظل لستة أشهر.	يقيم جوجان وأصدقاؤه معرضًا لأعمالهم فى مقهى فولبينى.



لوحة "عائلة شفينيكر"، 1889.

ألوان زيتية على قماش، 73 × 92 سم، متحف أورساى، باريس، فرنسا.

كان مما جذب الاهتمام فى المعرض العالمى، عرض للفن اليابانى لفنانين من أمثال «كاتسوشيكا هوكوساى» (1760-1849) و «أندو هيروشيجى» (1797-1858)، ولقد ألهم الفنانون اليابانيون كثيرًا من الفنانين الغربيين، ومن بينهم جوجان، من خلال التصوير المسطَّح، والألوان الخالية من الظل، والتصميمات البسيطة الجريئة. فى لوحة عائلة شفينيكر، استخدم جوجان ذلك الإلهام ليبدع أشكالاً منحنية ملونة كما لو كانت مطبوعة يابانية فى اللوحة (لاحظ فى خلفية اللوحة إلى اليمين).

«إنى أمر بتلك المرحلة من الخروج من الوهم، بشكل لا أستطيع معه منع نفسى من الصراخ بأعلى صوتى».

بول جوجان

الرمزية

استخدم الكُتاب والفنانون عبر التاريخ الرمزية فى رسوماتهم ولوحاتهم وتماثيلهم ورواياتهم. الرمز هو شكل لموضوع أو لشخص، يمثل شيئًا ما غير مرئى، كفكرة أو شعور. غالبًا ما استخدم الفنانون المتدينون رموزًا بعينها. أحد تلك الرموز التى يمكن رؤيتها فى الفن المسيحى هى «الهالة»، وهى دائرة من الضوء الذهبى تظهر حول رأس القدِّيس. والهالة ليست شيئًا حقيقيًّا، لكنها رمز للقداسة.

الواقعيون

فى منتصف القرن التاسع عشر، قررت جماعة من الفنانين تعرف باسم «الواقعيون» تجنب استخدام الرموز فى لوحاتهم. وبدلاً من ذلك، حاولوا فقط إظهار العالم اليومى من حولهم، بمنتهى الإخلاص قدر المستطاع.

طور الفنانون الانطباعيون تلك الأفكار الواقعية، واجتهدوا فى تصوير حتى أبسط مظاهر العالم المرئى؛ مثل انتشار الضباب على النهر، أو محطة قطار ممتلئة بالدخان.

الرمزيون

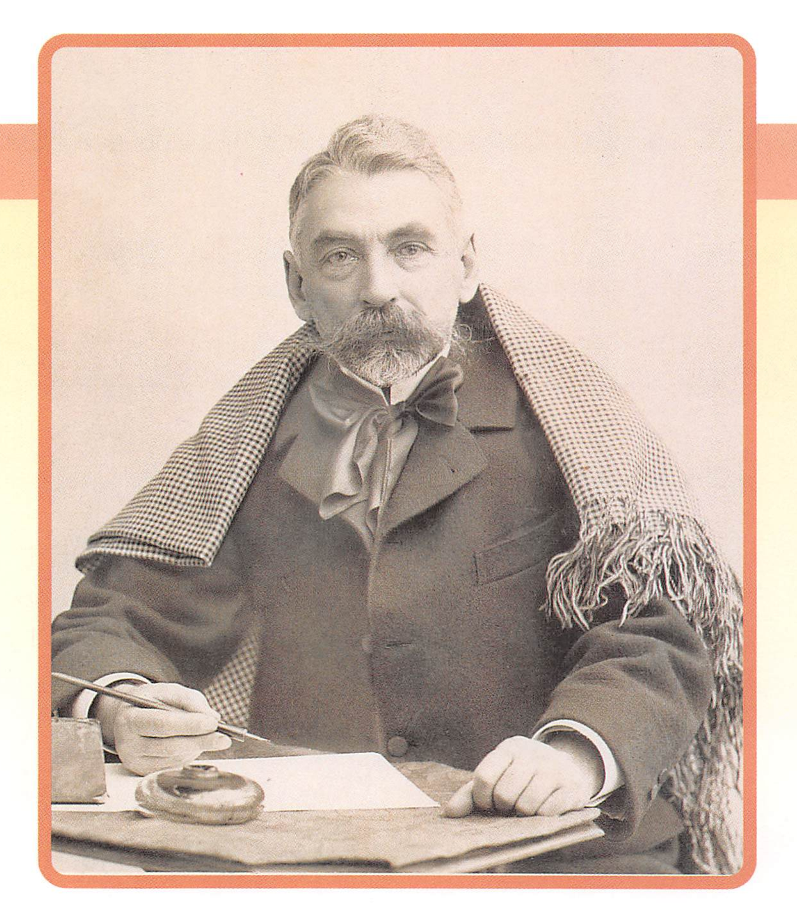
خلال الثمانينيات من القرن التاسع عشر. تمرَّد العديد من الفنانين الشبان ضد أفكار الواقعيين والانطباعيين، وسُميت تلك الحركة الفنية الجديدة بالرمزية؛ فقد آمن الرمزيون بأن اللوحات تُظهر فقط المظهر الخارجى للأشياء، أى المهم فيها. وبدلاً من ذلك، أرادوا تصوير لوحات تستعرض أحاسيسهم وأفكارهم، كما أرادوا إظهار أفكارهم الدينية والروحانية. فاللوحة بالنسبة لهم يجب أن تخبر عن العواطف والحقائق.

ستيفان مالارميه

كان «مالارميه» (1842-1898) شاعر الرمزية الأعظم. وقد أبدع قصائده من خلال الكلمات الحداثية، وكأنه مؤلف موسيقىّ يستخدم النوتة الموسيقية. وقد آمن مالارميه بأنه من الممكن اقتراح انفعالات من وراء المعانى الحقيقية للكلمات.

وكانت عملية قراءة أعماله مثيرة للإعجاب؛ حيث إنها (عملية القراءة) تنطوى على محاولة تخيل ما يمكن أن تعنيه هذه الأعمال.

ولقد أعجبت الرمزية جوجان، وآخرين غيره من الفنانين، فبدأوا تجريبها فى مجال الرسم؛ كما حدث فى مجال الشعر. وهكذا، كان الناس ينظرون إلى لوحات جوجان، ويتخيلون ما الذى يمكن أن تعنيه كل لوحة بالنسبة لهم.



▲ صورة فوتوغرافية : ستيفان مالارميه، شاعر الرمزية الكبير.



لوحة "الشتاء"، 1884، للفنان بيير بوفى دى شافان. تتكامل هذه اللوحة مع لوحة أخرى للفنان نفسه، تسمى "الصيف". وقد لخصت كل منهما فصلها بأسلوب شعرى.

الفنانون

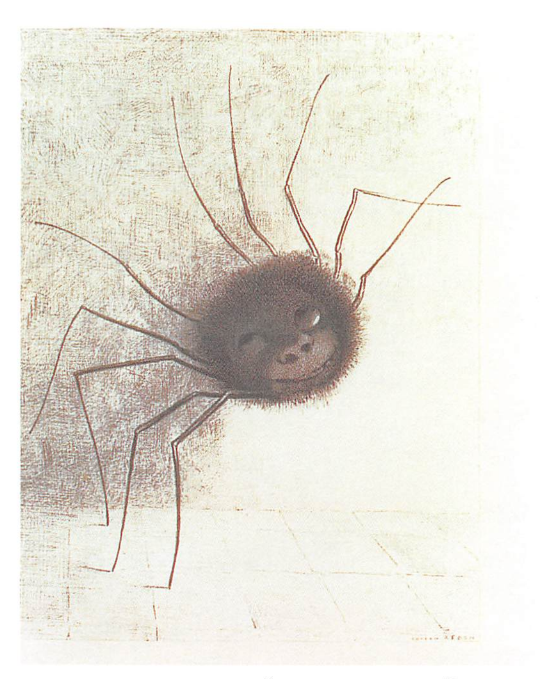
كان الأدباء، والشعراء هم رواد الرمزية، ولكن المصورين - أيضًا- استوعبوا أفكارها، فاستخدموا الرموز -صراحة- فى أعمالهم، فعلى سبيل المثال، صور «بيير بوفى دى شافان» (1824-1898) لوحة سُميت «الشتاء»، وهى تظهر الريفيين وهم يستدفئون فى منظر طبيعى، يكتنفهم جو بارد ملىء بالثلوج، وأوراق الشجر. أما الرجل العجوز فى البناية الصغيرة إلى اليسار، فهو يرمز - فى نهاية حياته - إلى الشتاء. وهناك فنانون آخرون قد استخدموا رموزا أكثر صعوبة؛ فرسومات أوديلون ريدون (1840-1916) -مثلاً - يلفها الغموض والخطر، ومن العسير فهم ما تعنيه.

جوجان والرمزيون

أقام جوجان عدة صداقات مع العديد من الكتاب والمصورين الرمزيين، مثل مالارميه وريدون، فى أواخر الثمانينيات من القرن التاسع عشر. ونتيجة لذلك، استخدم جوجان اللون والخط مثل النِوَتِ الموسيقية، عوضًا عن وصف المظهر العادى للموضوع. وقد أعلن ذات مرة قائلا: «عن طريق ترتيب الألوان والخطوط، أنجزت سيمفونيات ونغمات تجعل الناس يتأملون، مثلما تفعل الموسيقى تمامًا. ومثل قصائد مالارميه، ورسومات ريدون كانت لوحات جوجان غريبة ومُحَيِّرة».

«يهتم الانطباعيون فقط بما هو واضح للعين، ولا يبالون بما هو غامض وخفى من الفكر».

بول جوجان



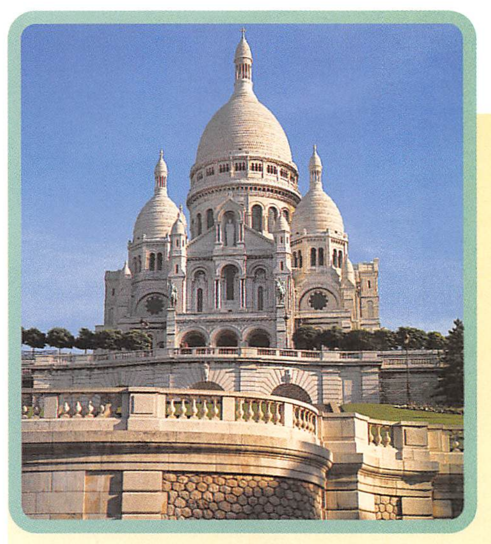
لوحة "العنكبوت الضاحك"، 1881، أوديلون ريدون. تتضمن رسومات ريدون الفحمية عناكب ضخمة أكولة، ونباتات برؤوس آدمية.

قرية لوبولدو

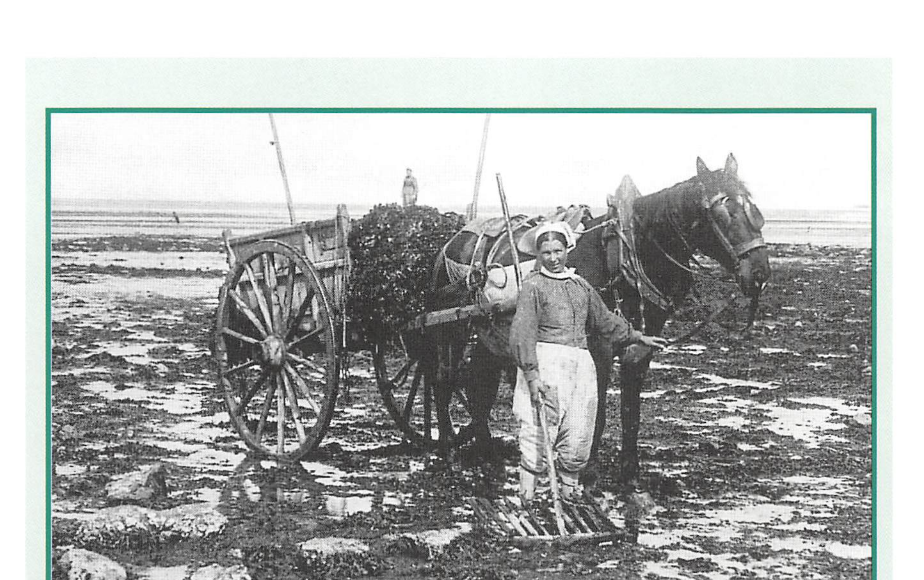
عاد جوجان إلى بونت أفين فى أكتوبر عام 1889، لكنه رأى أنها أصبحت أكثر ازدحامًا بالسائقين. فذهب للعيش فى قرية متاخمة لها تعرف باسم «لوبولدو». وكان معه بول سيروزييه (1863-1927)، والمصور الهولندى جاكوب ميير دى هان.

حياة صعبة

بغض النظر عن بعض الحقول المترامية الأطراف، لم يكن هناك أى شىء فى لوبولدو سوى الكثبان الرملية، والصخور الوعرة. وكان الجو باردًا ماطرًا وعاصفًا معظم الوقت. وكانت حياة الناس هناك صعبة جدًا وقد ألهمته غلظة الحياة فى لوبولدو بإبداع عدد من أجمل لوحاته.



▲ صورة فوتوغرافية لكنيسة "القلب المقدس" فى باريس، فى نهايات القرن التاسع عشر.



▲ يتكَسَّب الناس فى لوبولدو من جمع الطحالب البحرية.

رجل صعب المراس

فى يوليو عام 1890، انتحر فان جوخ مطلقًا رصاص مسدسه على صدره، واكتفى جوجان بكتابة رسالة مواساة إلى أخيه تيو، ولم يشارك فى تشييع الجنازة. وقد أثار جوجان حفيظة إميل برنار - أيضًا- لأنه رفض تنظيم معرض للوحات فان جوخ. كما خيَّب جوجان أمل أقدم أصدقائه شفينيكر. ولذلك تجنبه الكثيرون من أصدقائه، معتبرين إيَّاه رجلاً أنانيًّا، صعب المعاشرة.

إبداعات متنوعة

خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر، تغيَّر العالم بسرعة، وعاد الكثير من الفرنسيين إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من أجل مسحة من الطمأنينة والأصولية.

ونتيجة لذلك، تبرع الكثيرون لبناء «القلب المقدس»؛ وهو كنيسة بيضاء متألقة، تقع على قمة تل فى مومارتر بباريس. وبالرغم من أن جوجان لم يكن متدينًا، فقد أبدع العديد من اللوحات الدينية، واحترم عقيدة الآخرين. ومثل باقى مصورى المدرسة الرمزية، فقد اهتم بإظهار العالم الداخلى والروحى للبشر.

المرجع الزمنى ◄

أكتوبر 1889	29 يوليو 1890	نوفمبر 1890	25 يناير 1891
يعود جوجان إلى بونت أفين، ثم يذهب للعيش فى لوبولدو.	انتحار فان جوخ بإطلاق النار على نفسه.	يترك جوجان لوبولدو إلى باريس، حيث اختلط هناك بشعراء ومصورى الرمزية.	وفاة تيو فان جوخ.



لوحة " فتاتان من تاهيتى "، 1891.

ألوان زيتية على قماش، 67 × 90 سم، متحف اللوفر، باريس.

صور جوجان فى هذه اللوحة فتاتين تاهيتيين تجلسان على الرمال فى حالة من التأمل.

«لا تحاكى الطبيعة بشكل كبير عند التصوير».

بول جوجان

الهروب إلى المناخ الاستوائى

كان جوجان نجمًا لامعًا فى عالم الفن. ودائمًا ما نُودى به كرائد من رواد الرمزية، وقد كان صديقًا لعدة كتاب وشعراء مهمين، إلا أنه ظل فقيرًا جدًّا، ولم يحصل على شعبية واسعة.

وكان عدد من يشترون لوحاته قليل، وغالبًا ما كانوا من الأغنياء المحبين للفت الأنظار، وقد قدَّروا أعمال جوجان لغرابتها.



▲ صورة فوتوغرافية قبل رحيله إلى تاهيتى، حيث رجع جوجان ليودِّع زوجته وأطفاله فى كوبنهاجن. وقد أخذت تلك الصورة الفوتوغرافية خلال الثلاثة أسابيع التى زار فيها جوجان كوبنهاجن. وهى تظهره مع ابنه إميل وابنته ألين.

ركوب البحر

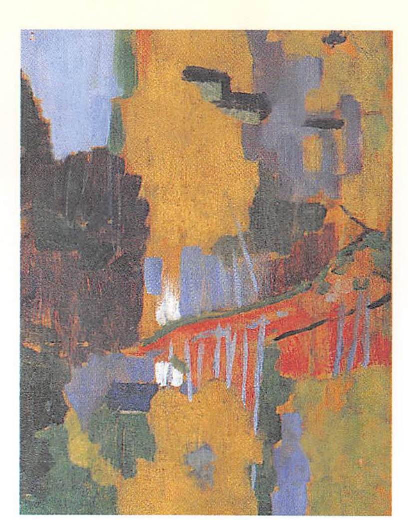
على الرغم من ازدياد نجاحاته وتأثيره فإنه كان دائمًا مضطربًا وحزينا. ولوقت طويل، ظل يحلم بالعودة إلى الأماكن الاستوائية، وتأسيس استوديو هناك. وقد كاد يضع تلك الخطة حيز التنفيذ، إلا أنه لم يكن لديه المال؛ فأقام معرضًا للوحاته التى أتت له بأكثر من 7000 فرانك، وهكذا استطاع السفر. وبعد زيارته لزوجته وأسرته فى كوبنهاجن، ركب جوجان البحر إلى الجزيرة الأطلنطية تاهيتى فى 7 فبراير 1891.

ماتيا

وصل جوجان إلى عاصمة تاهيتى، ولكنها لم تعجبه، فذهب إلى قرية صغيرة تحت إدارتها تسمى ماتيا، وكان سعيدًا هناك؛ حيث استطاع العمل بحب، وقد رسم صورًا عديدة، وغالبًا ما أعطى لوحاته التى رسمها هناك أسماء تاهيتية.

المرسلون

بعام 1888، قام جوجان بتعليم الفنان بول سيروزييه كيفية التصوير بالأسلوب السونتاتيزمى. وبتوجيهات من جوجان، صور سيروزييه لوحة صغيرة الحجم على غطاء علبة سيجار (انظر إلى الأسفل). وعندما عاد سيروزييه إلى باريس، عرض لوحته على فنانين معروفين، من ضمنهم موريس دينى (1867–1947)، وبيير بونارد، وإدوارد فويلار (1868–1940). وقد بدأ هؤلاء الفنانون باحتذاء مثال جوجان فى التصوير، مستخدمين الألوان والأشكال بطريقة تخيلية. وقد أطلق هؤلاء الفنانون على أنفسهم المرسلين، وكانوا نشطاء حتى عام 1899.



▲ لوحة "التعويذة"، 1888. بول سيروزييه. تعتبر تلك اللوحة الزيتية الصغيرة إحدى علامات الفن الحديث.

المرجع الزمنى ◄

مارس 1891	7 مارس 1891	23 مارس 1891	7 أبريل 1891	9 يونيو 1891	سبتمبر 1891
أصبح الناقد ألبير أوربيه (1865–1892) رائدًا للرمزية.	يصل جوجان إلى كوبنهاجن لتوديع عائلته.	يقيم الرمزيون وليمة فى باريس على شرف جوجان.	يبحر جوجان من مارسيليا إلى تاهيتى.	يصل جوجان إلى بابيتى عاصمة تاهيتى.	ينتقل جوجان إلى ماتيا.



لوحة "المرأة ذات الزهرة"، 1891.

ألوان زيتية على قماش، 5, 46 × 5, 70 سم، كوبنهاجن، الدنمارك.

صور جوجان تلك اللوحة بعد وصوله إلى ماتيا بقليل. كانت نساء تاهيتى ترتدين الزى التقليدى المكوَّن من تنورة مضمومة تُسمَّى «باريو»، وفى تلك اللوحة، ترتدى هذه المرأة التاهيتية أبهى ثيابها؛ فستانًا أزرق ذا ياقة وأكمام مُخَرَّمة.

تاهيتى

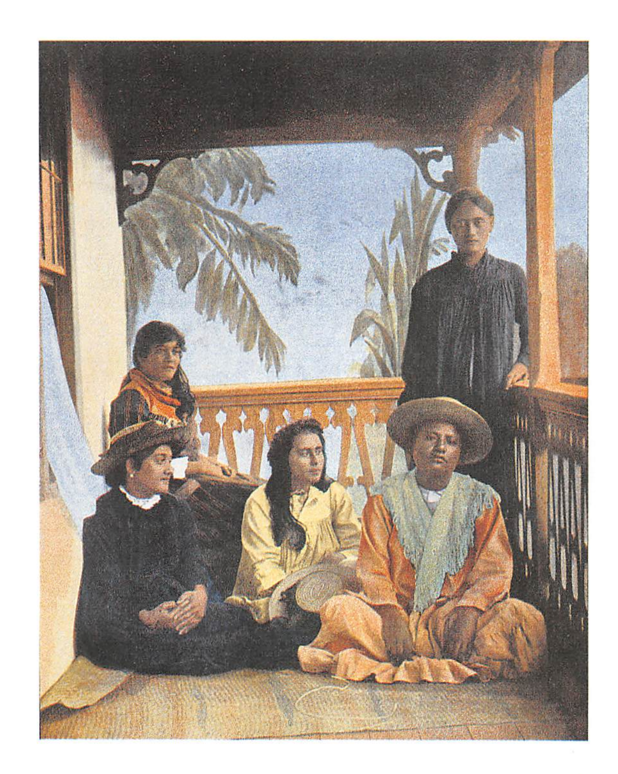
هى واحدة من كبرى جزر جنوب الأطلنطى، وهى تُشكِّل مجموعة ممتدة من جزر بولينيزيا فى منطقة تسمى أوقيانوسيا. والمنطقة متسعة الأطراف، وتشمل نيوزيلاندا. وسكان بولينيزيا يُعرَفون بالبولينيز، وقال الباحثون بأن البولينيزيين قد هاجروا من جزر جنوب شرق آسيا منذ 4000 سنة.

المستعمرة

خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ضمَّت فرنسا وإنجلترا جزر بولينيزيا إلى إمبراطوريتيهما، وقد وُضعت تاهيتى تحت الحكم الفرنسى عام 1842. وعانى سكان بولينيزيا كثيرًا بعد نزول الأوروبيين؛ فلم تكن لديهم مقاومة للأمراض الأوروبية، مثل مرض الأنفلونزا، ومات منهم عشرات الآلاف. وقد عمل الكثير منهم فى المزارع الفرنسية أو كخدم فى منازل الفرنسيين.

حكايات الرحَّالة

وصف المسافرون الأوروبيون تاهيتى وبأن سكانها سعداء بأنها قطعة من الجنة، وبأن سكانها سعداء، وأطفالها لطفاء، والحياة بها بسيطة وآمنة. وقال بعض الأوروبيين أيضًا،



▲ **صورة فوتوغرافية ملونة باليد لنساء من تاهيتى يجلسن فى شرفة، أخذت عام 1908 وحتى عام 1836؛ عندما عرضت أول أزياء أوروبية - الفساتين الطويلة التى ترتديها هؤلاء السيدات، فقد كانت النساء ترتدين جيبة فقط. وذلك الاختلاف هو جزء صغير مما لحق بالمجتمع التقليدى فى تاهيتى خلال المرحلة الاستعمارية.**

إن البولينيزيين أناس حقراء وجنس بدائى؛ ولهذا من حق الأوروبيين، بل ومن الواجب عليهم أن يحكموا هؤلاء القوم.

بولينيزيا الفرنسية
هيفا أوا
جزر ماركيزاس
جزر تواموتو
جزر سوسايتى
فانجاتوفا
تاهيتى
موروروا
جزر توبواى
جزر جومبييه

▲ **صورة لخريطة الـ 118 جزيرة الخاصة ببولينيزيا الفرنسية، وكانت تمتد عبر مساحة تزيد عن ثلاثة ملايين متر مربع فى جنوب المحيط الهادىء.**

بولينيزيا اليوم

بولينيزيا الفرنسية هى جزء من أوقيانوسيا، وهى أراض فرنسية فى أعالى البحار. وقد استخدمت فرنسا الجزر المرجَانيَّة هناك لتجربة أسلحتها النووية فى عام 1996. أثارت تلك التجارب اعتراضات عنيفة وتظاهرات فى بابيتى. واليوم يريد الكثير من أهل بولينيزيا استقلال الجزيرة. وقبل الذهاب إلى تاهيتى، صدَّق جوجان العديد مما سمع من حكايات عن الجزيرة. وقد رأى أن أوروبا أصبحت نمطيَّة وغير جيِّدة، على العكس من تاهيتى التى كانت عالمًا غير فاسد. فى عام 1889، كتب إلى أحد أصدقائه قائلاً: «ليس لأهل تاهيتى خبرة سوى بالأشياء الجميلة فى الحياة، والحياة عندهم لا تعنى شيئًا سوى الغناء والرقص».



▲ لوحة "أوباوبا"، 1891. فى تلك اللوحة، يُظهر جوجان حفلة تاهيتية تقليدية راقصة حول النار. وطبقًا للقوانين الفرنسية، تم منع ذلك النوع من الحفلات؛ لذا فمن غير المعروف ما إذا كان جوجان قد رأى هذا المنظر حقيقة أم لا.

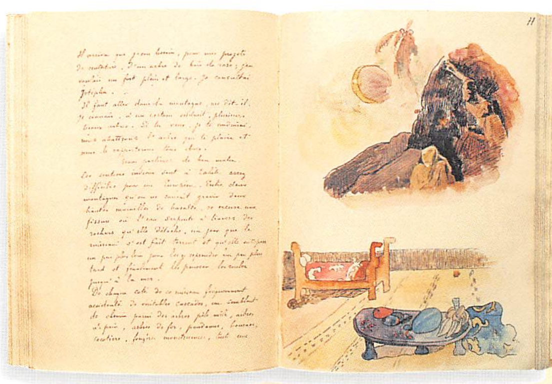
الفردوس المفقود

بعد أن وصل إلى تاهيتى، اكتشف جوجان أنها أبعد ما يكون عن كونها جنة؛ فلقد اختفت غالبية تقاليدها، ولقد ألمح جوجان إلى ذلك؛ حيث صور فى لوحاته التاهيتية قرص الشمس، والعالم السعيد المفعم بالشباب والجمال، مستخدمًا ألوانًا ساخنة مثل الأحمر والوردى والبرتقالى والأصفر، لكننا إذا أمعنا النظر نلحظ جوًّا من الحزن الهائل، يخيم على هذه اللوحات.

لقد دافع جوجان، أثناء إقامته فى تاهيتى، عن حقوق التاهيتيين لبعض الوقت، كما هاجم الحكومة الفرنسية فى الجرائد المحلية، وشجع البولينيزيين على مقاومة ذلك الحكم الجائر. ولا يزال التاهيتيون ينظرون لجوجان بإكبار حتى يومنا هذا. ولا يعتبره كثير من البولينيزيين مستعمرًا فرنسيًّا مثل غيره كثير من المستعمرين الذين احتلوا وطنهم، واستولوا على الأراضى الزراعية به. بينما يرى آخرون أن لوحاته تظهر حساسية كبيرة للثقافة البولينيزية، وأن جوجان قد حاول -من خلال أعماله- أن يوحِّد بين ثقافتين مختلفتين تمامًا.

فى البحث عن المكانة المرموقة

فى ربيع عام 1892، مرض جوجان مرضًا شديدًا. وبدأ يتقيأ دمًا، ودخل المستشفى جرَّاء أزمة قلبيَّة. وفى فترة النقاهة قرر العودة إلى باريس؛ إلا أنه كان قد استنفد كل نقوده التى حصل عليها لقاء بيع لوحاته كلها فى معرض عام 1891، وبعد أن اقترض من أحد الأصدقاء، وصل جوجان إلى مارسيليا، فى 23 أغسطس عام 1893 ومعه 66 لوحة، تحدوه آمال عظيمة فى معرض أخير قد يرفع اسمه.



▲ نُشر كتاب "نوا نوا" لأول مرة بعد 22 عامًا من وفاة جوجان، وذلك عام 1925. ومنذ ذلك الحين، تُرجم الكتاب إلى كل اللغات الأوروبية الرئيسة، وقد بيعت منه مئات الآلاف من النسخ.

باريس

وافقت صالة عرض دوراند رويل، التى عرضت قبل ذلك العديد من أعمال فنانى الـ«أفان جارد» (الطليعة)، على بيع أعمال جوجان، وذلك نزولاً على رغبته فى زيادة الوعى به.

وفى 10 نوفمبر، عرض جوجان 40 لوحة وتمثالين، ولقد كانت الآراء حول هذا المعرض إيجابية، كما أثار اهتمام أصحابه، وباع فيه جوجان 11 لوحة. وبرغم ذلك النجاح، وجد جوجان أن العاصمة الفرنسية ليست لطيفة، وكان جوجان - برأى العديد من الباريسيين- همجيًّا فحسب. فقد كان يرتدى طاقية زرقاء كبيرة، وقفازات بيضاء، ويحمل عصًا كبيرة معقوفة. وقد اعتبر الناس لوحته الجريئة عن البولينيزيين بربرية ومريضة.

نوا نوا

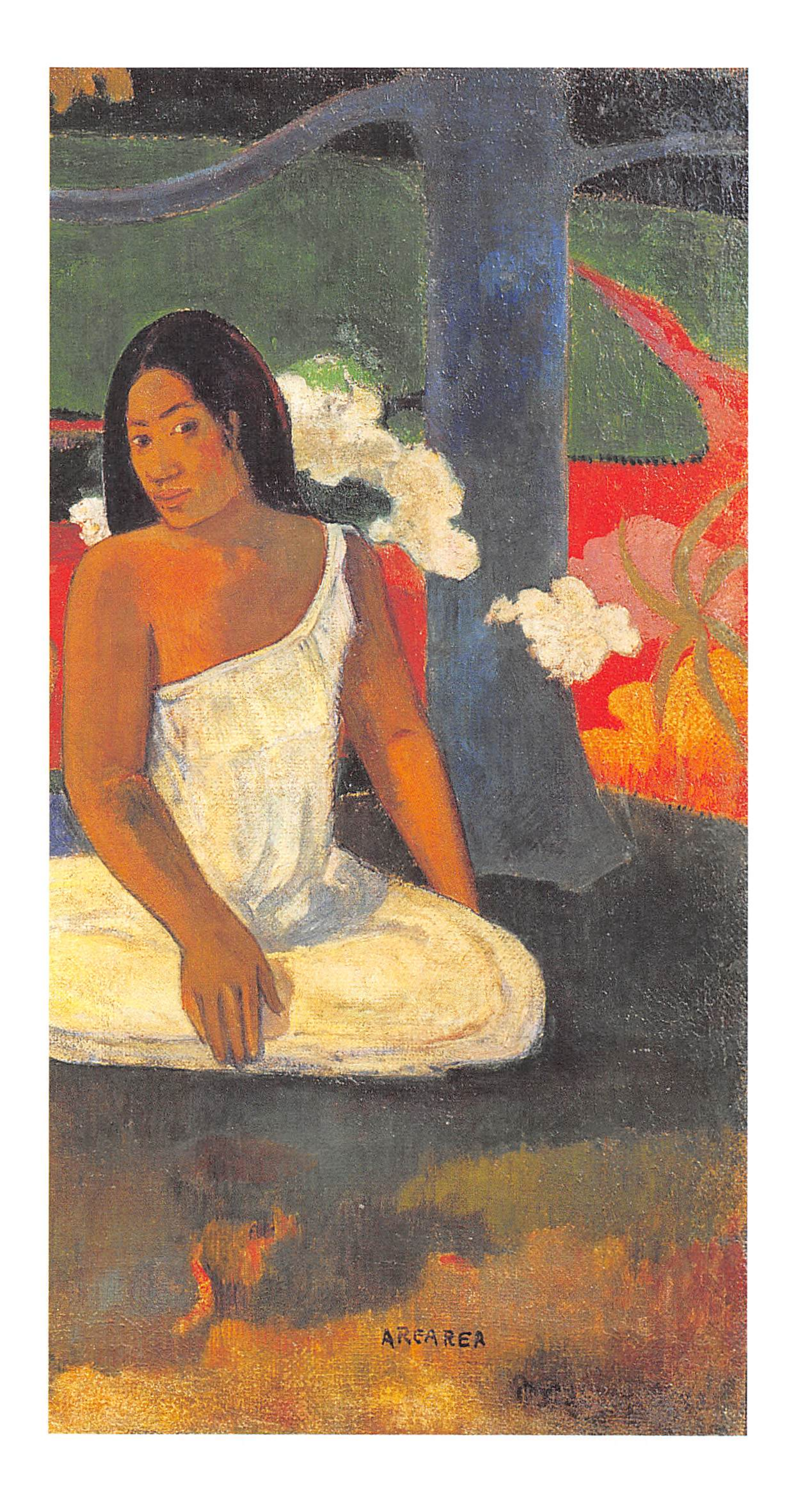
كتب جوجان، وهو فى باريس، 38 صفحة تحوى العديد من الحكايات عن العادات والأساطير التاهيتيَّة، ونظرًا لخبرته فى تاهيتى، فقد سمى كتابه «نوا نوا» الذى يعنى «طيب جدًّا»، وقد كتب جوجان إلى «ميتى» عن ذلك المشروع قائلا: «سوف أؤلف كتابًا عن حياتى فى تاهيتى، وعن الطريقة التى أحسست بها الفن». عمل جوجان فى ذلك الكتاب فى الفترة ما بين 1894 و1897، وزادت الصفحات الـ 38 إلى 204 بها 10 أعمال حفر على الخشب، 31 لوحة ألوان مائية، و7 صور فوتوغرافية، وصورتان مرسومتان.



▲ أججت تماثيل المويا الغامضة بجزيرة «رابانوى» خيال جوجان وهو يرسم صورًا للعقيدة التاهيتية. والمويا هى تماثيل عملاقة حجرية يبلغ طول الواحد منها 4٫6 متر.

المرجع الزمنى ◀

ربيع 1892	23 أغسطس 1893	10 نوفمبر 1893	أبريل 1894	يوليو 1895
مرض جوجان، وذهب إلى المستشفى جرَّاء أزمة قلبية، ومكث هناك بعض الوقت.	يعود جوجان إلى باريس.	عُرضت أربعون من لوحات جوجان، واثنان من تماثيله، فى معرض دوراند رويل فى باريس، وبيعت إحدى عشرة لوحة.	يذهب جوجان إلى بونت أفين.	يترك جوجان فرنسا للمرة الأخيرة.



تفصيلة من لوحات جوجان، 1892.

ألوان زيتية على قماش، 75 × 94 سم، متحف أورساى، باريس، فرنسا.

تلك اللوحه مليئة بالغموض، فقد كان جوجان يحب تصوير أساطير تاهيتى.

«لقد سافرت إلى تاهيتى فى الدرجة الثالثة، محشورًا بين مائتى جندى. وكانت المساحة المتاحة لكل فرد لا تتجاوز 50 سم. ودامت الحال هكذا لمدة 40 يومًا، ولولا البحر،لكان المشى أرحم».

بول جوجان

الاكتئاب واليأس

كان جوجان مكتئبًا بسبب طول انتظاره، قبل أن يدركه النجاح فى عالم الفن فى باريس، وقد كان متشوّقا للعودة إلى بولينيزيا. فى سبتمبر عام1895، رجع إلى تاهيتى، وعاش فى قرية صغيرة تسمى بوناويا. وهناك عاش جوجان فى منزل كبير بحديقة، وتزوج امرأة تاهيتية تسمى باهورا، وارتدى الزىّ التاهيتى التقليدى (الباريو)، ومنذ ذلك الوقت، أصبحت صحة جوجان سيئة جدًّا، كما عانى من مرض فى قدميه لم يتعافَ منه؛ وقد عانى -أيضًا- من نوبات متكررة من الحمى، ولم يكن يستطيع التصوير إلا على فترات متباعدة.



▲ لوحة "فى زمن الانسجام"، 1894، للفنان بول سينياك. يظهر سينياك الجنة على الشاطئ، حيث يعمل الناس ويلعبون سويًا فى سعادة؛ بينما يبدو الناس فى لوحة جوجان ذات الاسم نفسه حَزَانَى.

محاولة انتحار

فى عام 1897، توفيت ابنة جوجان ألين بالالتهاب الرئوى، وكانت فى العشرين من عمرها. وقد صوَّر جوجان الجريح لوحة «من نحن؟ ومن أين جئنا؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟» وهى أكبر ما أبدع من لوحات، وقد حاول فيها التعبير عن كل الأحزان التى عاناها فى حياته (انظر إلى اليسار). وبعد الانتهاء من تلك اللوحة، ذهب إلى غابة قريبة، وابتلع كمية من السم فى محاولة للانتحار. وبالرغم من أنه ابتلع معظم السم وقضى يومين فى عذاب؛ فإنه فى النهاية عاد زاحفًا إلى كوخه، مكتئبًا ومرهقًا.



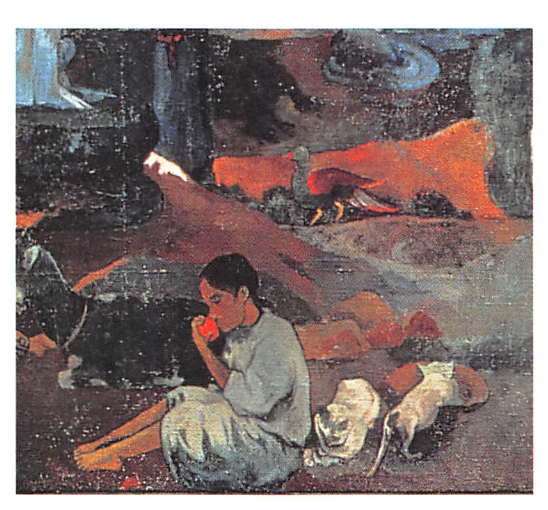
▲ كان منزل جوجان فى بوناويا متسعًا ومريحًا، حتى إنه بنى استوديو خاصًا به، كى يصور فيه.

عائلات جوجان

لقد تزوج جوجان بالعديد من السيدات من أهل الجزيرة، أو الفاهينز بالبولينيزية. ولقد كُنَّ يقدمن له منزلاً ويقدمن أنفسهن كموديلات له، وينجبن له الأطفال. وفى خطاباته لزوجته الأولى «ميتى»، أخفى جوجان تلك الزيجات عنها. وأخيرًا جاءت القطيعة النهائية بينهما عام 1894، ليس عندما اكتشفت أمر أسراته الأخرى، ولكن بسبب اكتشافها أن جوجان قد ورث أموالاً طائلة، وأنه رفض إعطاءها، أو أطفالها، شيئًا من هذه الأموال. وانتهت تمامًا أمنية «ميتى» للحياة معه ثانية.

المرجع الزمنى ◄

سبتمبر 1895	أبريل 1897	أبريل 1897
عاد جوجان إلى تاهيتى.	وفاة ألين جوجان بالتهاب رئوى.	صور جوجان لوحة «من نحن؟ ومن أين جئنا؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟». وبعدها بأيام قليلة حاول الانتحار.



تفصيلة من لوحة "من نحن؟ من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟"، 1897.

ألوان زيتية على قماش، 139,1 × 374,6 سم، متحف الفنون الجميلة، (مجموعة تومبكينز)، بوسطن، الولايات المتحدة الأمريكية.

تطرح هذه اللوحة أسئلة كثيرة حول الحياة. ففى المنتصف، رجل يلتقط حبة من الفاكهة. ضم كل من سينياك وجوجان فى لوحتيهما رجلاً يلتقط حبة فاكهة ليرمزا إلى السعى إلى المعرفة، إلا أنه فى الوقت الذى آمن فيه سينياك بأن المعرفة تمنح الناس الكرامة، رأى جوجان أنها تقودهم إلى الخطيئة والتعاسة.

«قبل أن أموت، وضعت كل طاقتى فى لوحة «من نحن؟ ومن أين جئنا؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟»، وقد رسمت تلك العاطفة تحت ظروف سيئة، وكانت الرؤية واضحة جدًا بدون أى تصميمات، وكان ذلك آخر ما صورت».

«لقد فقدت ابنتى، ...».

بول جوجان

الأيام الأخيرة

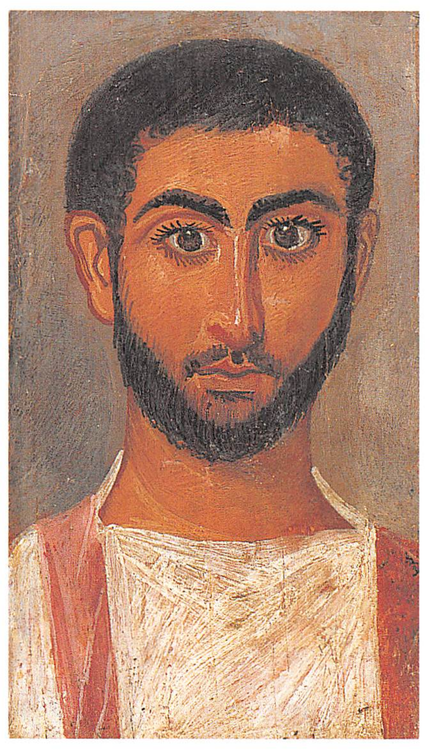
فى عام 1898، عانى جوجان من ضائقة مالية مرة أخرى، وعمل مستشارًا قانونيًا فى الحكومة الكولونيالية الفرنسية - قسم التسكين، وهناك تعامل مع الموظفين بصلف، وزاد إدمانه للكحول، وقلَّ رسمه بشكل كبير جدًّا.

هيفا أوا

فى عام 1901، أُنهك جوجان فى الصدام مع السلطات. فترك تاهيتى إلى هيفا أوا، وهى إحدى جزر ماركيزاس التى تقع تحت سيطرة فرنسا، فى أقصى شمال بولينيزيا، على بُعد حوالى 1000 كم شرق تاهيتى. أعطى منزل جوجان الجديد له طاقة، وأملاً جديدًا فى العمل؛ فصور مناظر طبيعية مليئة بالألوان والضوء، وصور أيضًا «راكبى الخيل على الشاطئ»، وعاش حياة جديدة.

المنبوذ

اجتنب معظم المستعمرين الفرنسيين فى هيفا أوا جوجان، لأنه كان دائم الاصطدام بالسلطات، وعبر كل هذه الصراعات، تدهورت صحته، وساءت حالة قدميه جدًّا، وأصبح يعيش بالكاد. وبدأ جوجان يفقد مكانته، وفى 8 مايو 1903، كانت أعوام المرض الطويلة، قد دمرت جسده نهائيًّا، فأصيب بأزمة قلبية، توفى فى كوخه على أثرها.



▲ لوحة مصرية رومانية صورت فى القرن الثانى أو الثالث الميلادى.

بورتريهات قديمة

كانت بورتريهات جوجان الشخصية مستلهمة من بورتريه كان عنده، لرومانى عاش فى مصر عام 300 ق. م.، وكان هذا البورتريه واحد من تلك التى اعتاد الناس على رسمها على توابيت موتاهم لتذكرهم بملامحهم. ويعكس ذلك إحساسه بأنه كان ينتظر الموت.

▲ صورة فوتوغرافية لقبر جوجان فى أرض المدافن الكاثوليكية فى هيفا أوا، وقد زيِّن بأحد تماثيله الصغيرة.

المرجع الزمنى ◄

1898	1900	سبتمبر 1901	14 سبتمبر 1902	8 مايو 1903
أنجبت زوجة جوجان التاهيتية ابنا يسمى إميل.	وفاة كلوفى جوجان ابنه الذى فقد بصره نتيجة تسمم فى الدم أثناء عملية جراحية.	وصل جوجان إلى هيفا أوا.	زوجة جوجان الماركيزية تضع مولودة تسمى «تاهياتيكاوماتا».	وفاة جوجان بأزمة قلبية وحيدًا فى كوخه.



لوحة "بورتريه شخصى"، 1903.

ألوان زيتية على قماش، 24 × 42 سم، متحف كونست، بازل، ألمانيا.

رسم جوجان بورتريه شخصيًّا حزينا وبسيطًا فى العام الأخير من حياته. وقد كانت بورتريهاته الشخصية الأولى مليئة بالثقة والتحدِّى. فى هذه اللوحة، يبدو لنا هادئًا وحقيقيًّا إلى حدٍّ كبير. حتى لون اللوحة، يبدو أكثر برودة، وكأنه ينسجم مع حالة جوجان المزاجية الهادئة. وجه جوجان يملأ تقريبًا فراغ اللوحة؛ جاعلاً إيَّاه أكثر وحدة.

«الليلة الماضية، شعرت بأننى توفيت، والغريب أن ذلك حدث فى وقت كنت أعيش فيه سعيدًا».

بول جوجان

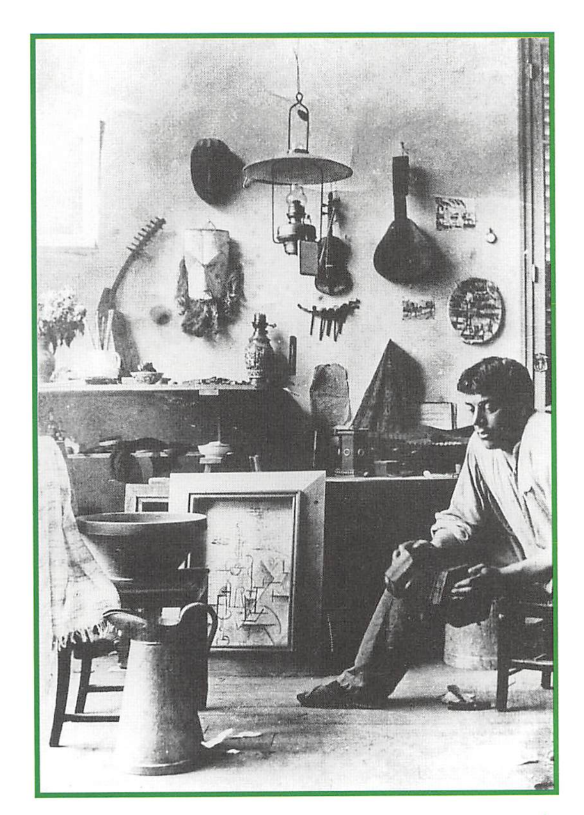
ميراث جوجان

كان جوجان أسطورة؛ فبعد انتقاله إلى تاهيتى، لاكته الألسنة، بسبب هجره كل شىء، حتى زوجته وأطفاله، وكذلك تركه وظيفته، وأخيرًا، وطنه؛ كان ذلك من أجل الفن. وبعد وفاته، اكتسب جوجان شهرة واسعة، كفنان عظيم. وبدأ الناس ينظرون إليه بوصفه رومانسيًّا وبطلا عانى كثيرًا فى حياته، وضحى مثلما يضحى كل العباقرة والعظماء. وصحيح أن تلك القصص قد احتوت بعض الحقائق، ولكن تخللها الكثير من الأساطير. كما ترك جوجان عدة كراسات ويوميات، كانت - غالبًا- لا تخبر بالحقيقة، فساهمت بذلك فى ترويج الأكاذيب المعروفة حوله.



▲ لوحة "فى المطر"، 1912، للفنان فرانز مارك. استخدام مارك للون يعبر عن الانفعالات التى استمدها من أعمال جوجان. كان مارك أحد الأعضاء المؤسسين لحركة «الفرسان الزرق» الفنية التعبيرية الألمانية.

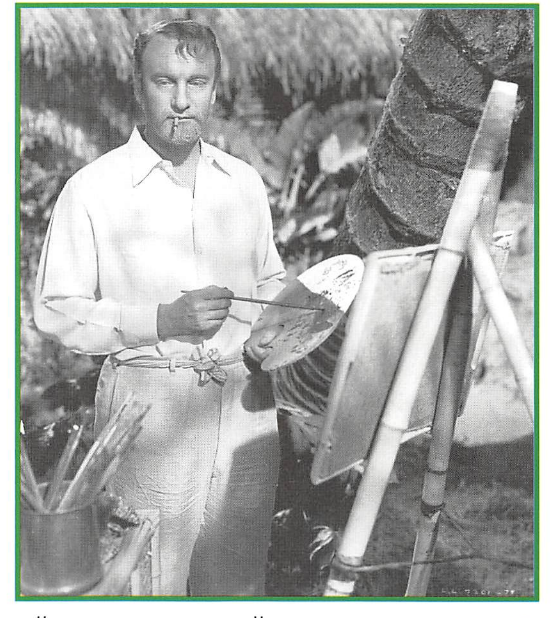
الإلهام



▲ صورة فوتوغرافية للفنان جورج براك فى الاستوديو الخاص به عام 1910. استخدم براك، مثل جوجان، ألوانا مشرقة؛ خاصة فى أعماله كفنان وحشى.

ألهمت حياة جوجان وأعماله العديد من المصورين. وفى عام 1906، أُقيم أوّل معرض كبير للوحات جوجان الأصليَّة، ولوحات فنانين آخرين أمثال «هنرى ماتيس» (1869-1954)، و«جورج براك» (1882-1963)، وأعجب الناس جدًّا بأعمال جوجان. وفى ذلك الوقت، كان هناك فنانون كثيرون بالفعل يستخدمون ألوانًا عنيفة، وقد سمَّاهم النقاد: «الوحوش البرية». وقد أعطاهم نموذج جوجان الدفعة للتجربة، وعلمهم أن أهم ما فى الفن هو الخيال، وإبداع الفنان.

فى ألمانيا أيضًا، رأت مجموعة من الفنانين تُعرف بالتعبيريين، مثل «إرنست كيرشنر» (1880-1938)، «فرانز مارك» (1867-1956) أن جوجان هو رائد فَنهم؛ بألوانه البراقة، واستحضاره لأسلوب الحياة البرى والبدائى. وقد اقتفى الفنانون من كل مكان، خطى جوجان فى ترك المدن الكبيرة إلى العمل فى الأماكن النائية.



▲ مشهد من الفيلم الهوليودى "القمر والبنسات الستة"، إنتاج عام 1942. المأخوذ عن حياة جوجان فى جزيرة تاهيتى.

هل هو بطل؟

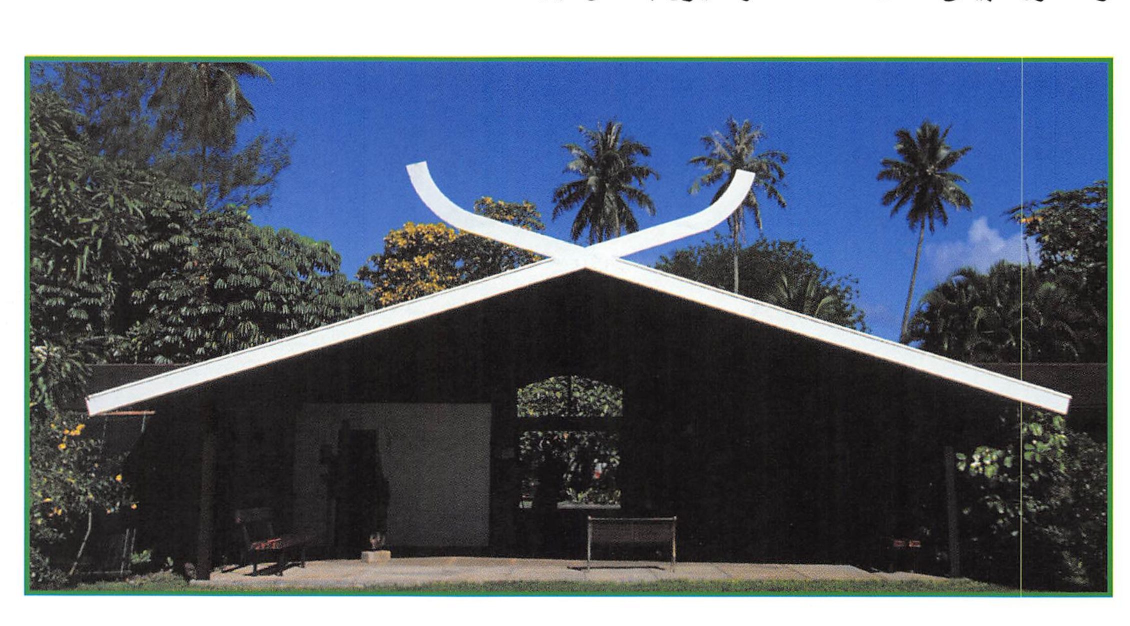
بعد الرعب والدمار اللذين خلَّفتهما الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، اعتقد كثير من الناس بأن الحضارة الأوروبية كانت فاسدة للغاية. وبدأ الناس ينظرون إلى رحيل جوجان عن باريس بوصفه نموذجًا للمثالية، وليس الأنانية فى عام 1919، كتبت الكاتبة الإنجليزية «سوميرست موجا» (1874-1965) رواية «القمر والبنسات الستة»، تلك الرواية الأكثر مبيعًا، التى استوحت الكاتبة تفاصيلها من جوجان وحياته. بطل تلك الرواية، رسام إنجليزى، يسمى «ستريكلاند» يهجر زوجته، ويعيش فى الجزر الاستوائية. وقد صورت لنا موجا هذا الرسام كشخص شديد الرومانسية. ولقد ألهمت هذه الرواية العديد من الأعمال السينمائية، حتى أفلام هوليوود ذاتها.

الإرث المعقَّد

أخيرًا علمنا الكثير عن حياة جوجان، فالخطابات التى كانت بين جوجان وزوجته ميتا، عكست علاقة معقدة وحزينة. وبعض النقَّاد أيضًا، تحدثوا عن حياة جوجان فى تاهيتى، وعن استغلاله الجزيرة، وسكانها، لخدمة أغراضه الشخصية، بدون أى فهم حقيقى لأسلوب حياتهم. وعندما استخدمت فرنسا جزر بولينيزيا المرجانية لتجاربها النووية عام 1996، أشار بعض البولينيزيين إلى الهُوَّة الواضحة بين الجنة الفرنسية التى صوَّرها جوجان، والضرر البيئى الذى أحدثه الفرنسيون بالفعل فيها.

مصوِّر الأحلام

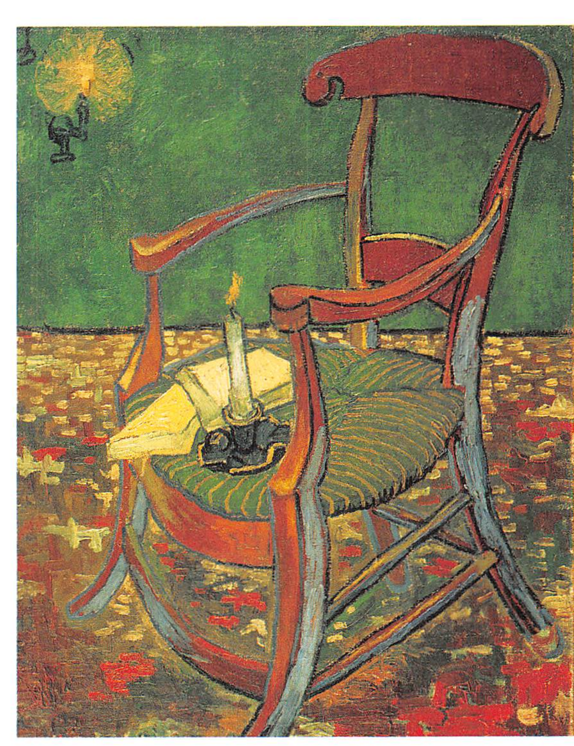
وبرغم كل الجدل الذى لا يزال دائرًا حوله، فإن لوحات جوجان لا تزال تُلهم، فلوحاته لبريتانى الريفية، أو تاهيتى الاستوائية، لا تزال تُمثِّل أحلامًا بحياة أسهل وأكثر جاذبية.



▶ متحف جوجان فى تاهيتى هو بناية حديثة مأخوذة عن التراث المعمارى التاهيتى. يحتوى المتحف على صور جوجان فى تاهيتى خلال فترة وجوده هناك، كما يوجد بعض من تماثيله وألوانه المائية.

أصدقاء و أعداء

قصه العلاقة بين بول جوجان و فينسنت فان جوخ هى واحدة من أشهر الحكايات فى تاريخ الفن. فقد كان كلاهما منفعلاً بأعمال الآخر، وحساسًا لانتقاداته. و قد كانت إقامتهما معًا فى أرليس من أكتوبر 1888 فى خلاف دائم.



▲ كرسى بول جوجان ذو المسند، 1888، فينسنت فان جوخ. وقد صور فينسنت خلال فترة إقامته مع جوجان، الكرسى مبطنا ومريحًا. وقد صور فان جوخ أيضًا كرسيه الخاص، إلا أنه كان كرسيًا لفلاح فقير تعس.

أخوة فى الفن

كان فان جوخ يتطلع إلى وصول جوجان إلى آرل. و قد آمن بأن الفنانين يجب أن يكونوا كالإخوة، يتبادلون الصور ويتشاركون الأفكار، فقد كان يريد حين ذاك تأسيس استوديو الجنوب.

«أريد إخبارك بأنى، حتى عند العمل، أفكر باستمرار فى خطة لتأسيس استوديو، حيث نصبح به أنا وأنت، مقيمين دائمين، ونحوله ليصبح ملجأ وملاذًا للأصدقاء، عندما يعرفون بأن الصراع قد نال منهم كثيرًا».

▲ كتب فان جوخ إلى جوجان عن خططه بصدد استوديو الجنوب، بتاريخ 3 أكتوبر عام 1888.

استوديو الجنوب

اندثر استوديو الجنوب فى تسعة أسابيع فقط. فكل فنان صور بأسلوب مختلف تمامًا، وكانت شخصية جوجان أقوى كثيرًا من فان جوخ. فتعامل جوجان مع فان جوخ كما لو كان هو المعلم وفان جوخ هو التلميذ. أحس فان جوخ بتهديد جوجان، وتنامى إرهاق جوجان من

المرجع الزمنى ◄

1848	1871	1884	1886	1888
7 يونيو 1848، ولد بول جوجان بباريس، فرنسا. أكتوبر 1851، تترك عائلة جوجان فرنسا ذاهبة للعيش فى بير، حيث توفى والده أثناء الرحلة. 1855 تعود عائلة جوجان إلى فرنسا. 1865 التحق جوجان بالبحرية التجارية.	أبريل 1871، عاد جوجان إلى باريس وأصبح مضاربًا بالبورصة. 22 نوفمبر 1873، تزوج جوجان من ميتا جاد. 1883، فقد جوجان عمله وأصبح مصورًا متفرغًا لفنه. يناير 1884، أخذ جوجان عائلته للعيش فى روين.	يوليو 1884، أخذت ميتا الأطفال إلى كوبنهاجن. نوفمبر 1884، لحق جوجان بعائلته بكوبنهاجن. يونيو 1885 عاد جوجان إلى باريس مصطحبًا معه ولده كلوفى. يوليو 1886، ذهب جوجان للتصوير فى بونت أفين، بريتانى.	أكتوبر 1886 عاد جوجان إلى باريس. شتاء 1886-1887، عمل جوجان بلوحة «نساء بريتانى الأربع». 10 أبريل 1887، أبحر جوجان إلي بنما بصحبة المصور شارل لافال. يونيو 1887، سافر جوجان ولافال إلى مارتينيك. نوفمبر 1887، عاد جوجان إلى باريس.	فبراير 1888، يغادر جوجان باريس إلى بونت أفين. صيف 1888، يتقابل جوجان مع إميل برنار. أغسطس-سبتمبر 1888، يصور جوجان لوحة «الرؤية بعد الموعظة». 23 أكتوبر 1888، للإقامة مع فان جوخ بالمنزل الأصفر بآرل، جنوب فرنسا.

«لا تصور كثيرًا من الطبيعة؛ فالفن مجرد. ادرس الطبيعة ثم انتظر عليها، وسوف تجنى الإبداع الذى سينتج عن ذلك».

◀ خطاب بتاريخ أغسطس 1888، من جوجان إلى شفينيكر. وليس من الصعب تخيل أنه حاول إقناع فان جوخ بفعل أشياء كثيرة مثله خلال فترة إقامتهما معًا.

◀ خطاب فى بداية عام 1889، يكتب فيه فان جوخ إلى إميل برنار عن محاولات جوجان لدفعه نحو التجريد. و قصد فان جوخ بأن جوجان أقنعه بأن يصور مستخدمًا الخيال، بدلاً من تصوير الواقع الذى أمامه، كما كان معتادًا.

«عندما كان جوجان فى آرل، كما تعرف، فإنى سمحت لنفسى مرة أو اثنتين بأن أنقاد إلى التجريد. فى ذلك الوقت، بدا ذلك الطريق لى مضمارًا جذابًا. لكنه أرض ساحرة يا صديقى العزيز، و قريبًا سوف ينسحب أحدنا نحو جدار يصعب تسلقه».

حياتهما المتوترة معًا. وأخيرًا فى 23 ديسمبر حدثت مشادة عنيفة بين جوجان وفان جوخ، رحل على أثرها جوجان. وعلى أثر تلك المشادة، قطع فان جوخ جزءًا من أذنه اليسرى فى طلب للمساعدة.

نقطه تحول

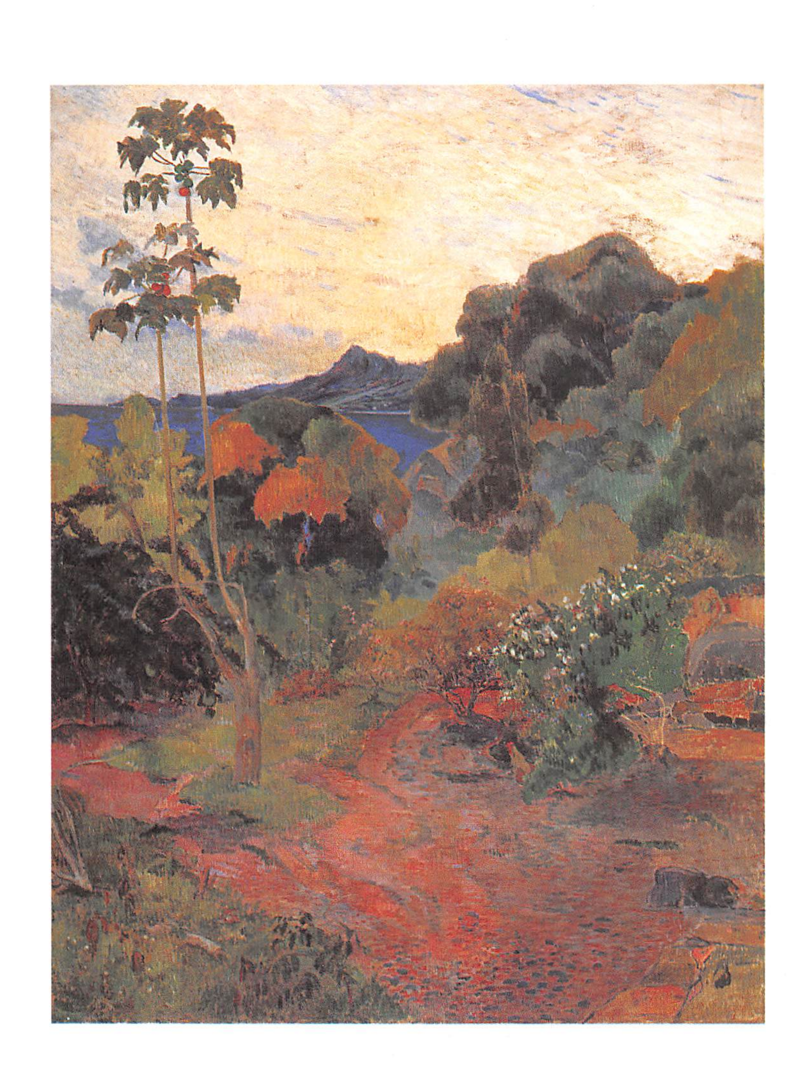
كان استوديو الجنوب نقطة تحول فى مجال العمل، بالنسبة لكل من فان جوخ، وجوجان؛ حيث تنامى شعور جوجان بالحاجة لأن يترك فرنسا، وأن يعيش ويعمل وحيدًا. ربما شعر -أيضًا- ببعض المسئولية عن إحباط فان جوخ. وقد آمن بأنه لا يستطيع أن يكون صديقًا جيدًا لأحد.

أما بالنسبة لفان جوخ، فقد كانت فترة إقامة جوجان معه فى آرل كارثية. فلم يستطيع استعادة عقله ورشده الذى كان قد فقده تمامًا مرتين قبل ذلك. وأخيرًا خضع لإشراف طبيب فى مدينة أوفير سور واز. وخلال تلك الفترة، صور بحماسة كبيرة، مبدعًا أهم لوحاته، وأعظمها. وفى يوليو 1890، أطلق النار على نفسه، ولم يحضر جوجان جنازة صديقه.

«وا أسفاه! إنى أنظر إلى نفسى باستهجان، فقد أصبحت أقل قدرة على الفهم، و يجب أن أوجه نفسى من جديد فى ذلك الطريق وحيدًا.. فالهمجى سوف يعود إلى الحياة الوحشية».

▲ خطاب جوجان الأخير إلى فان جوخ فى يونيو عام 1890.

1888	1889	1891	1893	1895
23 ديسمبر 1888، حدثت مشادة عنيفة بين فان جوخ وجوجان. غادر جوجان المنزل الأصفر وذهب إلى باريس: قطع فان جوخ جزءًا من أذنه اليسرى.	أكتوبر 1889 ذهب جوجان للعيش بلو بولدو.	7 مارس 1891، سافر جوجان إلى كوبنهاجن لتوديع عائلته.	23 أغسطس 1893، عاد جوجان إلى باريس.	سبتمبر 1895، رجوع جوجان إلى تاهيتى.
فبراير 1889 عاد جوجان إلى بريتانى تاركًا باريس.	29 يوليو 1890، توفى فان جوخ إثر رصاصة أطلقها على نفسه. لم يحضر جوجان الجنازة.	7 أبريل 1891، أبحر جوجان من مارسيليا إلى جزيرة تاهيتى.	10 نوفمبر 1893، عرض جوجان 40 لوحة وتمثالين من أعماله بقاعة دوراند رويل، باريس.	أبريل 1897 توفيت ألين جوجان فجأة إثر مرض بالرئة.
صيف 1889 أقام جوجان وأصدقاؤه معرضًا لأعمالهم بكافيه فولبينى.	نوفمبر 1890 غادر جوجان لوبولدو إلى باريس، حيث اختلط بشعراء الرمزية.	9 يونيو 1891، وصل جوجان إلى عاصمة تاهيتى بابيتى، ومنها إلى ماتيا.	أبريل 1894، ذهاب جوجان إلى بونت أفين.	1900 توفى كلوفى جوجان بعد عملية جراحية.
	23 فبراير 1891، أقام جوجان مزادًا لبيع لوحاته لزيادة أمواله.	ربيع 1892، اشتباه بإصابة جوجان بنوبة قلبية، وأقام لبعض الوقت بالمستشفى.	يوليو 1895 غادر جوجان فرنسا لآخر مرة.	سبتمبر 1901، ذهب جوجان إلى هيفا أوا.
				8 مايو 1903، توفى جوجان بكوخه بهيفا أوا.



فينسنت فان جوخ



تأليف: ين جرين

من هو فينسنت فان جوخ؟



▲ كان عمر فان جوخ عام 1866 يناهز الـ 13 عامًا، وتلقى تعليمه فى مدرسة داخلية.

إن الفنان الهولندى فينسنت فان جوخ (1853-1890)، واحد من أشهر فنانى العالم. لم يكن -أثناء حياته- هناك الكثير ممن يعرفون عنه أو عن أعماله شيئًا، فلم يبع إلا لوحة واحدة فقط. كان دائمًا وحيدًا، وعانى كثيرًا من المرض والاكتئاب؛ والآن يعتبر فان جوخ واحدًا من أعظم الفنانين فى العالم، وينظر إلى لوحاته كقطع فنية فريدة من نوعها.

البدايات

ولد فينسنت فان جوخ فى 30 مارس عام 1853، بمدينة جروت تسوندرت بجنوب هولندا، وكان والده «تيودوروس فان جوخ» (1822-1885)، كاهنا محليًّا، ووالدته «آنا» (1819-1907)، كانت زوجة قسيس قوية ومليئة بالحيوية.

أنجب تيودوروس وآنا بعد فينسنت، خمسة أطفال آخرين: آنا، وتيودوروس (تيو)، وإليزابيتا، وفيلمينا، وكورنيليس. وأصبح تيو، أخو فان جوخ الأصغر، صديقًا له مدى الحياة. نشأ فينسنت فان جوخ فى المجتمع الصغير لقرية جروت تسوندرت، وكان محبًّا



◄ إن المنزل الواقع بوسط اللقطة الفوتوغرافية، هو منزل الكاهن وجزء من الكنيسة، وهنا عاشت عائلة فان جوخ - وقد ولد فينسنت وتيو هنا، بالحجرة الواقعة بالدور الأول، المثبت على نافذتها العلم.

المرجع الزمنى ◄

30 مارس 1853	1 مايو 1857	1864-1861	1868-1864	30 يوليو 1869	مايو 1873
وُلد فينسنت فان جوخ بقرية جروت تسوندرت بجنوب هولندا.	وُلد أخو فان جوخ الأصغر: تيودوروس تيو.	درس فان جوخ بالمدرسة المحلية.	درس فان جوخ بالمدرسة الداخلية.	بدأ فان جوخ العمل بمدينة لاهاى بالقسم الفنى، فى شركة «جوبيل وشركاه».	حُوِّل فان جوخ إلى فرع جوبيل وشركاه بلندن.

للتجول فى الضباب وفى الحقول ذات الأرض المستوية الواقعة حول القرية، وعادة ما كان يرسم اسكتشات للمناظر المحلية.

التحق بمدرسة القرية حتى بلغ سن الحادية عشرة، ثم بُعث به إلى مدرسة داخلية، وهناك افتقد عائلته ومحيطه الذى يألفه، ولذا لم يُبلِ بلاءًا حسنا فى دراسته بتلك المدرسة البعيدة عن منزله. وأثناء الإجازة المدرسية، استمر فان جوخ فى رسم الاسكتشات، وأظهرت رسومه مدى نبوغه الفنى، ولكن لم يشجعه والداه ليصبح فنانًا. وبدلاً من ذلك كان مقررًا له أن يصبح بائع أعمال فنية، مثل العم فينسنت، الذى كان معروفًا فى العائلة باسم العم «سنت».

الذهاب للإقامة بلندن

أصبح فينسنت فان جوخ ناجحًا نوعًا ما فى شركة العم سنت: جوبيل وشركاه. وفى عام 1873، أى بعد مرور أربعة أعوام، قامت الشركة بنقله إلى فرع لندن، وكان فينسنت فان جوخ متحمسًا للعيش بلندن، بما فيها من قاعات عرض، ومتنزهات ومتاحف، وقد أحبَّ هناك بالأخص، الجاليرى القومى (ناشيونال جاليرى)، لكن ما أزعجه بتلك المدينة، حالة الفقر الشديد الذى كان يعم المدينة.

وقع فى غرام سيدة تدعى «أوجينى لويز»، وهى مالكة المسكن الذى كان يعيش فيه. ومع الأسف، لم تبادله أوجينى حبًّا بحب، وهكذا تحت تأثير رفض مشاعره، وإحساسه بالوحدة فى بلد غريب، ومع هذا الفقر الذى كان حوله، عاد فان جوخ إلى ممارسة الشعائر الدينية، داعيًا ربه أن يساعده.



▲ "ميليشيا كابتن فرانس بانينج كوك"، 1642، رامبرانت. هذه اللوحة "الدرامية" الدراماتيكية معروفة أيضًا باسم "حراسة ليلية". وقد شاهد فان جوخ تلك اللوحة عندما زار الـ"تريبنهويس" (يسمى اليوم متحف ريكس) بأمستردام. وقد عرفنا من خلال خطابات فان جوخ إلى أخيه تيو بأنه وصفه بالفنان الكبير، ففى أحد الخطابات أخبر أخاه بأنه يستطيع الجلوس أمام إحدى لوحات رامبرانت لعشرة أعوام، ويعيش على الخبز الجاف وسيكون سعيدًا بذلك تمامًا.

التجارة فى الأعمال الفنية

فى عام 1869، عندما بلغ فينسنت فان جوخ عامه السادس عشر، أعطاه العم سنت وظيفة فى مجال تجارة الأعمال الفنية، فى شركة كانت تسمى جوبيل وشركاه، وكان لها مكتب بمدينة «لاهاى» عاصمة هولندا. وبتلك المدينة، قام فان جوخ بزيارة المتاحف الرائعة وقاعات العرض، بما فيها متحف الصور الملكية، واستطاع هناك رؤية أعمال الفنانين الهولنديين الكبار أمثال «رامبرانت» (1606-1669)، و«جان فيرمير» (1632-1675)، وكان فان جوخ مغرمًا بوظيفته الجديدة بما فيها من نشاط بيع وشراء الأعمال الفنية.

وفى عام 1872، بدأ فى تبادل الخطابات مع أخيه تيو، وكان تيو يصغر فينسنت فان جوخ بأربع سنوات، ولايزال تلميذًا بالمدرسة. وانضم بعد ذلك إلى العمل بشركة جوبيل وشركاه. وكان هذا الوفاق الأخوى، والذى استمر طيلة حياة فان جوخ، منبعًا غنيًّا بالمعلومات عن حياة الفنان، وعن أعماله، ومشاعره.

مساعدة الفقراء

وفى لندن، بدأ فان جوخ تدريجيًّا يتحرر من سحر عالم تجارة الفن، فقد اعترف لأخيه تيو عندما بدأ حماسه للعمل يقل، بأنه بدأ يرى تجارة الفن على أنها تأخذ شكل الاحتيال المنظم، وفى عام 1875، نُقل للعمل بمكتب جوبيل وشركاه فى باريس، ولكن موظفيه وجدوا العمل معه غاية فى الصعوبة. وفى العام التالى، وعندما بلغ فان جوخ الثالثة والعشرين من عمره، فُصل من عمله، فقد ترك العمل من غير أخذ أى موافقة أثناء فترة أعياد الميلاد، فى الوقت الذى يعتبر أكثر رواجًا فى السنة، فعاد الشاب الصغير إلى لندن، حيث بدأ العمل كمساعد مدرس للغة



▲ **الجاليرى القومى بلندن، حوالى عام 1870، أحب فان جوخ مجموعة اللوحات الرائعة بالجاليرى القومى، ولكنه صدم بالتباين بين الأغنياء والفقراء فى المدينة** **(انظر إلى أسفل)**.

الفرنسية، والألمانية، والحساب، بمدرسة بمدينة «كنت»، وبعد مرور بضعة شهور، حاول العمل كإخصائى اجتماعى، وبعد ذلك، كواعظ غير متفرغ بكنيسة وست لندن.

▲ **امرأة فقيرة بلندن، فى السبعينيات من القرن الـ 19.**

الدراسة

عاد فان جوخ عام 1877 إلى هولندا للعمل ككاتب بمحل كتب، وقد أحس بأن إيمانه قد قوى، وبدأ فى وضع خطة. فقد كتب إلى أخيه تيو: «.. لا يوجد تخصص فى العالم أفضل من أن تكون معلمًا أو كاهنا».

فقد قرر أن يكون قسيسًا، وأن يدرس اللاهوت، وتقدم مرتين للالتحاق بجامعة اللاهوت، مرة فى أمستردام، ومرة فى بروكسل، لكنه رُفض فى المرتين.

المرجع الزمنى ◄

مايو 1875	يناير 1876	صيف 1876	يناير-أبريل 1877	مايو 1877	أغسطس 1878	أغسطس-ديسمبر 1879
نُقل فان جوخ إلى مكتب جوبيل وشركاه بباريس.	فُصل فان جوخ من عمله بمكتب جوبيل وشركاه.	عمل فان جوخ كمساعد مدرس، وكإخصائى اجتماعى وكواعظ.	عمل فان جوخ كبائع فى مكتبة بمدينة دورديشت بهولندا.	بدأ فان جوخ فى التحضير لدراسة علم الكهنوت بجامعة أمستردام، لكنه رسب فى امتحان القبول.	دَرَس فان جوخ لدخول امتحان القبول بكلية الأديان ببروكسل ولكنه رسب.	عمل فان جوخ واعظًا بمدينة بوريناج التى تضم مجتمع عمال المناجم.

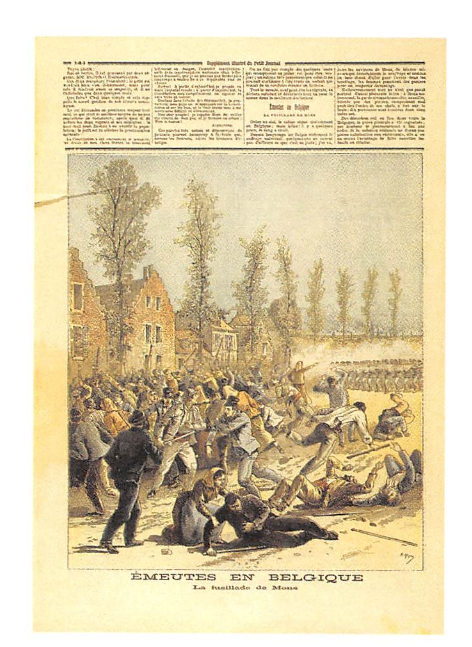


"زوجات عمال الفحم"، 1881. تعد لوحة فان جوخ التى تصور زوجات عمال الفحم يكافحن للذهاب إلى منازلهن، وهن يحملن أجولة الفحم، معبرة جدًا - فنكاد نستشعر وزن الفحم الثقيل على ظهور النساء.

واعظًا لعمال المناجم

تتويجًا لمجهوداته فى التحضير لدراسة الوعظ، قرر فان جوخ الذهاب إلى الفقراء، ومساعدتهم بصورة مباشرة، وقد حصل على وظيفة كواعظ هاوٍ، أو غير مؤهل بمدينة بوريناج، وهى مقاطعة فقيرة لمناجم الفحم تقع على الحدود بين فرنسا وبلجيكا. وكان العمل بالمناجم خطرًا، وعائلات عمال المناجم تجد صعوبة فى الحصول على الطعام والملبس؛ وذلك لقلة المال. وقد رقَّ قلب فان جوخ لهؤلاء الناس، وقرر مساعدتهم بكل السبل بقدر استطاعته، فقد شاركهم أسلوب حياتهم، وخرج معهم فى إضرابهم، وأعطاهم معظم ما يملك من ملابس، وحتى النقود التى كان يبعث بها تيو، وكان لايزال يعمل لدى شركة جوبيل وشركاه.

ولكن فان جوخ كان متفانيا بشدة، لدرجة أن موظفيه انتابهم القلق، وفى عام 1879، فُصل مرة أخرى من وظيفته.



ÉMEUTES EN BELGIQUE

La fusillade de Mons

هذا التقرير الفرنسى الدورى يصور مظاهرة عمال المناجم أثناء فترة تواجد فان جوخ وسط مجتمع عمال المناجم ببوريناج، حيث كان فان جوخ يعضِّد العمال ويساعدهم بالهدايا والطعام والملابس.

نقطة التحوُّل

بعد ما حاول فان جوخ العمل كتاجر فن، ومدرس، وإخصائى اجتماعى، وكاتب، أصبح مرة أخرى بدون عمل، ففى العام الذى يليه، عاش فان جوخ كواعظ متجول، يسير فى الشوارع والطرقات مهما كانت حالة الجو، وينام فى العراء ليلاً، وعندما وصل إلى درجة من الجوع والمرض والاكتئاب، عاد مرة أخرى لهوايته التى طالما أحبها؛ وهى رسم الاسكتشات فى مقابل حصوله على الطعام، أو تبادلها للحصول على كسرة خبز، وبذلك فقد وصل إلى نقطة التحول الكبرى فى حياته.

التعلم كيف يصبح فنانًا

فى مارس عام 1880، قام فان جوخ بعمل رحلة غاية فى الأهمية، فقد قام بالسير لمسافة 70 كيلو مترًا لزيارة الفنان الرائد «جول بريتون» (1827-1906) ليهديه رسوماته؛ ولكن عندما وصل، خجل من طرق الباب، ولكنه كتب خطابًا إلى تيو، يقول فيه إنه أثناء سيره راجعًا إلى المنزل، وبدون أن يرى بريتون، قرر أن يصبح مصورًا: «سوف أستمر فى رسوماتى، إن كل شىء من هذه اللحظة يبدو أنه يتحول إلى صالحى».



لوحة «امرأة عاملة مع جدى»، حوالى 1885، للفنان أنتون موف، الذى كان مصورًا متخصصًا فى المناظر القروية. وكان مثله مثل باقى الفنانين فى زمنه، يستنسخ عناصر من أساليب فنانين كبار من عصور قبله.

الدراسة التقليدية

فى غضون القرن الـ 19، كان الناس يتخيلون أنه لكى يصبح الإنسان فنانًا، فإن عليه أن يتلقى تعليمًا رسميًّا. ولكى تصبح فنانًا، إما أن تدرس بإحدى استوديوهات الفنانين المعروفين، أو تدرس بمدرسة فنون لسنوات عديدة؛ فلو اختار الطالب التعلم عند أحد الفنانين، فإنه كان يتعلم فى الأغلب أسلوب هذا الفنان، ويتوافق مع وجهة نظره وأفكاره فى الفن، وقد كانت أشهر مدرسة لتعلم الفن بأوروبا فى هذا الوقت، هى مدرسة الفنون الجميلة بباريس (إكول ديبوزار)؛ وبها كان الطلبة يرسمون الموديلات ثلاث مرات أسبوعيًّا، من موديلات حية وموديلات قوالب نحت، وكان معظم الفنانين يدربون على نسخ أعمال الفنانين المعروفين القدامى، وكانوا يأخذون درجاتهم من خلال قدرتهم على عمل ذلك - وليس على إبداعهم لأعمال تخصهم.

حتى التأثيريون أنفسهم، والذين وضعوا أرضية جديدة للفن، مروا من خلال هذا التدريب التقليدى. وكان قرار فان جوخ أن يصبح فنانًا مصورًا هو الذى جعله يمر بمثل هذه الطريقة التقليدية فى تعلم الفن.

المرجع الزمنى ◄

1880	1881	1882	1883	1884-1885	26 مارس 1885
قرر فان جوخ أن يصبح فنانًا. فقُيِّد كطالب بأكاديمية الفنون ببروكسل، وتتلمذ على يد الأستاذ أنتون فان رابارد.	انتقل فان جوخ إلى مدينة لاهاى، حيث درس هناك مع الأستاذ أنتون موف.	عاش فان جوخ مع سين هورنيك بمدينة لاهاى.	صور فان جوخ بمدينة درينث، ثم عاد مرة أخرى إلى منزل والديه بنونين.	صور فان جوخ بمدينة نونين.	توفى والد فان جوخ إثر نوبة قلبية.



▲ لقطة فوتوغرافية لإحدى القنوات المائية العديدة بمدينة لاهاى بالثمانينيات من القرن الـ 19.

دراسات فان جوخ

فى شهر أكتوبر عام 1880، التحق فان جوخ بأكاديمية الفنون ببروكسل، حيث ساعده هناك المصور أنتون فان رابارد (1858-1892).

درس فان جوخ فن التشريح، وطور من قدراته فى الرسم عن طريق استنساخ لوحات مشهورة، وتعلم أيضًا قواعد رسم المنظور، هذه الطريقة التى تساعد الفنانين على رسم مناظر ذات ثلاثة أبعاد، على سطح القماش أوالورق، وإعطاء الحس الواقعى، وفى عام 1881 عاد فان جوخ مرة أخرى، للعيش فى لاهاى، حيث درس التصوير على يد ابنة عمه الفنان الناجح حين ذاك، أنتون موف (1838-1888)، وركز على الرسم، وعلى تعلم الألوان المائية.

«سأكون فقيرًا، وسأكون فنانًا، لأننى أريد أن أبقى إنسانًا».
فينسنت فان جوخ

وفى عام 1882، بدأ فان جوخ التصوير بالألوان الزيتية على قماش، والتى أصبحت الوسيط المفضل له فى التصوير. وفى هذا الوقت كان أخوه تيو يساعده ماديًّا، ويرسل إليه النقود، ليستطيع دفع أجرة موديل- الرسم، وثمن الخامات والأدوات الفنية، وكان يعيش فى تقشف، على احتساء القهوة وأكل الخبز، ولذا كان كثير المرض.

وأثناء فترة إقامته بلاهاى، انتقل للعيش مع سيين هورنيك، وهى امرأة فقيرة، كانت تتظاهر وكأنها الموديل الخاص به، لكن والده رفض هذه العلاقة. ولذا ترك فان جوخ سين، وموف، ورحل من لاهاى مرة أخرى.

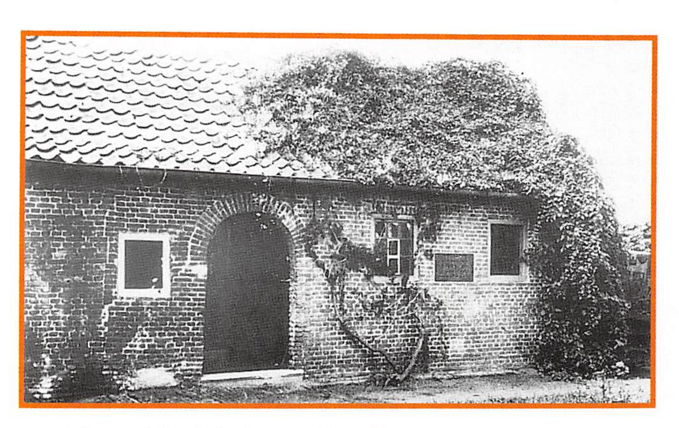
ورفض كفنان، كل ما تعلمه فى تدريباته الأكاديمية، وأمضى بعض الأشهر، يصور بمدينة درينث بشمال هولندا، ثم عاد للإقامة مع والديه بمدينة نونين. حيث مكث بها فان جوخ حتى وفاة أبيه بنوبة قلبية فى مارس عام 1885.



▲ لوحة "فى الحقل"، 1883. كانت صور فان جوخ عادة بمدينتى درينث، و نونين لمناظر الفقراء وهم يعملون أو داخل بيوتهم، فقد كان طموحه بتلك المرحلة تصوير لوحات لتلك الموضوعات، ليصبح "فنان الفلاحين".

أول عمل فنى مهم

فى غضون عام 1885، أثناء فترة إقامته بمدينة نونين، بدأ بتصوير أول عمل كبير له، «آكلو البطاطس»، (انظر الصفحة المقابلة). وقد أراد بهذه اللوحة أن يظهر حالة مشاركة الفلاحين الفقراء، أثناء تناولهم وجبة العشاء، وهم يأكلون طبق البطاطس المطهية داخل منازلهم. وعندما بلغ الفنان 32 سنة من عمره، كان يقوم برسم العديد من الاسكتشات بالقلم الرصاص، ودراسات بألوان زيتية لموضوعاته المفضلة، قبل بدئه بتصوير لوحات نهائية.



▲ منزل الغسيل (المغسلة) التى تخص والدى فان جوخ بمقر إقامة القس بمدينة نونين، حيث استخدم فان جوخ هذا المبنى كاستوديو خاص به، وذلك فى شتاء 1883-1884.

تصوير الواقع

قرر فان جوخ عدم تصوير حياة الفلاحين الفقراء بشكل رومانسى، فقد كانوا يكدحون بالحقول من بزوغ الشمس حتى غروبها للحصول فقط على طعام يكفيهم للبقاء أحياء. فى حين أن بعض الفنانين كانوا يصوِّرون لوحات رائعة لموضوعات الفلاحين، لكن فان جوخ أراد إظهار الواقع القاسى للمزارعين، فقد كتب لتيو، قائلا: «لقد حاولت التأكيد على حياة هؤلاء الناس الذين يأكلون ما حصدوه من بطاطس، تحت ضوء اللمبة، وبأيديهم العارية التى تفلح فى الأرض، كانوا يمدونها داخل الأطباق.. فهم الذين يجنون أقواتهم بكل أمانة». وعلى الرغم من جميع المحاولات التى قام بها، فلم يعجب معظم الناس بأعماله، مما أصاب فان جوخ بخيبة الأمل، وانتقل للعيش ببلجيكا بمدينة أنتورب.



▶ لوحة "وجبة بقايا الطعام"، 1876، للفنان جوزيف إسرائيلز.

مصورون لحياة القرويين

لقد قام العديد من المصورين قبل فان جوخ بتصوير الحياة الريفية والمزارعين العاملين؛ أمثال الفنان الهولندى بيتر بروجيل الكبير، ذى اللسان، بالقرن السادس عشر (1525-1569)، والمصور الفرنسى «جان فرانسوا ميليه» (1814-1875)، والذين أُعجب بهم فان جوخ إعجابًا جمًا. فالفنانون الهولنديون أمثال رامبرانت و«فيرمير». كانوا معروفين بلوحاتهم ذات المناظر الداخلية (مناظر داخل المبنى)، كما تأثَّر فان جوخ بأعمال فنانين آخرين منهم جوزيف إسرائيلز (1824-1911). فأثناء عمل فان جوخ لدى جوبيل وشركاه، وقع نظره على نسخة مطبوعة لإحدى لوحات الفنان إسرائيلز، تسمى «وجبة بقايا الطعام» (انظر إلى اليمين)، والتى تُظهر المزارعين يأكلون طعامًا بسيطًا، وتلك اللوحة هى التى أوحت لفان جوخ بلوحته «آكلو البطاطس».

المرجع الزمنى ◀

مارس 1885	نوفمبر 1885	يناير 1886
أنتج فان جوخ أول عمل أساسى له، متضمنا لوحة «آكلو البطاطس».	انتقل فان جوخ للعيش بمدينتى أنتورب حيث حاول التقرُّب للفنانين لبيع لوحاته.	التحق فان جوخ لفترة قصيرة بأكاديمية أنتورب للفنون، حيث عارض أسلوب التدريس القديم بها، وتركها بعد مرور أشهر قليلة.



لوحة ''آكلو البطاطس''، 1885.

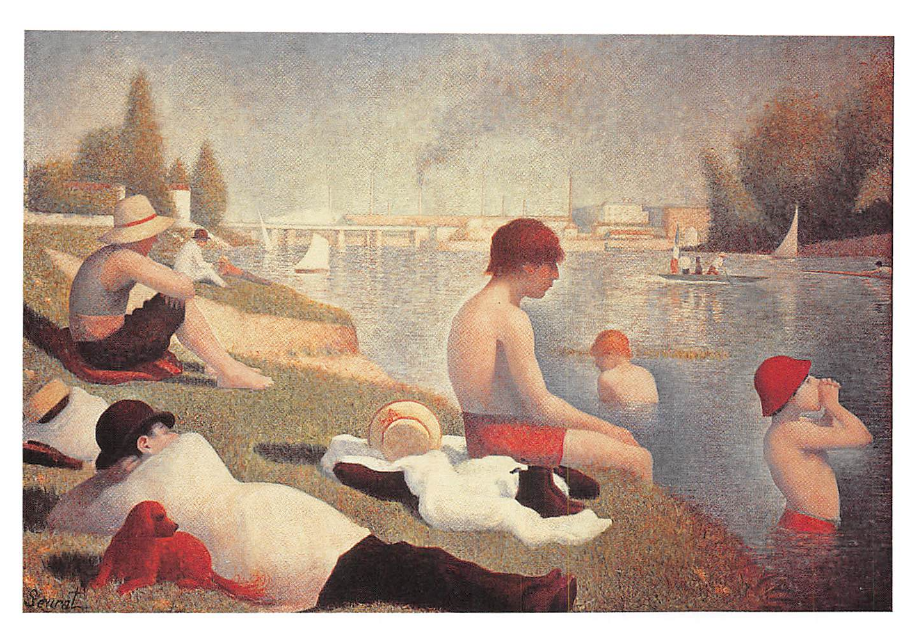
ألوان زيتية على القماش 81,5 × 114,5 سم، للفنان فان جوخ، متحف ركس، مؤسسة فان جوخ، أمستردام، هولندا.

صور فان جوخ هؤلاء المزارعين فى الظلام، بألوان ترابية، فترى معظمها يغلب عليه الألوان الرمادية، والبنية، والسوداء، والتى تعكس سوء حالتهم من العمل اليومى الشاق بالحقول. واستخدم درجات اللون البرتقالى الدافئ ليظهر درجة الضوء الخافت المنبعث من (لمبة الجاز) التى تضىء المنضدة، حيث تجلس العائلة، ووجبة الطعام البسيطة.

«إذا فاحت من لوحة للمزارعين رائحة اللحم المقدد، والدخان، وأبخرة البطاطس الساخنة، فليكن، فهذا كله ليس مؤذيًا للصحة».

فينسنت فان جوخ

الانطباعيون (التأثيريون)



▲ لوحة "المستحمون فى أنيير"، 1883-1884، للفنان جورج سوراه. تتكون تلك اللوحة من آلاف النقاط ذات اللون الخالص غير المخلوط بلون آخر.

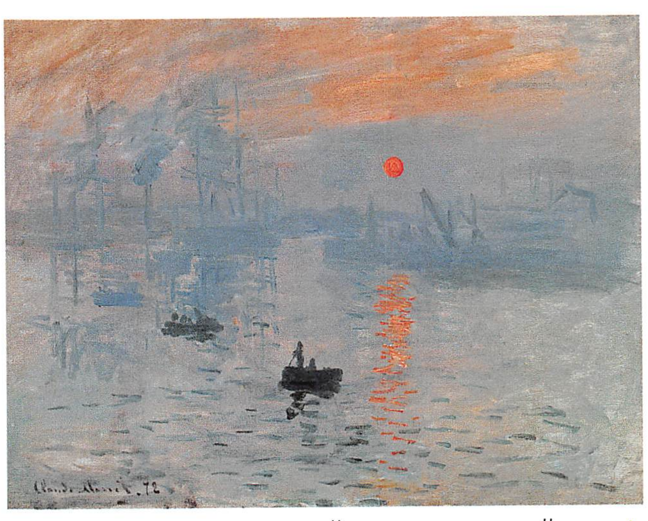
فى شهر فبراير عام 1886، ترك فان جوخ مدينة أنتورب، ورحل إلى باريس، حيث كان أخوه تيو فى ذاك الوقت، تاجر فن ناجح. وقد كانت العاصمة الفرنسية حينئذٍ، مركزا للفن فى العالم، وأيضًا منبعًا لحركة الفن الجديدة التى تسمى الانطباعية (أو التأثيرية).

لقاء مع فنانين آخرين

من خلال أخيه تيو قابل فان جوخ فنانين من رواد المدرسة الانطباعية، أمثال كلود مونيه (1840–1926)، وكاميل بيسارو (1830–1903)، وبيير أوجيست رينوار (1841–1919)، وبول سينياك (1863–1935)، وإميل برنار (1868–1941)، وبول جوجان (1848–1903)، وهنرى دى تولوز لوتريك (1864–1901). وكان فان جوخ وأخوه تيو يقطنان بحى مونمارتر بباريس، والذى أصبح معروفًا بحى الفنانين، لقلة تكاليف السكن به.

كان فان جوخ معجبًا بالألوان الناصعة، وحالة النقاء، والحياة بلوحات الانطباعيين.

وتحت تأثير أعمالهم، تغير فنه بشكل كبير، فتحرر فان جوخ من ألوانه الداكنة، وموضوع لوحاته من العاملين الفقراء، وقام باستبدالهم، فراح يُصور لوحاته مستخدمًا درجات لونية فاتحة، وألوانًا زاهية لمناظر حضارية، ومنها مناظر للمقاهى، والطبيعة الصامتة، تمامًا مثلما فعل فنانو الانطباعية.



▲ لوحة "انطباع - بزوغ الشمس"، 1872، للفنان كلود مونيه.

المدرسة الانطباعية والمدرسة التنقيطية

بدأت الحركة الانطباعية فى غضون عام 1870، أى 15 عامًا قبل وصول فان جوخ إلى باريس، وقد اكتسبت تلك الحركة اسمها من لوحة التصوير لكلود مونيه، المسماه بـ«انطباع – بزوغ الشمس» (انظر إلى اليمين)، وكان فنانو الانطباعية عادة ما يصورون لوحاتهم فى الهواء الطلق، وكانوا يعملون بسرعة فى محاولة منهم لتسجيل الحالة، ونوعية الضوء الساقطة على موضوع الرسم، فى أوقات محددة على مدار اليوم. وفى غضون عام 1885، ذهب الفنانان الشابان «جورج سوراه» (1859-1891)، وبول سينياك (1836-1935) إلى مرحلة إبداعية أبعد من الاتجاه الانطباعى، وهذا باستخدام أسلوب جديد فى التصوير يسمى بـ«التنقيطية»؛ فكانوا يبنون لوحاتهم برسم آلاف من البقع (بالفرشاة) مليئة بألوان غير ممزوجة، أو مخففة، على سطح القماش مباشرة، وقد تعلم فان جوخ هذا الأسلوب أيضًا.



لوحة "طاحونة الهواء بلوتفان"، مونمارتر، 1886.

ألوان زيتية على قماش 38 × 46,5 سم، متحف بريدجستون للفن، طوكيو، اليابان.

فى أيام فان جوخ، لم يكن الحى الذى يعلو هضبة مونمارتر بمدينة باريس، مبنيًّا كما هى الحال اليوم، ولكنه ما زال محافظًا على جوه الريفى، وقد صور فان جوخ العديد من المناظر لطواحين الهواء بمونمارتر، ولقطع الأراضى الصغيرة المزروعة، حيث كانت تُزرع الخضروات. وتلك اللوحة تعكس حالة إشراقة الضوء، والهواء النقى كما صوره الانطباعيون.

الفن اليابانى

أقام فان جوخ بباريس، علاقة صداقة مع تاجر يدعى «بير تانجى»، وقد صوره مرات عديدة فى مقابل الحصول على مطبوعات يابانية (انظر إلى اليمين). وكانت تلك المطبوعات محببة للغاية ومنتشرة لدى الفنانين بأوروبا، ومن ضمنهم فنانو الانطباعية حتى فان جوخ ذاته،أصبح شغوفًا ومتحمسًا للفن اليابانى فى فترة إقامته بمدينة أنتورب عام 1885. وقد كانت تلك المطبوعات الرخيصة تستخدم فى تغليف البورسلين، والبضائع القابلة للكسر الآتية من قارة آسيا، والتى تصل شحناتها إلى ميناء أنتورب. ومن هنا، حصل فان جوخ على تلك المطبوعات، فقد أعجب بألوانها البسيطة، وأسلوب تحديد الرسم، وتجسيمه بها.



▲ أوكيو نيچيشيكو، كايساى أيسن.

اللون والخط المرسوم

كانت أعمال الحفر المطبوعة اليابانية، لحفارين مثل كاتسوشيكا هوكوزاى (1760–1849)، وكايساى آيسن (1790–1848)، وأندو هيروشيج (1797–1858)، محببة ومعروفة لجيل فان جوخ من الفنانين، ومن ضمنهم كلود مونيه؛ فقد أعجب المصورون الأوروبيون بالمطبوعات اليابانية، بما فيها من تكوينات غير معتادة، ومساحات بسيطة الشكل، مليئة بألوان طبيعية. وقد قام فان جوخ بعمل مستنسخات عديدة للمطبوعات اليابانية، وقام أيضًا بوضعهم فى خلفيات رسوم البورتريهات التى صورها، مثل بورتريه لبير تانجى. وبتأثره بالفن اليابانى، بدأ فى رسم مناظر من زاويا غير معتادة وغريبة، وإضافة مساحات مستوية من الألوان الطبيعية، وقام -كما يفعل اليابانيون- بتحديدها بخطوط بألوان داكنة.

أحد المعارض

فى عام 1887، سمحت إحدى صديقات فان جوخ، وهى صاحبة مقهى تدعى أجوستينا سيجاتورى، بإقامة معرض له بمجموعة المطبوعات اليابانية بمقهاها، وبعدها عرض فان جوخ بعضًا من لوحاته جنبًا إلى جنب مع أعمال فنانين شبان آخرين، ولكن لم تبع أى لوحة منهم.



▲ أحد المقاهى بباريس فى الثمانينيات من القرن الـ 19، حيث تواجد فان جوخ فى هذا الوقت بها. وكانت المقاهى حين ذاك، معروفة كأماكن التقاء للفنانين والكتاب، الذين يتطلعون لمناقشة أعمالهم.

المرجع الزمنى ◄

يناير- مارس 1887	الربيع 1887	نوفمبر 1887
عرض فان جوخ مجموعة من المطبوعات اليابانية بمعرض أقيم بمقهى «دى تامبوران»، وبعده عرض لوحاته الخاصة مع شباب فنانين آخرين، ولكنه فشل فى بيع أية لوحة.	قام فان جوخ بشراء مجموعة أخرى من المطبوعات اليابانية من إحدى قاعات العرض بباريس.	التقى فان جوخ بالفنان جورج سوراه، رائد المدرسة التنقيطية.



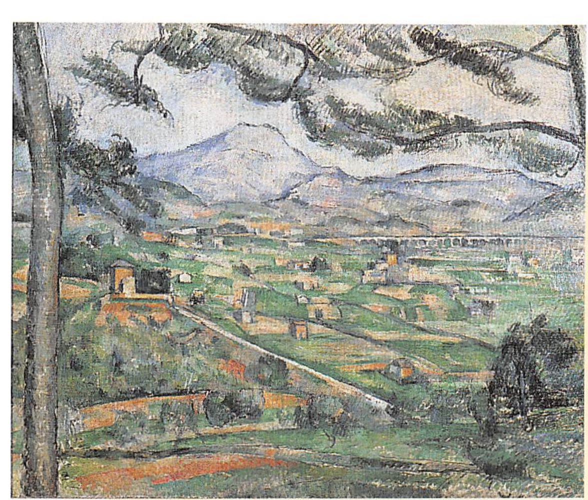
لوحة "بير تانجى"، (1887 - 1888).

ألوان زيتية على قماش، 51 × 65 سم، مجموعة ستافروس س. نيارشوز.

كان بيير تانجى أحد الموردين للمواد الفنية والخامات لفان جوخ بمدينة باريس. وكان يساعد أحيانًا شباب الفنانين بتبادل لوحاتهم بالخامات والمواد الفنية، وهذا ما فعله مع فان جوخ، ويعكس هذا البورتريه الذى صوره فان جوخ، كَرَم التاجر تانجى وجمال روحه.

جنوبًا، إلى أرض الضوء

أثناء معرض دوتون عام 1887، أصبح فان جوخ متعبًا من طريقة الحياة الصاخبة والسريعة بمدينة باريس؛ فقام بتصوير أكثر من مائتى لوحة فى سنتين فقط. فإكثاره من السهر ليلاً، والقهوة باستمرار، وشرب الكحوليات، أدى إلى مرضه جسمانيًّا وتشويشه نفسيًّا. حتى إن أخاه تيو نفسه، وجد صعوبة فى العيش معه. فنصحه رفيقه الفنان تولوز-لوتريك بالسفر إلى مكان بجنوب فرنسا للاسترخاء، ولممارسة التصوير، فاقتنع فان جوخ بأن هذه الخطوة ستعيد إليه صحته، وهدوءه النفسى.



▲ لوحة جبل سانت فيكتوار، 1886-1887، للفنان بول سيزان، وقد صور سيزان هذا الجبل مرات عديدة.

الارتحال إلى الجنوب

فى فبراير عام 1888، انتقل فان جوخ للعيش فى مدينة آرل، وهى بلد تاريخى يقع على بعد 25 كيلو مترًا فقط من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وعند وصوله إليها، وجد الجليد يغطى المزارع بشكل ذكَّره بمناظر الشتاء فى المطبوعات اليابانية. وعندما حل فصل الربيع، تفتحت زهور شجر اللوز، والكريز، والخوخ، وهى موضوع مفضل آخر للمصورين اليابانيين؛ فكتب فان جوخ: «أشعر وكأننى باليابان».

الضوء الملهم

تخيَّل فان جوخ أن هواء الجنوب الفرنسى النقى، ورياحها العاصفة، سوف تحسن من تفكيره، وتشعل حواسه. فقد توافق العديد من الفنانين على أنهم فى الجنوب يجدون الإلهام فى الهواء الطلق، والضوء الواضح، والمناظر الطبيعية الخلابة فالفنان «بول سيزان» (1839-1906)، أمضى معظم أيام حياته يصوِّر بجنوب فرنسا، وكان سيزان قد بدأ مشواره الفنى، كفنان تأثيرى، ولكنه أبدع أسلوبه الخاص به لاحقًا. وقد أطلق عليه فى العادة لقب «أبو الفن الحديث». عاش زميله الفنان التأثيرى بيير أوجيست رينوار بالجنوب، وبعد حين، ألهم شاطئ البحر المتوسط جماعة فنية تدعى بالوحشية «فوف».

الألوان الصارخة

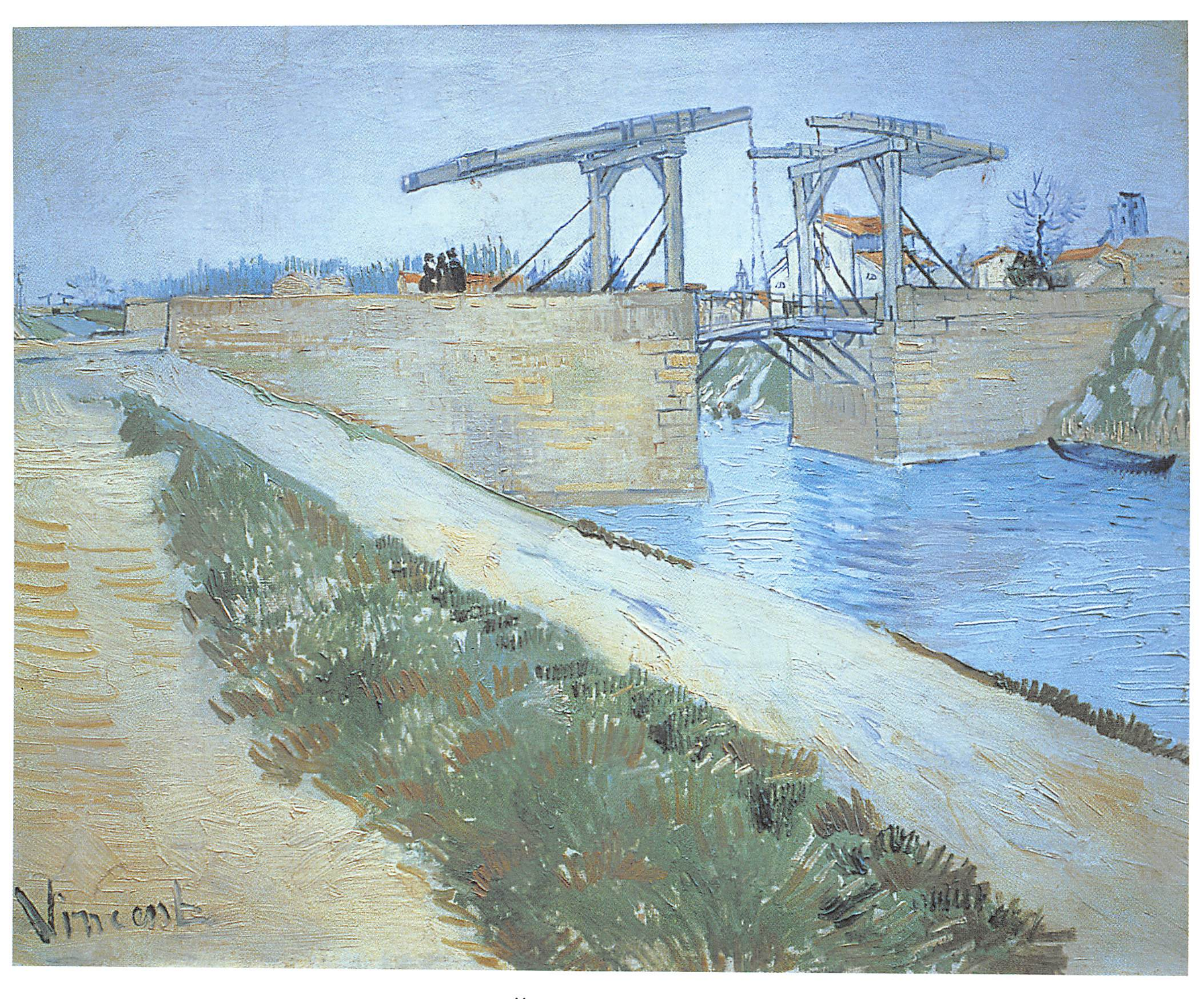
تحوَّل الربيع إلى صيف، فبدأ فان جوخ فى استكشاف الريف، بحثًا عن مواقع متميزة للتصوير. فآثر الألوان الصارخة للمناظر الطبيعية، وصوَّر العديد من اللوحات على القماش واحدة تلو الأخرى، وهنا بدأ فى تكوين أسلوبه الذى تميَّز به، مستخدمًا لألوان ناصعة، وقام بتحديد الأشكال بخطوط واضحة، عادة تكون خطوطًا داكنة اللون. فأصبحت ضربات فرشاة فان جوخ القوية والمليئة بالطاقة، تكملها ألوانه المدهشة، فى إبداع إحساس جديد للحركة فى لوحاته.



▲ صورة حديثة للكوبرى المفتوح. كان فان جوخ يصور نفس المكان بالكوبرى القديم بلانجلوا، بالقرب من آرل.

المرجع الزمنى ◄

فبراير 1888	فبراير 1888	مارس 1888
زار فان جوخ وأخوه تيو الفنان سوراه بمرسمه، وترك فان جوخ باريس للعيش بمدينة آرل، حيث استأجر هناك غرفة بالقرب من محطة القطار.	صور فان جوخ العديد من اللوحات للزهور، والأشجار أثناء تفتح ثمارها وغصونها، فقد كانت تذكره بمناظر الطبيعة اليابانية.	عرضت أعمال فان جوخ بصالون المستقلين بباريس، ولكن لم تُبع أية لوحة.



لوحة "كوبرى لانجلوا بمدينة آرل، مع الطريق الموازى للقنال"، 1888.

ألوان زيتية على قماش، 59,5 × 74 سم، متحف ريكس، فينسنت فان جوخ، مؤسسة فينسنت فان جوخ، أمستردام، هولندا.

هذا الكوبرى الصغير الواقع فوق قنال بالقرب من مدينة آرل، أصبح إحدى اللقطات المحببة لفان جوخ، فقد صورَّه فى أكثر من لوحة، فالكبارى كانت موضعًا معروفًا فى الفن اليابانى. ومن هنا بدأ فان جوخ تأريخ وتوقيع لوحاته، وهو ما صار عادة أثيرة لديه طوال حياته.

«بكل تأكيد أفادنى هذا الهواء هنا».

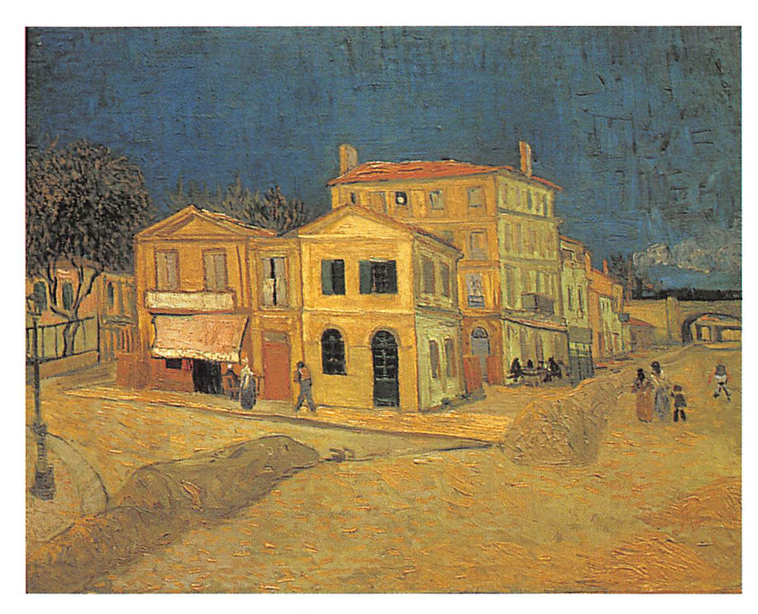
فينسنت فان جوخ

استوديو الفنان

أثناء الشهور الأولى بمدينة آرل، عاش فان جوخ بفندق قريب من محطة السكة الحديدية. وبشهر مايو عام 1999، قام باستئجار غرفة بمنزل قريب، كان يسمى المنزل الأصفر، وذلك بسبب حوائطه ذات اللون الأصفر الفاتح. وكانت الشقة خالية من الأثاث، ولذا استخدمها فان جوخ فى البداية كاستوديو. وكان يحلم بأن، يصبح هذا المنزل الأصفر، مركزا لتجمع الفنانين. وبتلك الفكرة، دعا الفنان بول جوجان، الذى قابله بباريس، للإقامة فى مدينة آرل.

رموز الجنوب

فى أغسطس عام 1888، بدأ فان جوخ فى تصوير مجموعة لوحات زهرة عباد الشمس، ليزخرف بها حوائط المنزل الأصفر، بمناسبة وصول جوجان. وكانت تلك الزهور ذات اللون الأصفر الفاتح، رمزا معبرًا عن الجنوب. كتب فان جوخ لأخيه تيو: «اللون الأصفر هو تجسيد.. للحب». ونفس اللون الأصفر ظهر فى لوحات أخرى مثل لوحة «حقول الشعير»، ولوحة «أكوام القش»، ولوحة «خصوبة التربة»، وفى لوحة «شمس الجنوب المحرقة»، أمضى فان جوخ كل الصيف يصور بسرعة محمومة ليحرز أعلى درجة من الاصفرار (بمعنى أفضل النتائج)، ففى غضون خمسة عشر شهرًا بعدها، صوَّر فان جوخ أكثر من 200 عمل، العديد منهم يعتبر من أفضل لوحاته.



▲ لوحة منزل فينسنت بمدينة آرل، 1888، استأجر فان جوخ 4 غرف بالمنزل الأصفر (تظهر بالأعلى) بمبلغ 15 فرنكًا شهريًا. وقد كتب لأخيه "تيو" عن المنزل قائلاً: "كم هو رائع هذا المنزل المصفر فى ضوء الشمس، مع لون السماء النقى الأزرق، وكل الأرض لونها أيضًا أصفر".



▲ لوحة "فينسنت فان جوخ وهو يرسم زهور عباد الشمس"، 1888، للفنان بول جوجان. وقد صور جوجان تلك اللوحة، أثناء إقامته مع فان جوخ.

التصوير بالألوان الزيتية

الآن تحكَّم فان جوخ فى التصوير مستخدمًا الألوان الزيتية، وتعتبر أكثر أنواع الألوان شهرة فى ذلك الوقت. وتُصنع تلك الألوان من صبغات فاتحة اللون، تستخرج من مساحيق المعادن، أو من النباتات، وتخلط بزيت بذرة الكتان.

والعديد من الفنانين يقومون بتخفيف الألوان الزيتية بإضافة «التربنتين»، لكن فان جوخ، أحب استخدام الألوان بكثافتها، مركَّزة دون تخفيف، ومأخوذة مباشرة من الأنبوب. وكان أخوه تيو يبعث إليه بخامات للرسم مباشرة من باريس. ونرى فى خطابات الفنان العديدة لأخيه، طلبًا دائما للمزيد من الألوان.

المرجع الزمنى ◄

مايو 1888	يونيو 1888	أغسطس 1888
استأجر فان جوخ نصف المنزل الأصفر بمدينة آرل، ولكنه استخدمه فقط كأستوديو، فقد كان يعيش بفندق فوق مقهى المحطة، الذى كانت تديره عائلة جينو.	زار فان جوخ «لى سانت مارى ديلامير»، وهى تقع على البحر المتوسط. وقام برسم دراسات لمنظر القوارب على الشاطئ. وأيضا وافق جوجان على الذهاب لرؤية فان جوخ بآرل.	تقابل فان جوخ مع جوزيف رولان، وهو ساعى بريد، وأصبحا صديقين، وقد بعث فان جوخ 36 لوحة إلى أخيه تيو بباريس. وقام بنفس الشهر بإنهاء مجموعة لوحات زهور عباد الشمس، ترحيبًا بقدوم جوجان إليه.



لوحة "الآنية بها أربع عشرة زهرة عباد شمس"، 1888.

ألوان زيتية على قماش، 73 سم × 93 سم، المتحف القومى بلندن.

اليوم تعتبر مجموعة لوحات زهور عباد الشمس لفان جوخ، من أشهر اللوحات فى العالم؛ فقد بيعت لوحة الأربع عشرة زهرة عباد شمس فى فبراير عام 1987، بمبلغ 25 مليون جنيه إسترلينى، وهذا هو أعلى ثمن دفع مقابل لوحة فنية فى هذا الوقت.

«إننى أفكر بتزيين مرسمى بنصف دستة من مجموعة لوحات زهور عباد الشمس».

فينسنت فان جوخ

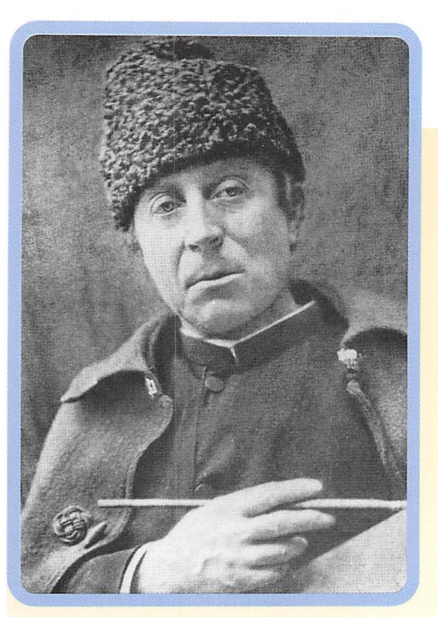
زيارة من جوجان

فى سبتمبر عام 1888، قام فان جوخ بشراء أثاث للمنزل الأصفر من النقود التى أرسلها تيو إليه، وانتقل للعيش به، حيث بدأ بتصوير لوحات عديدة لغرفة نومه (انظر إلى أسفل)، والتى كان يحبها لألوانها الناصعة، والجو الهادئ الساكن بها. وصل جوجان فى أكتوبر وكان فان جوخ مشتاقًا لرفيق يصور معه ويناقشه الأفكار حول الفن، فقد تحقق حلمه فى استوديو بالجنوب أخيرًا وأصبح حقيقة.



▲ لوحة "غرفة نوم فان جوخ بآرل"، 1888. يظهر بها غرفة نومه مرتبة ومريحة ومُعلّقًا بها ما يملكه من لوحاته المحببة على الحوائط.

كان الفنانان كلاهما يذهبان مع بعضهما البعض لتصوير مناظر محلية. وقاما بزيارة متحف بمدينة مونبلييه، المدينة القريبة منهما، ليدرسا المجموعة الفنية المعروضة به. فى البداية، توافق فان جوخ مع جوجان بشكل جيد، ولكن بعد مرور أسابيع قليلة، بدأت الخلافات بينهما بسبب طبائعهما الشخصية المختلفة، وأيضًا سببت وجهة نظرهما المختلفة فى فن التصوير مناقشات وأجواءً غير مريحة.



▲ صورة فوتوغرافية لبول جوجان، وهو يمسك بفرشاة الرسم بيده، حوالى 1890.

بول جوجان

كان جوجان يعمل مع مجموعة أخرى من الفنانين بشمال فرنسا، قبل ذهابه للإقامة بمدينة آرل، وقد تعرف على فان جوخ من خلال أخيه تيو، تاجر الفن، والمسئول عن بيع لوحات جوجان بباريس.

وكان تيو يرسل شهريًّا بعضًا من المال فى مقابل لوحات يرسلها له جوجان، كما كان يفعل مع أخيه فان جوخ.

وبعد أن ترك جوجان آرل، سافر إلى زيارة «تاهيتى»، تلك الجزيرة الواقعة بالمحيط الباسيفيكى، حيث عاد بعد ذلك إليها مرة أخرى، للإقامة بها بصفة مستديمة. وقد كان جوجان يصور عادة من الذاكرة، وليس من الطبيعة، مستخدمًا الألوان لإعطاء تعبير عاطفى خاص بلوحاته.

المرجع الزمنى ◄

سبتمبر 1888	23 أكتوبر 1888	ديسمبر 1888
انتقل فان جوخ للعيش بنصف المنزل الأصفر الذى استأجره، وكان له به 4 غرف، حيث كان يحلم بإنشاء مستعمرة للفنانين به.	وصل جوجان للإقامة مع فان جوخ؛ حيث أمضيا أسابيع لاحقة فى التصوير ومناقشة الفن مع بعضهما البعض.	قام فان جوخ وجوجان بزيارة لمتحف يقع فى مدينة قريبة تدعى مونبلييه، حيث شاهدا أعمال أوجين ديلاكروا (1798–1863)، وجوستاف كوربيه (1819–1877)، التى أثارتهما وألهمتهما فنيًا.



لوحة "مقعد بول جوجان ذو المسندين"، 1888.

ألوان زيتية على قماش، 5, 72 × 5, 90 سم، متحف ركس فينسنت فان جوخ، مؤسسة فان جوخ، أمستردام، هولندا.

أثناء إقامة جوجان، صوَّر فان جوخ لوحتين لاثنين من المقاعد، الأول يخصه هو، والثانى كان يجلس عليه جوجان، وكان يقصد فان جوخ بتصوير المقاعد، التعبير عن الاختلاف فى الشخصية بينه وبين جوجان،
فقد كان مقعد فان جوخ كرسيًّا بسيطًا «لمُصوِّر قروى». أما كرسى جوجان، بانحناءات مسنديه وتقويسة أرجله، فيعكس ثقة جوجان العظيمة بنفسه.

«إن جوجان شخصية قوية للغاية، ومبدع كبير...».

فينسنت فان جوخ

الانهيار

كان لدى فان جوخ وبول جوجان وجهات نظر مختلفة فى التصوير وفى أسلوب الرسم. فقد كان جوجان يصور عادة من الذاكرة، فى حين كان فان جوخ يحبِّذ التصوير من الواقع. وكان جوجان أكثر ثقة بنفسه، ومقتنعًا بأن أسلوبه الفنى هو الأفضل؛ فكان يستهزئ بأسلوب فان جوخ فى التصوير، ويصفه بأنه واقعى أكثر مما ينبغى، وأصبح النقاش بينهما حادًّا طوال الوقت.

صورة فوتوغرافية لتيو فان جوخ، أُخذت له عام 1889. كان يؤمن بموهبة أخيه الفنية، ويتأثر كثيرًا عندما تسوء حالة فان جوخ الصحية. وفى المقابل كان فان جوخ مستاءًا من اضطرار أخيه لترك باريس والذهاب إلى آرل لرعايته أثناء مرضه.

الإجهاد من العمل المتواصل

أمضى فان جوخ كل أوقات الصيف بالعمل المُجهد المتواصل، دون أن يهتم بنفسه، فقد كان يشرب كثيرًا، وقلَّما كان يأكل، وكان عادة يصور طوال الليل، ذلك لعدم استطاعته النوم، فقد قطع عهدًا على نفسه بأن يُصوِّر عددًا كبيرًا من اللوحات، خلال عدة أشهر. وقد بعث لأخيه تيو يقول: «على المرء أن يطرق الحديد وهو ساخن. ولإحراز درجة الاصفرار الأعلى، اضطررت للعمل بشكل متواصل ومضن». وهكذا بدأ فان جوخ فى الدخول إلى مرحلة المعاناة النفسيةً والجسدية. فبدأ يعانى من آلام بالمعدة ونوبات إغماء أخذت فى التزايد تدريجيًا.

« لو أن فان جوخ قابل شخصًا ليفتح له قلبه، لما كان من الممكن أن يصل إلى ما وصل إليه».

تيو فان جوخ

تفاقم المشكلات

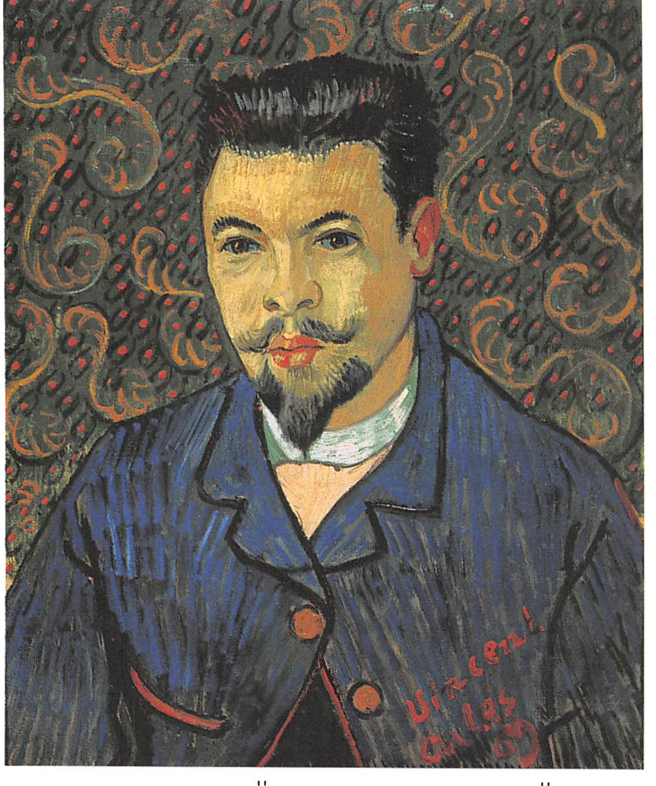
وفى تلك الأثناء، تفاقمت المناقشات بين فان جوخ وجوجان، فيكتب فان جوخ لتيو: «إن مناقشتنا عبارة عن كهرباء عنيفة، فأحيانا نقوم بعد المناقشة وكأن رؤوسنا متعبة مثل البطارية الكهربائية بعد إفراغ شحنتها منها».

ويضيف: «يجب أن أهتم أكثر بأعصابى». فقد وجد جوجان فى فان جوخ إنسانًا غير منظم مشوشا، وانفعاليًا للغاية، وبدأ يخشى من طباع فان جوخ الحادة. وفى المقابل، فقد وجده فان جوخ إنسانًا متسلطًا ومنتقدًا لأى شىء.

المرجع الزمنى ◀

ديسمبر 1888	24 ديسمبر 1888	7 يناير 1889
خطب تيو جوانا بونجر (جو). وفى 23 ديسمبر أصيب فان جوخ بأزمة عقلية وهدد جوجان، وبسبب الاكتئاب قطع جزءًا من أذنه فيما بعد.	ذهب فان جوخ إلى مستشفى آرل فاقدًا للوعى، ووصل إليه تيو فى اليوم الثانى قادمًا من باريس.	بعد مرور أسبوعين، سُمح لفان جوخ بالخروج من المستشفى، وكتب إلى أهله بأن صحته قد تحسنت، فلا داعى للقلق عليه.

فى ديسمبر عام 1888، كتب تيو لفان جوخ أخبارًا مهمة؛ فقد تقدم تيو للزواج من امرأة هولندية شابة، هى جوانا بونجر (1862-1925)، لذا فقد شعر فان جوخ بأن هذا الزواج سيفسد علاقته بأخيه، ويبعده عنه، أو ربما كان يشعر بأن أخاه قد خانه. وهكذا، وأثناء قمة امتداد علاقته مع جوجان، ازداد الضغط والتوتر على فان جوخ بشكل لا يطاق.



▲ لوحة "بورتريه للدكتور فيليكس راى"، 1889. وضع فان جوخ بمستشفى آرل المحلى تحت إشراف الدكتور فيليكس راى (1867-1932)، فصوَّر فان جوخ هذا البورتريه للدكتور، عرفانا له لمباشرة مرضه النفسى ورعايته له.

أزمة نفسية

مساء يوم 23 من ديسمبر، وقبل حلول يوم عيد الميلاد، الكريسماس، تشاجر فان جوخ وجوجان، وهدد فان جوخ جوجان، الذى فزع منه، وأمضى الليل يدور ويلف بالمنزل خائفًا.

أصبح فان جوخ بمفرده داخل المنزل الأصفر، أكثر وأكثر اختلالاً. ونتيجة للاكتئاب الذى أصابه، قام بقطع جزء من أذنه، وخرج بها إلى الشارع، وأعطاها لامرأة كان يعرفها. ففزعت المرأة وأبلغت عنه الشرطة.

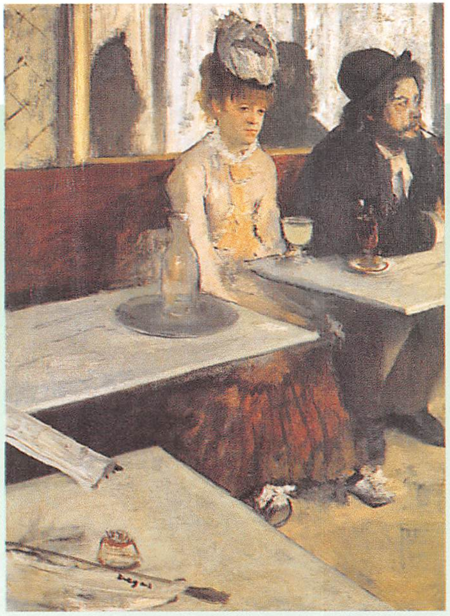
▼ لقطة فوتوغرافية لمستشفى آرل المحلية، حيث أُخذ فان جوخ إليها بعد إصابته بنوبة عقلية فى ديسمبر عام 1888، وقد صور ورسم فان جوخ هذا الفناء أكثر من مرة.



وفى الصباح، وجدت الشرطة فان جوخ مجهدًا وملقى على سريره فاقد الوعى، وأخذوه إلى المستشفى المحلى، حيث بقى فاقد الوعى هناك لثلاثة أيام أخرى. فأبلغ جوجان تيو تليفونيًّا بحالة أخيه الصحية، فهرع تيو ليكون بجانب أخيه. وما هى إلا بضعة أيام، حتى شفى فان جوخ، وكتب لأخيه يقول: «كنت آمل فى الدخول ببساطة فى نوبة مرض تنتاب الفنانين».

وبحلول السابع من يناير عام 1889، سُمح لفان جوخ بمغادرة المستشفى. ورحل تيو عائدًا إلى باريس، وجوجان مغادرًا لمدينة آرل، وقد شرح جوجان لتيو: «إن فان جوخ وأنا لنا طباع شخصية غير متوائمة، فلا نستطيع العيش معًا».

العقل المُشوَّش



▲ لوحة "شاربو الأفسنتين"، 1876، للفنان إدجار ديجا. وكان مشروب (الأفسنتين) مشروبًا شعبيًا فى فرنسا فى القرن الـ 19.

بعد رجوع فان جوخ إلى منزله، الذى بدا خاليًا فقد أصبح الآن وحيدًا معظم الوقت، فكان الأصدقاء يسألون عنه من وقت لآخر. فكتب إلى تيو: «إن يومى يمضى دون أن أتحدث لأى إنسان»، وفى محاولة منه للاعتماد على النفس، رجع فان جوخ للتصوير مرة ثانية. وقام بعمل بورتريهات شخصية له فى المجموعة الأولى التى بدأها بعد أزمته العقلية.

النظر إلى المرآة

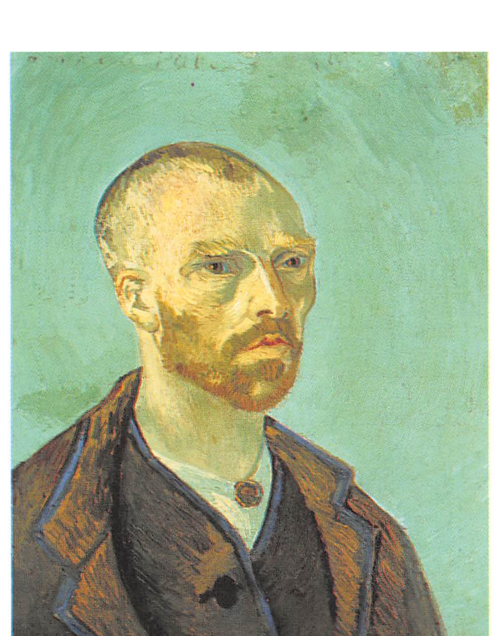
وعلى مدار السنوات، نرى فان جوخ يصور نفسه مرات عديدة، وجزئيًّا لأنه لم يجد موديلاً آخر ليرسمه. والآن، وبالنظر الدائم إلى المرآة ورؤية وتصوير وجهه، ساعدته على استعادة هدوء النفس. ففى بعض لوحات بورتريهاته الشخصية مثل تلك اللوحة بأسفل، نرى فان جوخ يبدو حزينا، أو يمر بمشاكل. وفى لوحات أخرى، نراه يبدو مبتهجًا إلى حد كبير، كما فى اللوحة فى الصفحة المقابلة والتى صوَّرها بعد خروجه من المستشفى بفترة قصيرة. وقد أضاف بها فى الخلفية حامل رَسمه، ومطبوعة يابانية من مقتنياته، فى محاولة منه لإبراز هذين العنصرين الذين طالما أحبهما.

جنون فان جوخ

ومرت السنوات، وحاول العديد من الأطباء، اكتشاف معلومات أكثر عن مرض فان جوخ العقلى، فرأى بعض الأطباء المختصين، أن مرضه هو مرض وراثى، حيث وجدوا فى تاريخ عائلته، أختًا له (أمضت معظم أيام حياتها بمستشفى للأمراض العقلية).

وبعض الأطباء كانت لهم وجهة نظر مختلفة، فأرجعوا تدهور حالة فان جوخ العقلية إلى احتسائه المفرط لمشروب الـ «الأفسنتين»، وهو مشروب كحولى رخيص الثمن، مُنع تداوله فى فرنسا بعد ذلك، لاكتشاف أنه يؤدى إلى تلف دماغى.

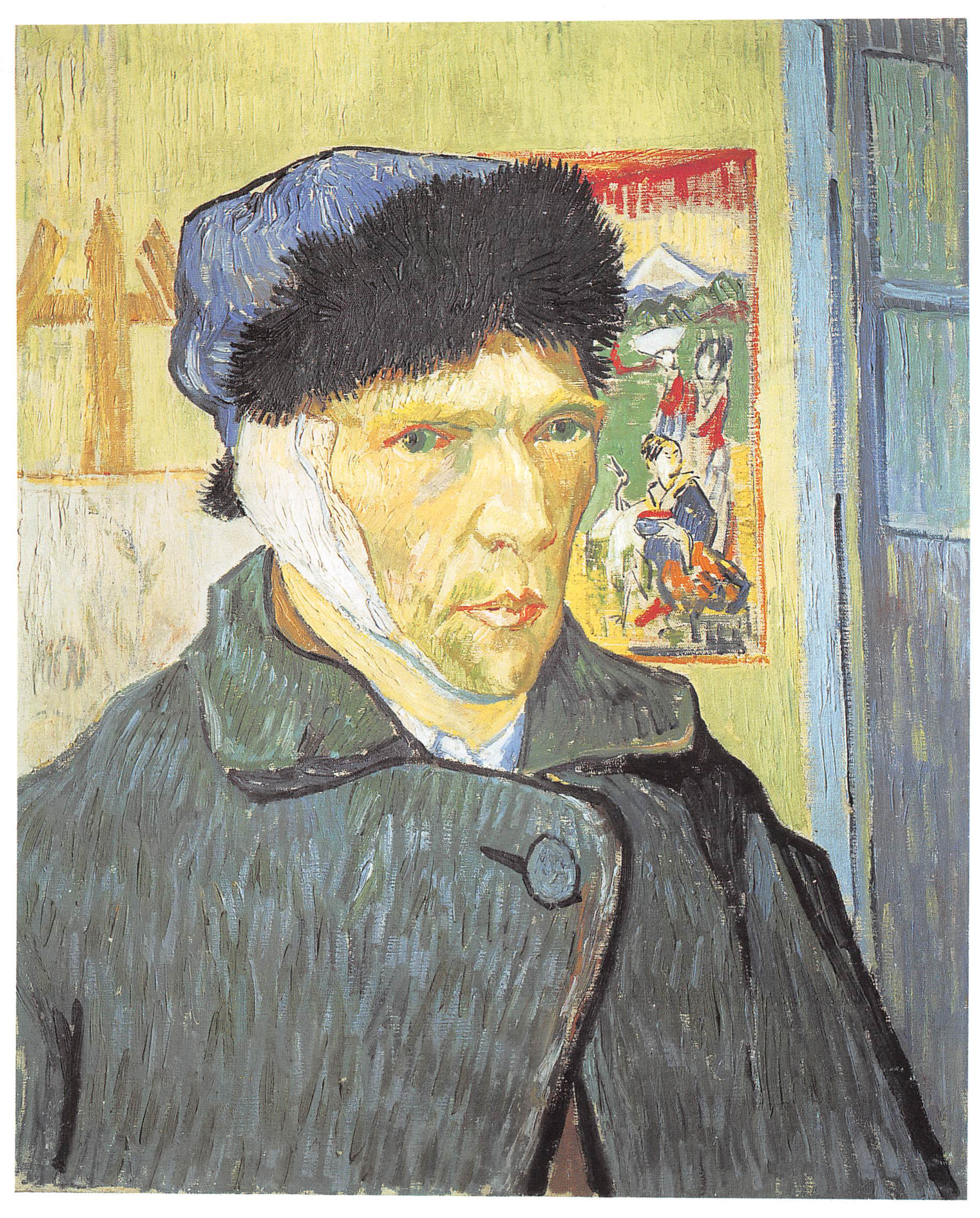
أما فان جوخ، فكان يعتقد أن مرضه بسبب ضعف حالته الجسمانية، فكتب: «لقد بدأت باعتبار أن الجنون، هو مرض مثله مثل أى مرض آخر».



◀ لوحة بورتريه شخصى أهداه إلى بول جوجان، 1888، ويظهر فان جوخ فى تلك اللوحة حزينا ومهمومًا. ولا مفر من النظر إلى عينيه المتعبتين، وقد تكثفت نظرتهما بفعل بروز عظام وجهه ورأسه الحليق.
ولا يوجد أى عنصر مصور فى الخلفية، لذا فإن الناظر مرغم على التركيز على النظر إلى وجه فان جوخ.

المرجع الزمنى ◀

يناير 1889	يناير 1889	يناير 1889
بعد خروجه من المستشفى، أمضى فان جوخ وقتا طويلاً بمفرده بمنزله الأصفر. وبدأ بتصوير لوحات جديدة، منها بورتريهات شخصية.	صور فان جوخ لوحة بورتريه شخصى وهو برباط من الشاش على أذنيه، وبورترية آخر للدكتور فيليكس راى.	كتب فان جوخ إلى أخيه تيو سائلاً إياه إبلاغ جوجان بأسعد تمنياته له.



لوحة "بورتريه شخصى مع ضمادة على الأذن"، 1889.

ألوان زيتية على قماش، 49 × 60 سم، قاعات عرض معهد كورت أولد، لندن.

صوَّر فان جوخ هذا البورتريه الشخصى فى يناير عام 1889، ليس فى زمن بعيد بعد مغادرته للمستشفى. وقد صور فى المجمل عدد 40 بورتريه شخصيًّا له فى الفترة بين 1885 و1889. وقد كانت أذنه اليسرى هى المصابة، ولكن الصورة كانت معكوسة فى المرآة، بحيث ظهرت هنا أذنه اليمنى وكأنها اليسرى المصابة.

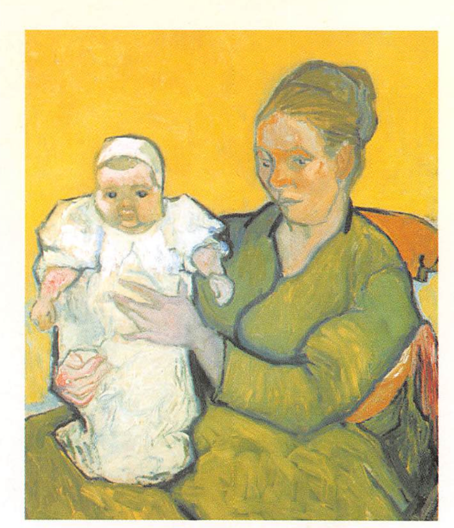
«إن العمل بلوحاتى هو غالبًا احتياج داخلى لشفائى».

فينسنت فان جوخ

الصديق الوفى

بورتريه الفنان

صور فان جوخ أثناء إقامته بمدينة آرل عشرات البورتريهات، وكان العديد منهم لأصدقاء له، مثل أوجيستين رولان. وفى عام 1888 تقريبًا، وتحت تأثير وجهة النظر الفنية لجوجان، بدأ فان جوخ فى استعمال الألوان كوسيط للتعبير عن الانفعالات داخل لوحاته. وقد أخبر تيو: «أريد أن أصور الرجال والنساء بشىء من الخلود، الذى أحاول التعبير عنه بتألق ولمعان أسلوبى فى التلوين». وفى غضون تلك الفترة، شعر وكأنه يتعلم «درسًا كبيرًا من خلال كبار الفنانين الهولنديين القدامى.. فى اعتبارهم اللون والرسم شيئا واحدًا لا يتجزأ».



▲ لوحة "الأم رولان وابنها الرضيع"، 1888، لوحة لأوجيستين زوجة جوزيف رولان، حيث كان موضوعها من المواضيع المحببة لفان جوخ.

وأثناء هذا الوقت العصيب، كان يزور فان جوخ، صديقه الحميم جوزيف رولان بصورة دائمة، وهو رجل ضخم البنية، ويعمل بمكتب البريد، كساعٍ للبريد بمحطة السكك الحديدية، ويقطن بالقرب من المنزل الأصفر. وقد صور فان جوخ العديد من البورتريهات الشخصية لصديقه رولان وزوجته أوجيستين، ولابنهما الشاب المراهق أرمون، وحتى ابنهما الرضيع مارسيل، وكان رولان وزوجته يقطنان بجانب الفنان فى أيامه الصعبة، ذلك فى يناير عام 1889، ولكن بعد فترة، نُقل ساعى البريد للعمل بمدينة مارسيليا. وبعد رحيلهم، استمر فان جوخ فى تصوير مستنسخات من خياله لبورتريهاتهم.



▲ لقطة فوتوغرافية لمدينة آرل أثناء إقامة فان جوخ بها تقريبًا، فقد كانت مدينة آرل دائمًا مقصدًا مشهورًا لقضاء الإجازات الطويلة، هذا لما تحويه من آثار تاريخية رومانية، وشوارع ومقاهٍ طريفة وغريبة.

المرض مرة أخرى

وفى بدايات شهر فبراير، أصيب فان جوخ بأزمة عقلية جديدة، ودخل فى مرحلة الهلوسة؛ (يرى أشياءً غير موجودة)، وبذلك تنبه قاطنو مدينة آرل إلى تصرفات فان جوخ، وبدأوا فى عزله عنهم. فعندما مر فان جوخ بأزمة جديدة فى أواخر فبراير، قاموا بتوقيع طلب بعزله داخل مستشفى، وما كان يأمل فيه من «حرب الفنانين» تحول إلى أزمة انعزالية بدأت تعاوده تدريجيًا.

المرجع الزمنى ◄

4 فبراير 1889	27 فبراير 1889	مارس 1889
عانى فان جوخ من صدمة جديدة، فقد كان مقتنعًا بأن شخصًا ما يحاول تسميمه، وقد استمرت معه لمدة أسبوعين.	أصيب فان جوخ بنوبة جديدة، وأعيد مرة أخرى إلى المستشفى، وما بين النوبات التى أصابته، كان يعمل بالمنزل الأصفر.	أصيب فان جوخ بنوبته الرابعة وقام 30 من جيرانه بالتوقيع على طلب إلحاقه بالمستشفى بصفة مستديمة. وقد أعطاه أهالى البلد اسمًا مستعارًا هو: الرجل المجنون ذو الشعر الأحمر، وأغلقت الشرطة المنزل الأصفر بما يحويه من أعمال لفان جوخ.



لوحة "ساعى البريد رولان"، 1889.

ألوان زيتية على قماش 65 × 54 سم، متحف ركس، كرولر مولر أوتيرلو، هولندا.

كتب فان جوخ لتيو: «رولان... ليس كبيرًا فى العمر ليصبح مثل والدى، ولكنه شخصية عطوفة، مثله مثل ما يكنه الجندى الكبير السن للجندى الصغير». فى هذا البورتريه، أظهر فان جوخ ملامح ساعى البريد الطيبة.

«إن أكثر ما يغرينى عمله، هو تصوير البورتريه الحديث».

فينسنت فان جوخ

التصوير أثناء الليل

تزوج تيو وجو فى أبريل عام 1889، وبعدها بقليل عانى فان جوخ من نوبة جديدة، وأعيد إلى المستشفى، وبطبيعة الحال، لم يكن هذا سرًّا بين جموع قاطنى آرل، واقترحوا تحويل فان جوخ إلى مستشفى الأمراض العقلية بمدينة سان ريمى، القريبة، إلى أن تتحسن حالته الصحية، فذهب فان جوخ فى مايو عام 1889، إلى مدينة سان ريمى، ومن تلقاء نفسه مكث بها هناك لمدة عام.

الجنون والأعمال الفريدة

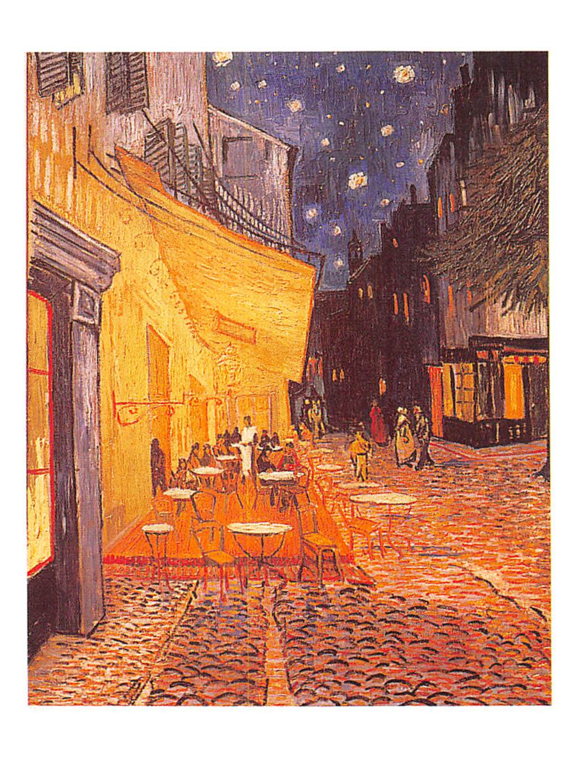
استمرت إصابة فان جوخ بنوبات، ولكنه بين كل نوبة وأخرى، كان يستنسخ مطبوعاته ولوحاته المفضلة، ورسم دراسات طبيعة صامتة. حتى إنه صور أيضًا منظرًا من خلال نافذة غرفته ليلاً (انظر إلى اليسار). وأبدع فان جوخ أعمالاً فريدة أثناء فترة إقامته بسان ريمى، فقد أحس أن التصوير يهدِّئ ويشفى روحه، ولكنه استمر فى العمل الشاق على نفسه.
وكان للتوتر العاطفى نتيجة، هى البدء واستكمال مجموعة من اللوحات العظيمة، بسرعة فائقة، وساعدت على التحكم فى نوباته المرضية واكتئابه.



▲ إن مستشفى الأمراض العقلية بسان ريمى مازالت موجودة كما هى حتى الآن.

مستشفى الأمراض العقلية

فى مستشفى الأمراض العقلية، وفى مدينة سان ريمى، كان المرضى، مثل فان جوخ، يستمتعون بخصوصية أكبر من أمثالهم من المرضى بأجنحة المستشفيات العامة. فقد كان لفان جوخ غرفته الخاصة، بالإضافة إلى غرف أخرى للتصوير بها.
وأثناء نوبات الاكتئاب - والتى استمرَّت فى بعض الأحيان لأيام كان يسجن بغرفته، ولكن مرَّات أخرى كان يُسمح له بالتجوُّل بحدائق المستشفى، وبالريف المجاور لها. وكانت ما زالت التصورات، وأنواع العلاج، والأمراض العقلية، بالقرن التاسع عشر، بدائية للغاية، حيث كان المرضى أمثال فان جوخ، والذين كانوا يشخصونهم على أنهم مرضى (صرع)، يعالجون بالاستحمام بالماء البارد؛ فكتب فان جوخ:
«نحن نستمع بصفة مستمرة لبكاء شديد، وصراخ مثل أصوات الوحوش داخل حديقة الحيوان».



▶ لوحة "مقهى بميدان فوروم، آرل، فى المساء"، 1888. كتب فان جوخ يقول: "إن صعوبة التصوير ليلاً يثيرنى بشكل هائل". وعندما كان يعمل فان جوخ ليلاً بالخارج بالضوء الخافت، كان يلصق شموعًا على قبعته وعلى حامل اللوحة، لمساعدته على الرؤية. ولوحات فان جوخ الليلية تراها دائمًا مليئة بالألوان والضوء وبعيدة عن الظلمة.

المرجع الزمنى ◀

أبريل 1889	مايو 1889	يوليو 1889
فى 17 أبريل تزوج تيو بجوانا بونجر بأمستردام، وبعدها بقليل أصيب فان جوخ بنوبة جديدة.	دخل فان جوخ مستشفى الأمراض العقلية بمدينة سان ريمى، متطوعًا، ومكث بها لعام، وبدأ يشعر بالهدوء، وصرح له بالتصوير والرسم.	أصيب فان جوخ بنوبة أخرى، وحاول بلع ألوانه المليئة بالسموم، وفى شهر ديسمبر أصيب بنوبة أخرى وحاول تكرار نفس الكرة مرة ثانية ببلع الألوان.



لوحة "الليلة النجمية"، 1889.

ألوان زيتية على قماش، 73,6 × 92,1 سم، متحف الفن الحديث، نيويورك.

صور فان جوخ لوحة الليلة النجمية من خلف زجاج نافذة غرفته بمصحة سان ريمى. ونرى النجوم فى هذه اللوحة تومض من خلال التفاف استدارات براقة حولها، وتظهر هنا بشكل أوضح مما ظهرت عليه فى لوحة «سماء الليل» المصورة فى يونيو عام 1889، التى صورها بنفس الشهر.

« فى الزرقة البعيدة، تتلألأ النجوم،خضراء، وصفراء، وبيضاء، وقرنفلية، أكثر إشراقًا... مما تظهر عليه بموطنى، وحتى بسماء باريس».

فينسنت فان جوخ

العودة إلى الشمال



▲ كان كلود مونيه أحد الفنانين رواد المدرسة الانطباعية (التأثيرية).



▲ لوحة "كرم العنب الأحمر"، 1888، وهى اللوحة الوحيدة التى باعها فان جوخ أثناء حياته، وبيعت بمبلغ 400 فرانك، وكان هذا ثمنا جيدًا فى ذاك الوقت.

وأخيرًا المديح-فى النهاية

خلال الأعوام 1888، 1889، 1890، عُرضت أعمال فان جوخ بصالون المستقلين، بالمعرض السنوى للفن الحديث بباريس. وفى عام 1890 قوبلت لوحاته بالمديح. فقام بول جوجان بإبلاغ فان جوخ: «إن الفنان مونيه قال إن لوحاتك هى أفضل الأعمال... فشعر الكثير من الفنانين أنك أفضل المتميزين فى هذا المعرض».

وفى يناير عام 1890، نشر شاعر يُدعى ألبير أورييه (1865-1892) مقالاً امتدح فيه أعمال فان جوخ. وفى مارس عام 1890، بيعت إحدى لوحات فان جوخ (كرم العنب الأحمر). وفى النهاية أصبحت أعمال فان جوخ معروفة.

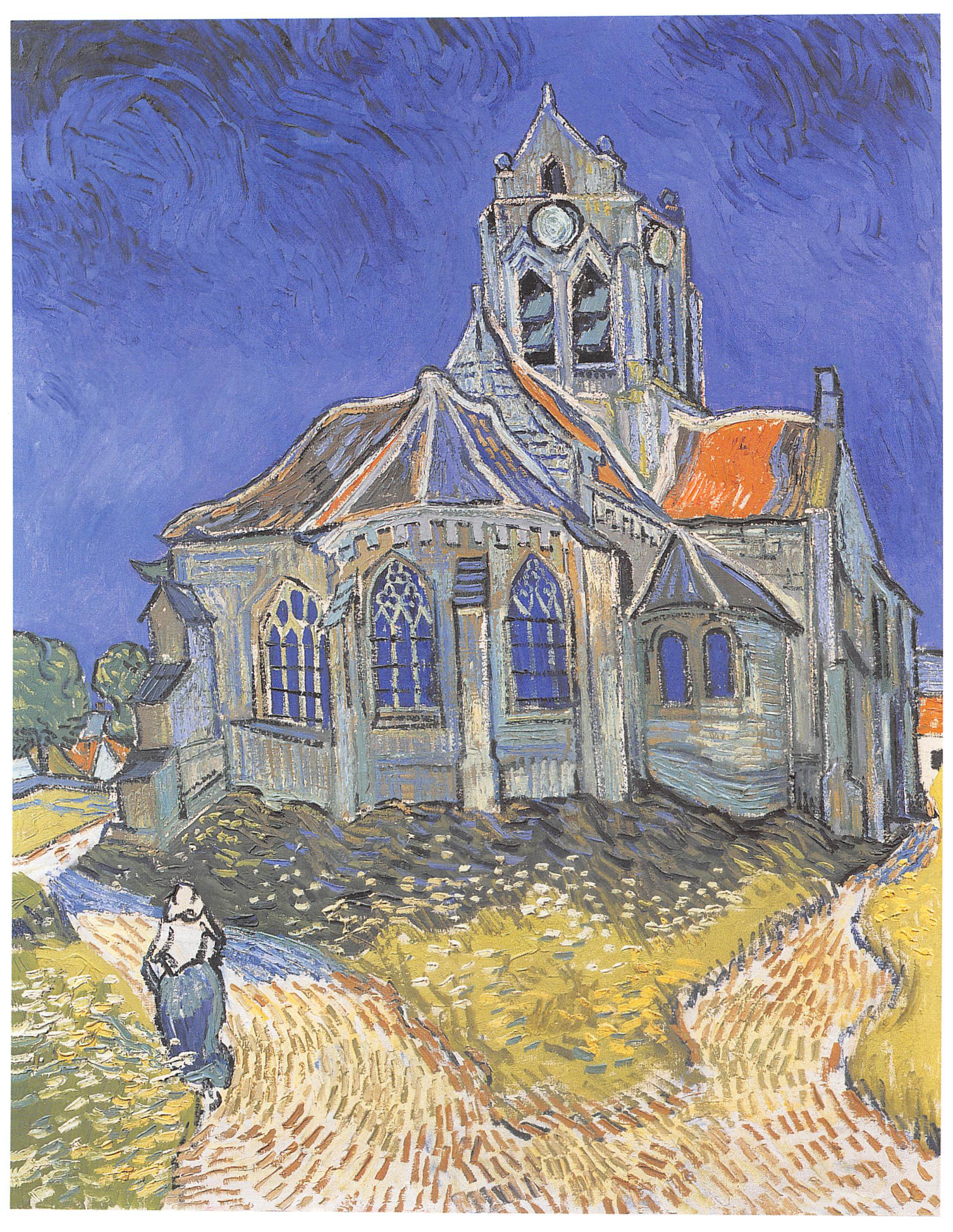
كتب فان جوخ إلى تيو من سان ريمى، يقول له: «لقد رأيت مجددًا كل غرفة بمنزل مدينة (سوندريت)، كل دورة مياه، وكل زرعة بالحديقة».

فمع مرور الوقت افتقد فان جوخ شمال أوروبا أكثر وأكثر. وفى عام 1890، قرر الرجوع إلى شمال فرنسا.

وفى شهر يناير، أنجبت زوجة تيو ابنا، وسُمى باسم فينسنت، وفى شهر مايو، ترك فان جوخ الجنوب، وسافر إلى باريس لزيارة تيو؛ حيث قابل للمرة الأولى جو والطفل. وبعد مرور أيام قليلة بباريس، سافر إلى قرية أفير سور واز، بشمال باريس، حيث تعرَّف أخوه تيو على طبيب نفسى هو بول جاشيه (1828-1909)، والذى باشر حالة فان جوخ الصحية، وهناك استأجر فان جوخ غرفة أعلى مقهى محلى، حيث كان يرى الدكتور جاشيه وعائلته باستمرار. وكان الريف المحيط بقرية أفير ملهمًا لفان جوخ، والذى بدأ هناك مرحلة أخرى من النشاط المكثف، فبها كان يصوِّر لوحة يوميًّا على مدار سبعين يومًا.

المرجع الزمنى ◄

يناير 1890	22 فبراير 1890	مارس 1890	مايو 1890
31 يناير، رزقت جوانا فان جوخ بولد، سُمى بفينسنت. وكُتب مقال مُدحت فيه أعمال فان جوخ من قبل ألبير أورييه نشر بجريدة «ميركيردى فرانس» الفرنسية.	أصيب فان جوخ بمرض نفسى مرة أخرى. واستمر لمدة شهرين.	بيعت لوحة فان جوخ «كرم العنب الأحمر» بمبلغ 400 فرنك.	17 مايو، ذهب فان جوخ لمدة ثلاثة أيام إلى باريس لزيارة تيو وعائلته. وفى 20 مايو ذهب للعيش بـ «أفير سور واز»، والتى تبعد 30 كم شمال باريس.



لوحة "كنيسة بأفير"، 1890.

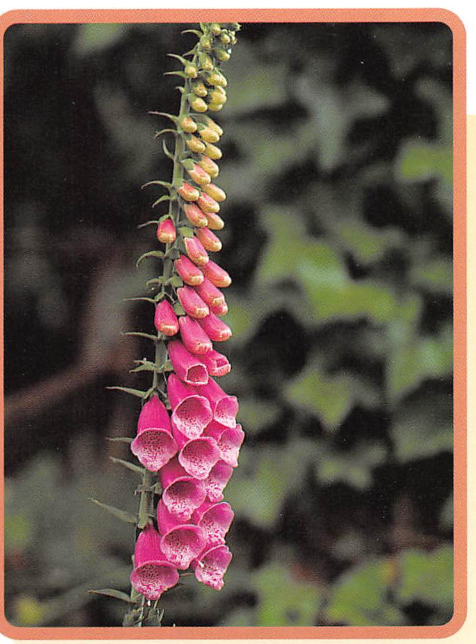
ألوان زيتية على قماش، 74 × 94 سم، متحف دورساى، باريس، فرنسا.

صور فان جوخ كنيسة بأفير بمنظور غير صحيح، وكان يقصد ذلك عن عمد. فقام بدمج عناصر اللوحة المتعددة عن طريق خطوط مرسومة متدفقة وغريبة، وعن طريق منحنيات ملونة جعلت أشكال حجر الكنيسة الضخم والمصمت، يرقص مفعمًا بالحركة.

«إننى فى حُمَّى مستمرة من العمل».

فينسنت فان جوخ

عناية الدكتور جاشيه



▲ ظهر زهر الكشاتبين فى بورتريه للدكتور جاشيه ليرمز لقدراته فى الطب البديل.

لم يكن الدكتور «بول جاشيه» طبيبًا نفسيًّا وحسب، ولكنه كان أيضًا فنانًا هاويًا، ومحبًّا صادقًا للفن. فحوائط منزله مزينة بلوحات بول سيزان وكلود مونيه، وكثير من فنانى الانطباعية. وأثناء دراسته الطب بباريس، كان يعتنى بالفنانين كاميل بيسارو، وبيير أوجيست رينوار مثل عنايته بفان جوخ. ومن منطلق حب جاشيه للفن وأساليبه غير التقليدية فى التعبير، والذى كان مع أشياء أخرى عديدة- بمثابة نقطة تلاقٍ بينه وبين فان جوخ، وأصبح الاثنان أصدقاءً.

الدكتور الطيب الرحيم

كان فان جوخ يتناول معظم وجبات طعامه بالمقهى، حيث كان يقطن، لكنه وبصفة مستمرة، كان يتناول طعام العشاء مع عائلة جاشيه، وقد صور العديد من البورتريهات للدكتور وابنته. حتى إن فان جوخ كان ينظر إلى جاشيه كإنسان شاذ وغريب: «إنه إنسان غير منظم كدكتور، وهو مثلى، غير منظم كمصور». هكذا كتب إلى أخيه تيو. وبواسطة المساعدة النفسية، أصبح فان جوخ قادرًا على الاسترخاء والعمل بتركيز أكبر.

◄ تلك اللقطة لمنزل الدكتور جاشيه أُخذت فى غضون الثمانينيات من القرن العشرين. وهنا كان يذهب فان جوخ كثيرًا للتصوير، وتناول طعام العشاء مع العائلة، وأيضًا لتلقى العلاج. فكتب فان جوخ: "أشعر بأننى لا أستطيع تصوير لوحة سيئة، فى كل مرة أذهب فيها إلى هذا المنزل".

الطب البديل

لقد كان الدكتور جاشيه، طبيبًا غير مألوف فى وقته، هذا لأنه كان يمارس الطب البديل، وهذا التخصص الطبى يحتاج إلى معرفة مختص للمستحضرات الشافية المكونة من المئات من المعادن والنباتات. فأطباء الطب البديل يعطون مرضاهم جرعات ضئيلة من دواء مستخلص من النبات أو المعدن، بحيث يثير نشاط جهاز المناعة فى الجسم ضد الأمراض. فورق نبات قفاز الثعلب الناعم والمجعَّد (انظر إلى أعلى والصفحة المقابلة) يحتوى على عناصر من الممكن استعمالها كمنشط للقلب.

المرجع الزمنى ◄

مايو 1890	مايو 1890
أقام فان جوخ علاقة صداقة بينه وبين الدكتور جاشيه وابنيه: مارجريت (20 عامًا)، وبول (16 عامًا).	صور فان جوخ لوحات متعددة للقرية والريف المحيط بها.



لوحة "بورتريه للدكتور جاشيه"، 1890.

ألوان زيتية على قماش، 56 × 67 سم، مجموعة خاصة.

صور فان جوخ بورتريه للدكتور جاشيه فى يونيو عام 1890. وكان الطبيب النفسى متحمسًا لنتيجة اللوحة، حتى إنه طلب من الفنان تصوير نسخة أخرى له.

«إننى أعمل بحماس ملىء بالهدوء والثبات».

فينسنت فان جوخ

تحت مخاطر السماء

ومن أفير كتب فان جوخ إلى تيو يقول له إنه كان يعمل كثيرًا وبسرعة: «وبتلك الطريقة أحاول التعبير عن الأشياء العابرة الكئيبة بحياتنا الحديثة». فكان من عادة الفنان، القيام عادة فى الخامسة صباحًا، للخروج فى رحلات تصوير استكشافية. فكان يعمل فى الطبيعة تحت أشعة الشمس، وأثناء هبوب الرياح، وسقوط المطر.

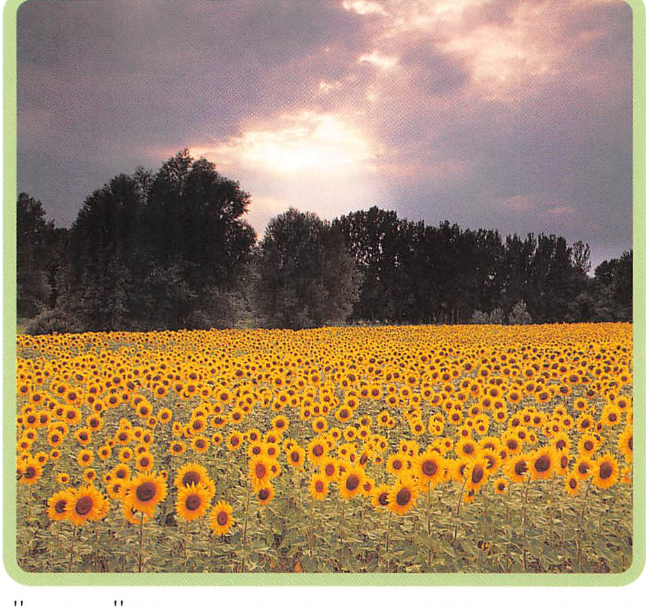
الجنون العبقرى

فى أحد خطاباته إلى تيو، قارن فان جوخ أعماله الحديثة، بلوحاته التى صورها فى السابق، فكتب: «إننى أشعر بثقة أكبر بضربات فرشاتى الحالية، عن ضرباتى قبيل ذهابى إلى آرل». ففى غضون عشر سنوات، توسعت المدارك الفنية لفان جوخ وأصبحت عظيمة، حتى أصبح يملك اللمسة الواثقة والواعية لفنان كبير. فالمناظر الطبيعية التى صورها فى أفير، كانت رائعة الجمال،



▲ إن تلك التفصيلة توضح سربًا من الغربان بمنظر طبيعى بأفير، أثناء هطول الأمطار (فى الصفحة المقابلة) وتظهر ضربات فرشاة فان جوخ القوية.

ولكن ألوانها الداكنة وضربات الفرشاة البنفسجية، تعكس صراعًا نفسيًّا كبيرًا يدور بداخله. فالعمل بتلك السرعة الكبيرة، دفعه للمخاطرة بسلامة عقله.



▲ لقطة فوتوغرافية لحقل زهور عباد الشمس بمقاطعة "بروفينس".

الرموز فى أعمال فان جوخ

تزخر أعمال فان جوخ بأشكال يظن بعض الناس أنها رموز. فزهرة عَبَّاد الشمس، تبدو وكأنها ترمز إلى درجات الحرارة المرتفعة بجنوب فرنسا، وتعكس بالتالى معانى السعادة والحب، وأيضًا أوقات فان جوخ المليئة بالأمل أثناء إقامته بالمنزل الأصفر بمدينة آرل. وفى صيف عام 1890، صوَّر فان جوخ مجموعة من المناظر الطبيعية تظهر بها السحب، أو السماء الممطرة، والغربان الطائرة. فاعتقد الكثير من الناس، أن هذه العناصر هى رموز تدل على حالة الفنان العقلية البائسة. وأيضًا نوعية أشجار الجوز المنحنية التى ظهرت فى لوحات فان جوخ الأخيرة بألوانها الداكنة، هى الأخرى لها أشكال عنيفة وقاسية، ومن الممكن أن تكون رموزا تدل على صراعه البائس ضد أمراضه العقلية.

المرجع الزمنى ◄

يونيو 1890	يونيو 1890
زار الدكتور جاشيه تيو بباريس وأبلغه أنه يعتقد أن أخاه قد شفى تمامًا.	يصور فان جوخ بلا توقف. وبتشجيع من الدكتور جاشيه حاول للمرة الأولى تجريب تقنية الحفر الغائر (إتشينج).



لوحة "منظر طبيعى بأُفير أثناء هطول الأمطار"، 1890.

ألوان زيتية على قماش، 50 × 100 سم، المتحف القومى بويلز، كارديف.

صوَّر فان جوخ المناظر الطبيعية بأفير فى فترة هطول الأمطار فى شهر يوليو عام 1890، وقد كتب فى ذلك: «هذه هى حقول الشعير المترامية الأطراف تحت مخاطر السماء، لذا فأنا لست بحاجة إلى الذهاب إلى مكان آخر (والخروج عن طريقى الذى رسمته لنفسى)، للتعبير عن مدى حزنى وشعورى بالوحدة القاسية». وباللوحات التى رسمها بصيف عام 1890، أصبحت ضربات فرشاة فان جوخ أكثر قوة؛ فنرى هنا الخطوط الساقطة من أعلى محاور اللوحة، تتقاطع مع المنظر الطبيعى لأفير أثناء هطول الأمطار لتعطى إيحاءً بالخدوش السوداء على سطح القماش.

«...ربما يوجد سبب للألم الذى ينبع من هنا. أحيانًا يسيطر على الأفق بشكل كامل، حتى إنه يظهر لنا كفيضان بائس. فنحن نعلم القليل عن كيفية ترابط تلك العناصر فى الطبيعة ببعضها، ونفضل النظر إلى حقول الشعير، حتى لو كانت مصورة فى لوحة».

فينسنت فان جوخ

الأيام الأخيرة



▲ لقطة فوتوغرافية لمقهى "رافو"، الذى أمضى به فان جوخ شهوره الأخيرة قبل وفاته، وكانت غرفته بالأعلى تطل على بهو المدينة بأفير.

بحلول شهر يوليو عام 1890، شعر فان جوخ بأنه أصبح محاطًا بالمشاكل. ففى شهر يونيو، قام تيو وجو وطفلهما بزيارة أفير، وذهب الأربعة إلى قضاء رحلة خلوية. وأثناء الزيارة، قام تيو بسرد مشاكله فى العمل ومشاكله الشخصية بالمنزل، حيث يمرض طفله بصفة مستمرة. فبدا تيو أنه أثقل بالمسئوليات. فكتب إليه فان جوخ بعدها: «أنا... أشعر بعاصفة تهددك، وتدور تجاهى أيضًا. وأحاول من جانبى أن أكون مشاركًا لك، ولكن حياتى هى الأخرى مهددة من جذورها، وخطواتى متذبذبة وحائرة».

ومن جانب آخر، تجمدت علاقة الصداقة بين فان جوخ والدكتور جاشيه. ففى زيارة لمنزل الدكتور جاشيه، رأى الفنان لوحاته دون برواز، وكان بعضها موجهًا إلى الحائط، فثار لذلك ثورة عارمة وهدد جاشيه بمسدس، ثم هرب جريًا إلى الخارج من هول فعلته.

« هناك العديد من الأشياء التى أريد كتابتها لك، ولكنى أشعر أن ذلك أصبح عديم الفائدة ».

فينسنت فان جوخ

المرجع الزمنى ◄

8 يونيو 1890	6 يوليو 1890	27 يوليو 1890	29 يوليو 1890	15 يناير 1891
زار تيو وعائلته فان جوخ بأفير.	زار فان جوخ تيو بباريس، حيث أطلعه أخوه على خطته للرجوع إلى هولندا.	أطلق فان جوخ النار على صدره فى محاولة منه للانتحار.	توفى فان جوخ متأثرًا بجروحه عن عمر يناهز الـ 37 عامًا.	توفى أخوه تيو فان جوخ عن مرض ضيق التنفس وأمراض أخرى، عن عمر يناهز 34 عامًا.

فى محاولة للانتحار

فى يوم 6 يوليو، قام فان جوخ بزيارة تيو بباريس، حيث قابل بعضًا من أصدقائه الفنانين القدامى. وعاد إلى أفير وهو فى قمة التعاسة. فلقد أبلغه تيو بخطته فى الرجوع للإقامة بهولندا، فشعر فان جوخ بأنه منبوذ من قبل أخيه. وفى 27 يوليو عام 1890، تفاقمت حدة تعاسته، ووصلت إلى ذروتها، فذهب إلى الخارج متوجهًا إلى الحقول، حاملاً بيديه مسدسًا، حيث أطلق هناك رصاصة على نفسه لتخترق صدره. فأصابته الرصاصة بجرح قاطع، ولكنها لم تقتله، فكافح فى الرجوع إلى أفير، وعرج إلى غرفته.



▲ لقد رسم الدكتور جاشيه هذا الاسكتش لوجه فان جوخ، بعد وفاته بقليل.

الجرح المميت

إن حارس الفندق الذى كان يقيم معه أثيرت شكوكه، حيث إن فان جوخ لم ينزل إليه لتناول وجبة العشاء؛ فذهب إلى غرفة فان جوخ، حيث وجد الفنان ملقى ينزف على سريره؛ فقام باستدعاء طبيب، ولكنه لم يستطع مساعدته. فبالرغم من أن الرصاصة لم تُصِب قلب فان جوخ، فإنها استقرَّت بالقرب من عموده الفقرى، وبسرعة دبَّر أخوه أموره وسافر من باريس، حيث وصل فى الصباح، أمضى الأخوان بضع ساعات بمفردهما، قُبيل وفاة فان جوخ بين ذراعى تيو. وقد توفى صغيرًا عن عمر يناهز الـ 37 عامًا فقط.

«أتمنى أن ينتهى كل شىء الآن».
تلك كانت آخر كلمات تلفظ بها
فينسنت فان جوخ



▲ عاش تيو فان جوخ لشهور قليلة بعد وفاة أخيه. فقد توفى فى يناير عام 1891، ووقوفًا على رغبة زوجته "جو"، أخذ جثمان تيو ليُدفن فى أفير بجانب جثمان أخيه فان جوخ، فلقد عاش الأخوان ودُفنا بجانب بعضهما البعض.

الجنازة الصغرى

جاء بعض من أصدقاء فان جوخ إلى الجنازة، التى أقيمت بعد وفاته بأيام قليلة. فقد حضر مع أخيه تيو والدكتور جاشيه، الفنانان إميل برنار، وبير تانجى، وقد كتب فان جوخ فى النهاية خطابًا لم يُرسل إلى أخيه، حيث عُثر عليه بجيبه، يقول فيه: «حسنا، الحقيقة هى، أن كل ما نستطيع فعله، هو أن نجعل لوحاتنا تتحدث».

فظهرت تلك العبارة فى خطبة نعاه فيها الدكتور جاشيه عند المقبرة: «لقد كان رجلاً أمينا، وفنانًا عظيمًا، وكان له هدفان فقط، هما الإنسانية، والفن. فقد أحب الفن فوق أى شىء، وفنه هو ما سيبقيه حيًّا».

ميراث فان جوخ

فى حياة فان جوخ القصيرة نسبيًّا كفنان، أبدع أكثر من 800 لوحة زيتية، وأكثر من 700 رسمة، وذلك أكثر بكثير مما أنتجه بعض الفنانين أثناء حياتهم الطويلة.

ولم تمر إلا سنوات قليلة بعد وفاته، حتى بدأ فان جوخ فى الحصول على الثناء الذى يستحقه. ويرجع السبب لذلك جزئيًّا إلى أرملة أخيه تيو (جو). فعندما توفى أخوه تيو إثر إصابته بضيق تنفس وأمراض أخرى فى يناير عام 1891، كان يحاول التحضير لإقامة معرض للوحات فان جوخ. فتحملت جو مسئولية هذا المشروع، ورفضت - لحسن الحظ - نصيحته بالتخلص من تلك اللوحات، فظهرت أعمال فان جوخ بصالون المستقلين بباريس فى مارس عام 1891، حيث كتب الناقد الفنى المعروف أوكتاف ميربو (1848-1913) مقالاً حماسيًّا عن الأعمال.

الاعتراف العام

فى مايو عام 1892، أى بعد أقل من عامين على وفاته، أقيم أول معرض ضخم لأعمال فان جوخ بلاهاى؛ حيث عرضت به خمس وأربعون لوحة. ومرة أخرى، جذبت أعماله المهتمين بفنه. وعندما بدأت أعمال فان جوخ تصبح أكثر شهرة، قام تاجر لوحات فنية يدعى أمبروز فولارد (1865-1917)، فدفع أصدقاء لفان جوخ مثل عائلة رولان، والدكتور راى، وأقنعهم ببيع لوحات فان جوخ، التى أعطاهم إياها، وتلك اللوحات تستطيع اليوم مشاهدتها بقاعات الفن بجميع أنحاء العالم. ففى حياته، لم يبع فان جوخ إلا لوحة واحدة. والآن يُدفع فى أعماله أعلى الأسعار فى مجال الفن.

الكتب، والأفلام، والموسيقى

فى عام 1910، قام أحد نقاد الفن التشكيلى بنشر دراسة عن أعمال فان جوخ، وهو أول كتاب من مئات الكتب التى ظهرت بعد ذلك عن الفنان. واليوم، وبفضل الكتب، والمعارض، والأفلام، المقطوعات الأوبرالية، والأشعار، وحتى مقطوعات من موسيقى البوب، والتى تعرض حياته وأعماله، ففان جوخ هو واحد من أفضل الفنانين المعروفين فى العالم.

لوحة "الصرخة"، 1893، إدوارد مونخ، وهنا يظهر تأثير أعمال فان جوخ على الفنان مونخ، من خلال ضربات الفرشاة المتعرجة، والمنظور المشوه.



لوحة "مصير الحيوانات"، 1913، للفنان "فرانز مارك" (1880-1916)، وهو واحد من جماعة "الفرسان الزرق" الألمانية، ذات الاتجاه الانطباعي والذى تأثر بأسلوب فان جوخ الدراماتيكى فى استخدام اللون.

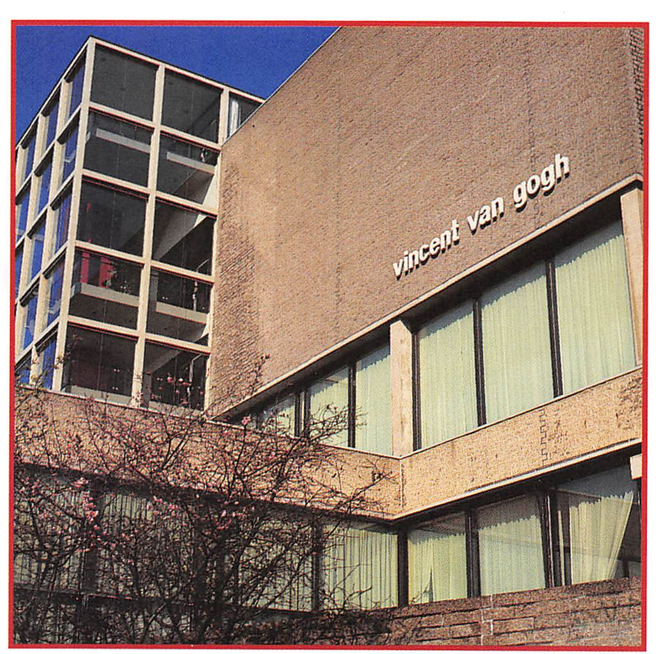
اللون والعاطفة

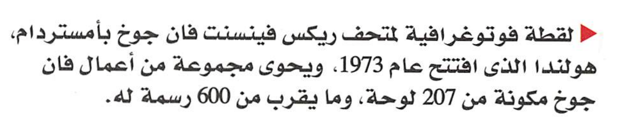
فى أثناء القرن العشرين، امتد تأثير أعمال فان جوخ على الفنانين ليمتد إلى أوروبا وأمريكا. فنجد الفنان النرويجى إدوارد مونخ (1863-1944)، الذى كان عضوًا فاعلاً بحركة الفن التشكيلى الانطباعية، يستلهم أعماله من قدرات فان جوخ على إعطاء حالة عاطفية بصرية. وفى غضون عام 1900، ظهرت مجموعة من المصورين الفرنسيين تدعى «فوف» (وتعنى الحيوانات المتوحشة) قد استلهموا أعمالهم أيضًا من لوحات فان جوخ، وكيفية استعماله لألوان صارخة، للتعبير عن العاطفة والمشاعر.

وفى نفس الفترة الزمنية، نجد جماعة أخرى من الفنانين الألمان، تدعى «داى بروكه» (وتعنى الكوبرى)، تأثرت بألوان فان جوخ الكثيفة والقوية، وتحريفه للمنظور الصحيح عن عمد. وهذا ما تشابه أيضًا عند فنانى التعبيرية الألمان: «الفرسان الزرق»، التى تكونت عام 1911، وكانت متأثرة باستعمال فان جوخ للون بغلظة (ثقل اللون من الأنبوب مباشرة).

ضربات الفرشاة والأمانة

فى القرن العشرين، نجد فان جوخ قد ألهم العديد من الفنانين على مستوى العالم. فقد قاموا بتقليد ضربات فرشاته، وحطموا المنظور التقليدى، واستخدموا ألوانًا مليئة بالحياة. فنرى الفنان الإنجليزى «فرانسيس بيكون» (1909-1992) متأثرًا بأمانة فان جوخ فى تصوير بورتريهاته الشخصية، وتأثَّر فنانون آخرون بهذا، أمثال «ريناتو جوتوسو» (1911-1987)، و«جيرى كولار» (1914-2002)، أعادوا صياغة تصوير موضوعات تطرق لها فان جوخ، ليظهروا مدى تقديرهم له.

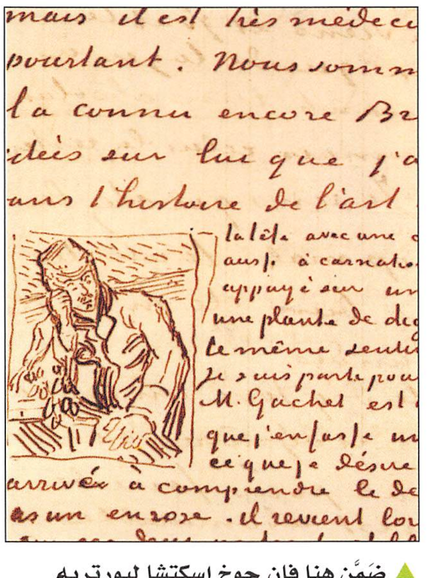




لقطة فوتوغرافية لمتحف ريكس فينسنت فان جوخ بأمستردام، هولندا الذى افتتح عام 1973، ويحوى مجموعة من أعمال فان جوخ مكونة من 207 لوحة، وما يقرب من 600 رسمة له.

خطابات فان جوخ

لم يكن فينسنت فان جوخ يعيش فقط لفنه، ولكن أيضًا لكتابة خطاباته. فالفنان كان كاتب خطابات، حريصًا على الكتابة بانتظام، ليس فقط مع أخيه تيو، وأعضاء عائلته الآخرين، أمثال والدته أو أخته فيلمينا، ولكن أيضًا مع أصدقائه أمثال إميل برنار، وبول سينياك، وبول جوجان.


mais il est très médec
pourtant. Nous somm
l'a connu encore Br
idées sur lui que j'a
ans l'histoire de l'art
la tête avec une
aussi à carnation
appuyé sur un
une plante de di
le même senti
je suis parti pou
M. Gachet est
que j'en fasse u
ce que je désire
arrivés à comprendre le de
as un en rose. il revient lo

▲ ضَمَّن هنا فان جوخ اسكتشا لبورتريه للدكتور جاشيه، فى خطابه إلى تيو.

العمل الفنى فى شكل كلمات

كثير من خطابات فان جوخ تحتوى على اسكتشات تصور مناظر محلية، أو لوحات كان يعمل بها. فكانت تمده برؤية داخلية لننظر بها على حياته وأعماله. وكما كان يكتب فان جوخ حول تطوراته ومشاعره، كان يكتب أيضًا ملاحظات عن أحداث جارية، ومواضيع اجتماعية. ورحل قارئ جيد كان عادة يكتب حول الكتاب المفضلين له، ومن ضمنهم شكسبير (1564-1616)، شارلز ديكنز (1812-1870)، وجورج إليوت (1818-1880)، وإميل زولا (1840-1902). ففى خطاباته إلى الفنانين أمثال جوجان وإميل برنار، كان فان جوخ يتبادل الأفكار معهم حول الفن، ويتناقش حول آخر التطورات فى مجال فن التصوير.

«دعنا نتحدث عن فرانز هولز.. إنه كمطرقة تدق على رأسك، فهو يصور كل أنواع البورتريهات، ولوحاته تضج بالأفكار، وبالفن الحى الخالد».

▶ جزء من خطاب فان جوخ إلى إميل برنار، 1888.

وكان يكاتب برنار بصفة منتظمة، والذى التقى به فى باريس عام 1886.

وكرجل كبير فى السن، كان فان جوخ يعرض النصيحة، ويرشحه للدراسة عند أساتذة مثل الهولندى الفنان فرانز هولز (حوالى 1580-1666).

المرجع الزمنى ◀

1853	1873	1877	1881	1885
30 مارس 1853، ولد فينسنت فان جوخ بهولندا.	مايو 1873، نقل إلى مقر شركة جوبيل وشركاه بلندن.	مايو 1877، دراسات للالتحاق بجامعة أمستردام لدراسة علم اللاهوت.	1881، انتقل للعيش بلاهاى ليدرس على يد أنتون موف.	نوفمبر 1885، انتقل للعيش بمدينة أنتورب.
1 مايو 1857، ولد تيودوروس (تيو) فان جوخ.	مايو 1875، نقل إلى مقر شركة جوبيل وشركاه بباريس.	1878، دراسات لدخول كلية الأديان ببروكسيل، رسب فى امتحان القبول.	1882، أقام مع سين هورنيك.	يناير 1886، درس فى أكاديمية أنتورب للفنون لفترة قصيرة.
1861-1864، التحق فان جوخ بالمدرسة المحلية.	يناير 1876، فُصل من العمل بشركة جوبيل وشركاه.	أغسطس-ديسمبر 1878، عمل كواعظ بمدينة بوريناج.	1883، صور فى درينث، ثم عاد إلى منزل والديه بنونين.	فبراير 1886، انتقل للعيش فى باريس مع أخيه تيو، وقابل الفنانين الانطباعيين هناك.
1864-1868، التحق بالمدرسة الداخلية.	أبريل 1876، عمل مدرسًا فى كنت، ثم بلندن.	1880، قرر أن يصبح فنانًا، فالتحق بأكاديمية الفنون ببروكسيل.	1884-1885، صور فى نونين.	يونيو 1886، انتقل تيو وفان جوخ للعيش بحى مونمارتر بباريس.
30 يوليو 1869، بدأ العمل بشركة جوبيل وشركاه فى لاهاى.	يناير-أبريل 1877، عمل كبائع كتب بمكتبة فى دوردشت.		26 مارس 1885، توفى والد فان جوخ.	شتاء 1886، التقى فان جوخ ببول جوجان.
			1885، صور لوحة «آكلو البطاطس».	

خطاباته إلى تيو

تبادل تيو وفان جوخ الخطابات طيلة مرحلة نضجهما. فقد كان تيو يدفع فان جوخ بذكاء للرد عليه كتابيًّا. فهناك ما يزيد عن 650 رسالة مازالت موجودة؛ فقد فتح فان جوخ قلبه لأخيه، وشاركه آماله، وتخوفاته، وخبايا مشاعره. فعلى سبيل المثال، أثناء سنواته الأولى كفنان، كان يتحدث عن وحدته قائلاً:

> «من الجائز أننا نحمل فى دواخلنا نارًا موقدة، حتى إنه لم يعد هناك أحد يريد الاحتراق منها، فالعابرون يرون فقط خيط الدخان».

وكان تيو، بحكم عمله كتاجر فن، يُعلم فان جوخ بمجريات التطور فى عالم الفن. فكان يرسل له أخبارًا عن المعارض ويبلغه بآخر الأحداث فى باريس. فطيلة حياته الناضجة، ساعد تيو فان جوخ، ليس فقط ماديًّا، ولكن أيضًا معنويًّا. وكان الفنان يعترف بالجميل لأخيه، فكتب فان جوخ عام 1889: «لو لم أحظ بصداقتك، كنت لا شك سأندفع إلى الانتحار، وبما أننى جبان بطبعى، فقد أقدم عليه فى النهاية».

خطابات إلى فان جوخ

عُثر فقط على القليل من خطابات تيو إلى فان جوخ، وهذا لأن الفنان لم يكن يحافظ عليها. وتُظهر خطابات تيو لأخيه عاطفة نحوه: «لقد سددت لى أكثر من مرة، بلوحاتك وبصداقتك لى، فهى أعظم قيمة من كل النقود التى أستطيع امتلاكها على الإطلاق». وكانت خطابات فان جوخ مكتوبة عادة بصيغة فلسفية وشعرية. فهى كتابات لافتة للنظر، وتكشف عن ذكائه وخياله الخصب. ففى عام 1889، كتب فان جوخ لتيو:

> «إن النظر للنجوم يدفعنى لأن أحلم... لماذا؟، فقد سألت نفسى، هل يجب أن تصبح النقاط المضيئة بالسماء سهلة المنال، كما هى حال النقاط السوداء بخارطة فرنسا؟، فهذه هى حالنا عندما نستقل القطار للذهاب إلى تارسكون أو إلى رون، فنحن نستقل الموت للوصول إلى النجوم».

▲ **خطاب فان جوخ إلى تيو عام 1889، وفى هذا الوقت كان قد صور لوحة "الليلة النجمية".**

1887	1888	1888	1889	1890
نوفمبر 1887، التقى بجورج سوراه. فبراير 1888، ترك فان جوخ باريس وذهب إلى مدينة آرل. مارس 1888، عرضت أعمال فان جوخ بصالون المستقلين بباريس، ولم يبع أى لوحة. مايو 1888، استأجر فان جوخ جزءًا من المنزل الأصفر واستعمله كاستوديو له.	أغسطس 1888، تقابل مع جوزيف رولان. وصور مجموعة لوحات زهور عباد الشمس. سبتمبر 1888، انتقل للإقامة فى المنزل الأصفر. 23 أكتوبر 1888، قدِم جوجان للإقامة بآرل مع فان جوخ. فعاشا وعملا معًا. ديسمبر 1888، تقدم تيو لخطبة جوانا بونجر.	23 ديسمبر 1888، أصيب فان جوخ بأزمة نفسية، وقطع جزءًا من أذنه. 24 ديسمبر 1888، وجد فاقدًا للوعى، وأخذ إلى مستشفى آرل. وذهب تيو إلى فان جوخ بمدينة آرل. 7 يناير 1889، خرج فان جوخ من المستشفى وعاد للإقامة بمفرده بالمنزل الأصفر. فبراير 1889، تعرض لنوبتين نفسيتين أخريين.	مارس 1889، تعرض لنوبة نفسية رابعة. 17 أبريل 1889، تزوج تيو بجوانا. مايو 1889، دخل فان جوخ مصحة سان ريمى للأمراض العقلية ومكث بها لمدة عام. يوليو-ديسمبر1889، تعرض لأكثر من نوبة نفسية جديدة. 13 يناير 1890، وضعت جو طفلاً ذكرًا.	مارس 1890، بيعت لوحة كرم العنب الأحمر. 20 مايو 1890، ذهب للعيش بمدينة أفير سور واز، وتقابل مع الدكتور بول جاشيه. 27 يوليو 1890، أطلق فان جوخ النار على نفسه ليصيب الرصاص صدره. 29 يوليو 1890، توفى فان جوخ متأثرًا بجروحه. 15يناير 1891، توفى أخوه تيو.

منافذ بيع مكتبة الأسرة
الهيئة المصرية العامة للكتاب

• **مكتبة المعرض الدائم**
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق -
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة
ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ - ٢٥٧٧٥٢٢٨ - ٢٥٧٧٥١٠٩
داخلي ١٩٤

• **مكتبة مركز الكتاب الدولى**
٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت: ٢٥٧٨٧٥٤٨

• **مكتبة ٢٦ يوليو**
١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت: ٢٥٧٨٨٤٣١

• **مكتبة شريف**
٣٦ ش شريف - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٩٦١٢

• **مكتبة عرابى**
٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت: ٢٥٧٤٠٠٧٥

• **مكتبة الحسين**
مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة
ت: ٢٥٩١٣٤٤٧

• **مكتبة المبتديان**
١٣ ش المبتديان - السيدة زينب أمام دار
الهلال - القاهرة

• **مكتبة ١٥ مايو**
مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

• **مكتبة الجيزة**
١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت: ٣٥٧٢١٣١١

• **مكتبة جامعة القاهرة**
خلف كلية الإعلام -
بالحرم الجامعى بالجامعة - الجيزة

• **مكتبة رادوبيس**
ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة -
مبنى سينما رادوبيس

• **مكتبة أكاديمية الفنون**
ش جمال الدين الأفغانى من ش محطة المساحة
- الهرم - مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

• **مكتبة ساقية عبد المنعم الصاوى**
الزمالك - نهاية شارع ٢٦ يوليو من أبو الفدا
- القاهرة

• **مكتبة الإسكندرية**
٩٤ ش سعد زغلول - الإسكندرية
ت: ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

• **مكتبة الإسماعيلية**
التمليك - المرحلة الخامسة -
عمارة ٦ مدخل (أ) - الإسماعيلية
ت: ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

• **مكتبة جامعة قناة السويس**
مبنى الملحق الإدارى بكلية الزراعة -
الجامعة الجديدة - الإسماعيلية
ت: ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

• **مكتبة بورفؤاد**
بجوار مدخل الجامعة ناصية شارع ١١،
١٤ بورسعيد

• **مكتبة أسوان**
السوق السياحى - أسوان ت: ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

• **مكتبة أسيوط**
٦٠ ش الجمهورية - أسيوط
ت: ٠٨٨/ ٢٣٢٢٠٣٢

• **مكتبة المنيا**
١٦ ش بن خصيب - المنيا
ت: ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

• **مكتبة المنيا (فرع الجامعة)**
مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا - المنيا

• **مكتبة طنطا**
ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا
ت: ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

• **مكتبة المحلة الكبرى**
ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقاً

• **مكتبة دمنهور**
ش عبد السلام الشاذلى - دمنهور -
مكتب بريد المجمع الحكومي -
توزيع دمنهور الجديد

• **مكتبة المنصورة**
٥ ش السكة الجديدة - المنصورة
ت: ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

• **مكتبة منوف**
مبنى كلية الهندسة الإلكترونية «جامعة
منوف»

• **توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية**
مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام ميدان
التحرير - الزقازيق
ت: ٠٥٥/٢٣٦٢٧١٠ ٠١٠٠٦٥٣٣٧٣٣٢